

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



سَبَّاحُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةُ اِسْلَامِيَّةِ جَامِعَةِ

العدد الثامن والأربعون • السنة الثانية عشرة • شوال - ذو الحجة / ٢٠٠٤ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

* الجمهورية الإسلامية في إيران - قم . ص . ب ، (٨٩٤ = ٣٧١٨٥)

* هواتف : ٢ ، ٧٧١-٧٧٤ فاكس : ٧٧٣٥١٧٩

* موقعنا على الانترنت :

www.ahl-ul-bayt.org

رسالة الثقليين

محتويات العدد

مجلة إسلامية بامعة

- تعنى باحياء المعارف الإسلامية من منبع الثقليين والدفاع عن حريم القرآن الكريم والسنة الشريفة للمرسول الأمين ﷺ واهل بيته الطيبين الطاهرين ﷺ .
- تستقبل نتائج العلماء والمفكرين والكتّاب الاسلاميين التي تصبّ في رسالة الثقليين لتكريس وحدة الامة الإسلامية وتثبيت شوكتها في أرجاء العالم .

- الآراء الواردة فيما يُنشر لا تعتبر بالضرورة عن رأي المجمع أو المجلة .

- تسلسل الموضوعات يخضع لاعتبارات فنية .
- يُرجى ممن يرفد المجلة بنتاجاته الاحتفاظ بصورة منها، فإنها لاتعاد نشرت أم لم تنشر .

كلية التحرير

* نحو تجديد منهجي لخطاب ثقافة الانتظار

..... بقلم رئيس التحرير ٤

من أفاق الضيافة الإسلامية

* الاحتلال الأميركي للعراق ومآسي الشعب العراقي

..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظلّه) ١٦

دراسات

* المنهج الروائي في تفسير القرآن الكريم / القسم الأول

..... الدكتور محمد علي رضائي الأصفهاني

..... تعريب: عبد الكريم الكرمانى ٤٠

* تعلّم وتعليم اللغة العربية في إيران ومشكلة الثنائية اللغوية فيها

..... ناصر النجفي

«مجمع البحوث الإسلامية للروضة الرضوية المقدّسة» ٦٠

رأي

* الكوفة بين الولاء والابتلاء «حقائق مغيبّة»

..... صبيح إلياس (العراق) ٩٣

من أعلام مدرسة أهل البيت ﷺ

* رئيس المبلغين آية الله السيد سعيد أختَر الرضوي

..... إعداد: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت ﷺ ١٢٦

تقرير

* حول المؤتمر السادس عشر للوحدة الإسلامية تحت عنوان:

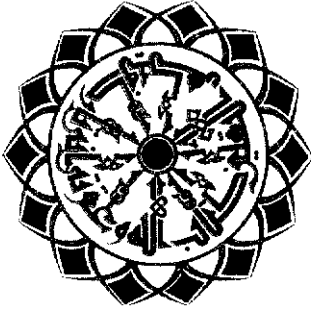
«العالمية الإسلامية والعولمة»

..... إعداد: الشيخ محمد علي التسخيري ١٤٤

..... «الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية»

* حول مؤتمر النساء العربيات التابعات لأهل البيت ﷺ

..... إعداد: هيئة التحرير ١٥٤



المجمع العلمي لآل البيت

المجمع العلمي لآل البيت

الشيخ

محمد باقر المجلسي

رئيس المجمع

الشيخ

فؤاد كاظم المكي

○ العدد الثامن والأربعون

○ السنة الثانية عشرة

○ شوال - ذو الحجة

١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م

○ المطبعة: ليلى

□ قراءة في كتاب

* ناصر الدين على القوم الكافرين «٢»

«مشاهدات الحجري في أوروبا القرن السابع عشر»

..... جعفر عبدالرزاق (جامعة ليند - هولندا) ١٥٧

□ أهل البيت في روايات الصفاة

* روايات عبدالله بن مسعود إعداد: جهاد المفتي ١٩٥

□ أدب في رباب النقلين

* قصيدة: آل محمد ﷺ الناشء الصغير ١٩٩

* قصيدة: بنوهاشم رهط النبي ﷺ الكميث بن زيد الأسدي ٢٠٦

* قصيدة: يوم الغدير السيد محمد جمال الهاشمي ٢١١

□ مقاربات من مواقع الانترنت

* التأله الأميركي في العالم «كيف نفهم المرحلة الاستعمارية الثالثة؟»

..... محمد الخطابي (المغرب) ٢١٥

* العولمة الاستكبارية في الإعلام «المجموعات الإعلامية الدولية الكبرى»

..... الدكتور مالك الأحمد (مصر) ٢٣٠

□ من أبا القراء

* الشرق الأوسط: محاور الاستراتيجية الأميركية للتغيير في الشرق الأوسط ٢٣٦

* العراق: خطط لتغيير مناهج التعليم في العراق ٢٣٨

معلومات عن ١٥٠ مقبرة جماعية كبرى لضحايا نظام الطاغية صدام ٢٣٩

* الكيان الصهيوني الفاسد:

فتوى حاخامات الصهاينة بأن العراق جزء من إسرائيل الكبرى ٢٤٠

* كندا: إحصاء رسمي يكشف أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في كندا ٢٤١

* أميركا والصهيونية العالمية:

من مخططات العولمة الاستكبارية تخريب المقدسات في الهوية الإسلامية ٢٤٢

..... إعداد: قسم الأرشيف

□ رسائل وتقويمات

* رسائل القراء إعداد: قسم العلاقات ٢٤٨

□ فهرس

* فهرس مواد السنة الثانية عشرة للأعداد (٤٥-٤٨) تنظيم: قاسم محسن ٢٥٦

نحو تجديد منهجي لخطاب ثقافة الانتظار

✽ بقلم رئيس التمرير

لا ريب أن مدرسة أهل بيت النبوة والعصمة عليهم السلام القائمة على الاجتهاد والتجديد المستمر، غنية بأصولها وتراثها العلمي بما في ذلك المصنفات الخاصة بفلسفة وعقيدة الانتظار، والدراسات الحديثية لروايات التبشير بالمهدي الموعود (عج) وتاريخ ولادته وغيبته الصغرى والكبرى وعلامات وشروط وحوادث ظهوره المبارك، ومعالم دولته العالمية التي ستملأ الأرض في ظلّ حكومته الإلهية قسطاً وعدلاً، بعد أن ملأها الطغاة ظلماً وجوراً. ولا يقتصر أغلب ذلك على مصنفات المكتبة الإسلامية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإن كانت هي الأصل المستوعب لها، بل إن جميع المصنفات الحديثية الكبرى للمذاهب الإسلامية الأخرى زخرت هي أيضاً بالكثير من تلك الروايات، ورافقتها



دراسات مختلفة لكبار علمائهم عن الانتظار والمنتظر الموعود. إلا أن التطور الذي حصل في الثقافات الحضارية المعاصرة ومدارسها الفكرية الحديثة، أثر كثيراً في العقل البشري المعاصر وأطره بمنهجية أصبحت بعيدة عن فهم المنهج التقليدي لعرض فكر وثقافة الانتظار، رغم أنه قائم على المنهج العقلي والبرهاني في عرض أصوله العقائدية ومبانيه الفكرية. الأمر الذي يحدونا أن نطرق أبواب التحديث والتجديد في منهجية الخطاب الثقافي لانتظار الإمام المهدي (عج)، الذي لا يعني إطلاقاً الخروج عن حدود الأصول والمباني العقائدية والفكرية لعقيدتنا بالإمام المهدي المنتظر (عج)، بل هو تحديث وتجديد يستوعب المقولات والنظريات المعاصرة التي صنفها المفكرون الغربيون، ورددها المثقفون المستغربون في شرقنا الإسلامي، وهو أيضاً تحديث وتجديد في لغة الخطاب التي تعرض ثقافة الانتظار، بما ينسجم ويتناغم ولغة العصر في مصطلحاته وأدبيات بيانه.

ونحن هنا سنشير إلى هيكلة التجديد في منهج الخطاب الثقافي للانتظار، مع بيان مختصر لبعض مفرداته.

أولاً: مناهج الخطاب الثقافي للانتظار

وهي من الناحية النظرية لا تعدو ثلاثة مناهج أساسية:

أ- المنهج التجريبي: وهو منهج تخصصي تفصيلي يتناول الروايات والمفردات العقائدية الخاصة بالإمام المنتظر (عج)، وبالانتظار بشكل تجريبي سنداً ودلالة دون إخضاعها لأطر موضوعية تنتهي بنا إلى رؤية شمولية مترابطة، تتمخض عنها نظرية متكاملة تصلح لمقارنة النظريات المخالفة، وتتلاشى عندها الشبهات والشكوك. إلا أن امتياز هذا

المنهج هو في دقة تنقيحه التجزيئي للروايات والمفردات العقائدية الخاصة بالانتظار.

ب - المنهج الشمولي: وهو منهج كلي موضوعي يتناول الروايات والمفردات العقائدية الخاصة بالإمام المنتظر (عج) وبالانتظار، تحقيقاً وتصنيفاً بشكل شمولي يستهدف الخروج برؤية شمولية مترابطة، للوصول الى تدوين نظرية عقائدية متكاملة عن الإمام المنتظر (عج) وعن الانتظار، تقف أمام الشبهات والنظريات المخالفة. إلا أن هذا النهج قد يجنح عن الدقة الاستدلالية المطلوبة التي يحققها المنهج التجزيئي، في دراسة الروايات والمفردات العقائدية سندياً ودلائياً، مما يعرض النظرية التي يخرج بها الى النقد والتشكيك ونقض الغرض منها.

ج - المنهج التركيبي: وهو المنهج الشمولي الذي يستوعب نتائج المنهج التجزيئي، ليخرج برؤية موضوعية مترابطة تصلح لتكوين نظرية عقائدية متكاملة ومحكمة عن الإمام المنتظر (عج) وعن الانتظار، تحقق الغرض في تقديم خطاب ثقافي عصري يتناول كل الجوانب الفكرية والاجتماعية والسياسية لهذه العقيدة، ويرسم ملامحها الحركية في بعدها الإسلامي والإنساني.

وخلاصة القول في ذلك أننا بحاجة الى تجديد وتطوير خطابنا الثقافي للانتظار، من خلال اعتماد المنهج التركيبي للخروج بالنظرية العقائدية التي تشكل طموح العقل الإنساني في دائرته الإسلامية والعالمية.

ثانياً: أبعاد التجديد في المنهج

ويتمثل بتوسيع دائرة التجديد، حيث أن الخطاب الثقافي للانتظار يجب أن يستوعب الدوائر التالية:

أ - دائرة أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام: وفيها يتم تصنيف روايات ومفردات عقيدة الانتظار تصنيفاً موضوعياً، وتحقيقاً سندياً ودالياً يتحرك مع الاستدلال المنهجي العقائدي، الذي يطوي بالتقويم والردّ كلّ مقولات الانتظار السلبي، ليضعه على طريق الانتظار الايجابي للإمام المنتظر (عج) والتمهيد لظهوره المبارك ونهضته العالمية.

ب - الدائرة الإسلامية العامة: وفيها يتم إخراج الخطاب الثقافي للانتظار من دائرته المذهبية الخاصة باتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام، ليشمل أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى، ويتضمن تنشيط التحقيق والتصنيف لروايات ومفردات عقيدة الانتظار من أمهات المصادر الحديثية المعتبرة لديهم، لتأخذ موقعها الموضوعي في الهيكل العقائدي العام لحركة الإسلام والمسلمين المعاصرة، ونقلها من حالة التدوين التقليدي لها الى ثقافة إسلامية عامة، يلتقي ويلتحم في إطار مشتركاتها جميع المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومستوياتهم خطاباً وحركة.

ج - الدائرة الإنسانية العالمية: ويتم فيها تجديد وتطوير الخطاب الثقافي للانتظار، على أساس وعي حقيقة الظلم والجور الذي طال البشرية وسامها أنواع الامتهان والقهر، وحجرها في ظلمات الجاهلية المادية بعيداً عن رحاب فطرتها الإنسانية السليمة، الأمر الذي يدفعها الى اكتشاف هويتها الإنسانية الحقيقية، وإدراك مدى الظلم والجور الذي حاق بها، وضرورة الخلاص على يد منقذٍ تنهياً له بوعي هدفها الإنساني في هذه الحياة، وشحن إرادتها وتجميع قواها للتخلص من الطغاة والظالمين، وإقامة العدل والقسط في أوساط أممها وشعوبها.

ويتقوّم المنهج الثقافي لهذه الدائرة بالدليل العقلي الفلسفي، والتجربة الإنسانية والتاريخية لحركة الأمم والشعوب في إطارها الإنساني والحضاري.

ثالثاً: الأسس المنهجية لخطاب ثقافة الانتظار

إنّ تحقيق شمولية الخطاب الثقافي للانتظار في استيعاب مفرداته وتعميق مدلولاته في إطار دوائره الثلاث (دائرة أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام، والدائرة الإسلامية العامة والدائرة الإنسانية العالمية)، لا بد من أن يتقوم على الأسس الثلاثة التالية:

أ - الأساس الفلسفي: ويتم وفقه بحث الإمكان العقلي للغيبة وفلسفتها مدعوماً بالدليل العلمي والتاريخي، ثم القيمة الموضوعية لها في طول مداها الزمني غير المألوف، وبحث نظريات نشوء الحضارات ونموها وأقولها والحوار أو الصراع فيما بينها، وموقع أطروحة انتظار ظهور الإمام (عج) منقذاً ومحققاً آمال وطموحات المستضعفين والمظلومين منها.

ولبيان نموذج لذلك نشير الى مفردة من مفردات أبحاث هذا الأساس، وهي علّة وفلسفة الغيبة، التي يتم بيانها على ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: المؤمنون العقائديون الذين وصلوا الى مراتب الإيمان والتسليم العالية بالله ورسوله وأهل بيته الطاهرين، فهم يتعبدون بنص وقول الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام ويسلمون لهم تسليماً، منها رواية عن الإمام الصادق عليه السلام (سئل الإمام الصادق عليه السلام عن علّة الغيبة، فقال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم. قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته، وجه الحكمة في غيبات من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلّا بعد ظهوره... إنّ الأمر أمرٌ من أمر الله تعالى، وسرٌّ من سرّ الله، وغيبٌ من غيب الله، ومتى علمنا أنّه عزّ وجل حكيم صدّقنا بأنّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف) (١).

المستوى الثاني: وهم المسلمون العقائديون الذين لا يخلو أمرهم من حالات الاضطراب والتردد في التعبد والتسليم، كما ذكرنا في المستوى الأول، وذلك بسبب طروء الشك والحيرة والارتياب في نفوسهم، فيكشف الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرون ﷺ معالم عامة عن فلسفة وحكمة غيبة الإمام المهدي (عج)، وهي بعموميتها لا تشكل كشفاً تفصيلياً لأسرار الغيبة، وذلك درءاً لنقض الغرض من كتمانها في ظرفها. وقبل الدخول في بيان ملامح الأساس الفلسفي لمنهج ثقافة الغيبة لهذا المستوى من الأمة، نذكر باختصار عناصر وأركان نهضة الأمم وحركتها الحضارية نحو التكامل والكمال، وهي:

١- الرسالة أو الأطروحة الحضارية، وفي ثقافتنا الإسلامية هي الدين الإسلامي وأطروحته الحضارية.

٢- القيادة، وفي ثقافتنا الإسلامية هي الرسول ﷺ وأهل بيته الطاهرون ﷺ.

٣- الأمة، التي تتبنى وتلتزم - وفق ثقافتنا الإسلامية - الأطروحة والرسالة الإسلامية عقيدة وأخلاقاً وسلوكاً، وتخضع لقيادتها المعصومة.

وبتكامل كل عنصر وركن من هذه العناصر والأركان وتواصل حركتها الحضارية بشكل متوازن، تنهض الأمم وتصل الى كمالها الذي رسمته له الرسالة الإسلامية.

وهنا نحاول تطبيق ذلك - من خلال بعض ما ورد عن أهل البيت ﷺ - على هذا المستوى من الأمة كالاتي:

١ - في عنصر الرسالة الإسلامية: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا قد ولّوا الناس، حتى لا يقول قائل

إِنَّا لَوُؤَلَيْنَا الْعَدْلُنَا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل»^(١).

وفي هذه الرواية إشارة واضحة الى فشل جميع الأطروحات والايديولوجيات التي تدّعي أنها حق يحقق العدل في الواقع الإنساني، فينكشف أن الحق والعدل هو فقط في الإسلام المحمدي الأصيل، الذي سيقم الإمام المنتظر (عج) دولته المباركة على أساسه.

٢- في عنصر القيادة (الإمامة): ورد عن الإمام المهدي (عج): (وَأَمَّا عَلَّةُ مَا وَقَعَ مِنَ الْغَيْبَةِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾^(٢) إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي إِلَّا وَقَعَتْ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ لَطَاغِيَةٌ زَمَانُهُ، وَإِنِّي أَخْرَجُ حِينَ أَخْرَجُ وَلَا بَيْعَةَ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّوَاعِيتِ فِي عُنُقِي)^(٣).

وواضح من هذه الرواية أن اقتدار القيادة وهيمنتها عقائدياً، واستطالتها القيادية اجتماعياً على الأمم والشعوب، من النقاط الجوهرية في قوة القيادة ونفوذ سلطانها وعلو مقامها فيهم، وذلك من مصاديق الآية الكريمة: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٤). والذي يساهم جوهرياً في تحقيق ذلك، هو عدم وجود بيعة في عنق الإمام لأي طاغية، لأن مثل هذه البيعة ستشكل نقطة نقض وتهاون من قبل الأمم والشعوب بالإمام القائد، وليس نقصاً وضعفاً في ذات الإمام المعصوم.

٣- في تكامل الأمة وأهليتها الإسلامية: وهي على صعيدين:

الصعيد الأول: تكامل الخواص والصفوة القيادية التي يتكامل بها جهاز الإمام القيادي: وفيها روايات عديدة. منها ما ورد عن أبي الحسن عليه السلام قال:

(١) الغيبة للنعماني: ٥٢/٢٧٤.

(٢) المائدة: ١٠١.

(٣) البحار: ٧/٩٢/٥٢.

(٤) التوبة: ٣٣، الفتح: ٢٨، الصف: ٩.

(لو كان فيكم عدّة أهل بدر لقام قائمنا...) (١). والمعروف أن عدّة أهل بدر هم ثلاثمئة وثلاثة عشر، وهم الصفوة القيادية للإمام المهدي (عج)، التي عندما يتكامل عددها بهذا المستوى القيادي سيتحقق جزء أساسي من عناصر تكامل الأمة.

الصعيد الثاني: تكامل الأمة العام: وقد أشارت عدة روايات الى هذا الأمر. منها ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (القائم (عليه السلام) لن يظهر أبداً حتّى تخرج ودائع الله تعالى «يعني به المؤمنين من أصلاب الكافرين» فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم) (٢). وتكشف هذه الرواية عن شرط أساسي من عناصر تكامل الأمة العام، وذلك أنها في مسيرتها التكامليّة ستمخض عن جيل من المؤمنين العقائديين، يشكّلون الأمة الرسالية التي ينهض بها الإمام المهدي (عج)، والجيش العقائدي الذي يستطيع به على أعداء الإسلام ويتمكن منهم.

وخلاصة القول هنا أن تكامل هذه الأركان الثلاثة: الرسالة في وعي الأمة والبشرية، والقيادة في اقتدارها العقائدي والاجتماعي، والأمة بصفوتها القيادية وجيلها الرسالي المجاهد، هو الذي سيحقق الشروط الأساسية لظهور الإمام المنتظر (عج).

المستوى الثالث: ويتمثل بالمنظومة الإنسانية العالمية التي لا تؤمن بالإسلام أو بأصل الأديان، ولا تخضع إلّا للدليل العقلي أو التجربة الإنسانية والتاريخية، في إطار حركة حضارات الأمم والشعوب.

وفي هذا المستوى يمكن تلخيص ملامح خطاب ثقافة الغيبة كالآتي:

١ - في عنصر الرسالة والأطروحة الحضارية المؤهّلة لإيصال

(١) مشكاة الأنوار: ٦٣.

(٢) علل الشرائع: ١٤٧/٢.

البشرية الى الحق والعدل، يمكننا وفق الدليل الاستقرائي للتاريخ، وبموجب قانون التجربة الحضارية، اثبات فشل جميع الأطروحات الحضارية التي تمخّض عنها الفكر البشري، وإبراز تهاافتها وخطئها التطبيقي وقصورها عن إصابة الحق وإقامة العدل، إن لم نقل أنها ساهمت في تدهور البشرية وسقوطها في حضيض الفساد ومهاوي الظلم والجور، ولم يبقَ في أفق الأمل إلاّ الأطروحة الإسلامية لمدرسة أهل البيت (عليه السلام)، التي تنتظر توفر شروط قيامها وقيومتها لاقامة العدل وبسط القسط في واقع الإنسانية المعذّبة.

٢- في عنصر القيادة المؤهّلة التي امتدت في عمرها لتستوعب تاريخ الحضارات البشرية، يمكننا اثبات أن معاصرة الإمام المهدي (عليه السلام) لنشوء ونمو وتطور الحضارات ثم زوالها، تحقق في نفس شخصيته القيادية المراقبة لكل ذلك حالة من الهيمنة والعلو والعظمة، أمام حضارات ولدت صغيرة ثم استطالت واستكبرت ثم تلاشت، وحتى تلك الحضارات التي استكبرت واستطالت ولا زالت، سوف ينظر إليها بعين الصغار ولا يخضع لبريقها ولا لهيبها ولا لهيمنتها، كما هو شأن أبنائها ومعاصريها. ووفق قانون تراكم التجربة، فإن مثل هذه الشخصية القيادية التي عاصرت تاريخ الحضارات البشرية عبر الزمن الطويل، منذ ولادتها وحتى تناولها ثم أفولها، سوف تتكامل فيه الخبرة القيادية ويتمثل السنن الحاكمة في حركة الأمم والحضارات والدول، وبذلك يكون أكثر اقتداراً على محاكمتها وتقويمها، ومن ثم الحكم لها أو عليها من خلال تشخيص نقاط قوتها وضعفها وخطأها وصوابها.

أما فيما يتعلق بأصالته القيادية المطلوبة، فيجب أن يكون منتبهاً الى عمق الإسلام ليُغيّر العالم وفق الرسالة الإسلامية، ويتحقق ذلك عندما

يولد في أحضان تلك الرسالة قريباً من منابع الإسلام ومصادره ورواده الأوائل، فيكون بذلك أكثر تمثلاً لها وانفتاحاً عليها، أما لو وُلد بعيداً عنها، فسوف يتأثر بنسبة أو أخرى بحضارة وفكر عصره الذي يولد فيه، ويبقى بعيداً زمنياً وحسبياً عن منابع رسالته التي يجب أن يغيّر العالم بها.

٣- في عنصر تكامل البشرية ورشدها نحو الخلاص من عذاباتها والحيث والظلم المحيط بها، فإن استعراض مآسيها والويلات التي ألمت بها، وظواهر الاستكبار والقهر والإذلال التي طالت كل مرافقها، والفراغ الروحي والسقوط المعنوي المستشري في أنحاء حياتها الاجتماعية على الصعيدين الفردي والاجتماعي، وتفكك الأواصر الإنسانية واستشراء شريعة الغاب في مجمل حياتها المادية الوضيعة، كلّ ذلك سيعمق وعيها وسيجعلها تتوق إلى يوم الخلاص وإلى رجل الخلاص وإلى أطروحة الخلاص.

ب- الأساس العقائدي: وفيه يتم تطوير منهج ثقافة الانتظار، في إطار المسيرة العقائدية وحركة الدين عبر التاريخ البشري، وتتمثل مفرداته بما يلي:

١ - ثقافة الانتظار في دعوات الرسل والرسالات السماوية عبر تاريخها الطويل، فقد كان كل رسول يظهر يبشر برسول يأتي بعده، وتواصلت سنة التبشير والانتظار للرسل والأنبياء حتى خاتمهم محمد ﷺ، فكان الانتظار حالة متواصلة وعقيدة متأصلة في دعوات الرسل والرسالات التي ختمت بالرسول محمد ﷺ.

٢ - ثقافة الانتظار في الإسلام في دائرته، الخاصة المتمثلة بمدرسة أهل البيت عليه السلام، والعامّة المتمثلة بالمذاهب الإسلامية الأخرى، وتتضمن بحث إمامة المهدي المنتظر (عج) بكل أبعادها الذاتية والموضوعية،

وحقيقة الغيبيتين الصغرى والكبرى، وشرائط الانتظار والظهور وعلامتهما، وحقيقة وكيفية الظهور المبارك، وطريقة ردع الظلم وازهاق الباطل واحقاق الحق وإقامة العدل، والتعريف بملامح حكومة العدل الإلهي وشمولها العالمي بقيادة الإمام المهدي المنتظر (عج)، التي ستملأ الأرض قسطاً وعدلاً في مقابل عولمة الاستكبار التي ملأت الأرض ظلماً وجوراً، ثم الاختتام ببحث الهدف الإلهي من الخلق الذي يصل الى غايته على يد الإمام المنتظر (عج)، ومقارنتها بتقويم مقولات ونظريات نهاية العالم الغربية.

ج - الأساس التاريخي: ويتم تطوير منهجه في الانتظار بما يستوعب التاريخ البشري وحركته الحضارية، بهدف استخراج العناصر المشتركة والسنن التاريخية المتكّمة فيه، والخروج بنظرية تاريخية تستوعب الماضي والحاضر وتستشرف المستقبل، لتكون قيّمة على كل نظريات التاريخ في الفكر الغربي العلماني ومقومة له، ويشمل هذا التطوير المنهجي للأساس التاريخي في الانتظار المفردات التالية حسب سيرها التاريخي:

١ - الانتظار في الحركة التاريخية للأديان والرسل والرسالات في البشرية.

٢ - الإمام المهدي (عج) والانتظار في تاريخ وسيرة رسول الإسلام الأكرم ﷺ وأهل بيته الطاهرين ﷺ.

٣ - الإمام المهدي (عج) والانتظار في تاريخ وسيرة أئمة المذاهب الإسلامية الأخرى.

٤ - الإمام المهدي (عج) والانتظار في مواقف ووقائع تاريخ وسيرة الخلافة الإسلامية بعد الرسول ﷺ، وتشمل: الخلافة الراشدة والخلافة

الأموية والخلافة العباسية والخلافة العثمانية.

٥ - الانتظار في عصر الاستكبار الحديث من خلال حركة الأمم والشعوب، ومناهضتها لمعالمه المتمثلة بالظلم والفساد وبالقهر والطغيان.

هذه خلاصة أولية لتجديد منهجي مقترح في الخطاب الثقافي للانتظار، على أننا نرى ضرورة الإشارة الى حقيقة عقائدية أثبتتها الواقع والتجربة التاريخية، وهي امتياز؛ بل انفراد مدرسة أهل البيت عليه السلام بامتلاكها أوسع وأشمل وأعمق خطاب ثقافي قائم على الدليل العقلي، يضع كل الباحثين عن الحقيقة على المحجة البيضاء في مسائلها العقائدية والأخلاقية والتشريعية، كما نرى ضرورة الحذر من مزالق التجديد والتحديث العصرية، التي قد تتأثر بشكل مباشر وغير مباشر بمنهجية التفكير العلماني الغربي، في تناول المسائل العقائدية والتاريخية لعقيدة الانتظار؛ لئلا يفقد الخطاب الثقافي أصالته العقائدية ومحتواه الإسلامي النقي. وصدق أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله: «لقاح المعرفة دراسة العلم»^(١)، وقوله: «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين



(١) غرر الحكم: ٧٦٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٧٣.

الاحتلال الأميركي للعراق ومآسي الشعب العراقي

❦ ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله)

من خطبة صلاة الجمعة لولي أمر المسلمين سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) في جموع غفيرة من المصلين بعاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية في ٧ صفر ١٤٢٤ هـ.ق.

إن قضية العراق في غاية الأهمية، وإن أهميتها من حيث الأسس إن لم تُفَقَّ القضية ذاتها أهمية فهي لا تقل عنها، لذلك فإنها تمثل الموضوع الأول الذي سأطرق إليه، فالقضية التي هي حديث الساعة الآن هي قضية العراق، إن وقع في العراق حدث مهم، فهناك هجوم عسكري،



وسقوط طاقم يقف على رأس الأمور، وشعب محاصر بإرادته ومبادئه وتطلعاته وقدراته من قبل حفنة من الادعاء، وتدور أحداث مهمة. وقد تطلعت أنظار العالم الإسلامي لكي تعرف الموقف الواضح للجمهورية الإسلامية في هذه القضية، وعلى مدى هذا الشهر حيث بلغت الأحداث ذروتها أدلى مسؤولو البلاد في مختلف المرافق بوجهات نظرهم وكانت صحيحة، فالأوضاع الآن استثنائية للغاية.

من الضروري أن اتحدث حول هذا الموضوع بعض الشيء، لقد ضجّ العراق بالأحداث الصعبة والدامية خلال القرن الأخير، فبعد سقوط الدولة العثمانية نصّب الإنجليز أسرة غير عراقية كأسرة مالكة على رأس الأمور في العراق، فتوالى على الحكم ثلاثة ملوك منهم على مدى سنوات معدودة، فلقد توفي الأول وقتل الثاني خلال حادث غامض، وقطّع الثالث إرباً إرباً على أيدي الناس، ثم تعاقبت الحكومات الانقلابية منذ عام ١٩٥٨ م وحتى عام ١٩٦٨ م، حيث سيطرت على سدة الحكم حكومة البعثيين، فكان صدام الرجل الثاني فيها، وكان الرجل الأول أحمد حسن البكر. وخلال السنوات العشر التي سبقتهم من حكم الحكومات الانقلابية والعسكرية قُتل الأول، وقضى الثاني في حادثة مشبوهة فيما ازيح الثالث عن الحكم.

منذ العام ١٩٦٨ م وحتى الآن أي ما يقارب خمساً وثلاثين سنة استلم البعثيون الحكم، حيث يجدر بنا اعتبار هذه الفترة - لا سيما فترة رئاسة صدام - أشد الفترات التي مرّت على العراق، وهاهي حكومة صدام قد سقطت أيضاً، وليس واضحاً أين صدام الآن، فالوضع يكتنفه الغموض، وإن ما وقع في العراق الآن لا يعد قضية واحدة في واقع الأمر، وإنما هي

أربع قضايا يحاول الأميركيون والبريطانيون وأبواقهم دمجها وجعلها قضية واحدة، والحصول على جواب واحد ازاءها من الرأي العام، فإما نعم وإما لا، لكنهم عبثاً يفعلون فهي أربع قضايا وليست واحدة.

بعد الاحتلال وجه كل من بوش وبلير خطاباً للشعب العراقي - ولم يكن الشعب العراقي المغلوب على امره يتمتع بالتيار الكهربائي ليتلقاها - وكان مضمون الخطاب: إننا جئنا الى العراق كي نحرركم، وأوجزوا القضية بالقول: ننقذكم من صدام، وفي قول السادة هذا وقعت حالتان من الخلط الجسيم: إحداهما قولهم إننا جئنا لنحرركم، أي أن الشعب العراقي لا قدرة له وليس جديراً بهذا الأمر، ونحن الذين يجب أن ننجز له هذه المهمة، وفي ذلك غلط كبير، أما الثانية فإن هذا الكلام كان كذباً لأن تحرير شعب ما لا يستدعي صبّ النيران والقنابل على رؤوسهم، ولا القيام بتدمير المدن والقرى الآهلة، بذريعة أنهم يريدون القضاء على معسكر، ولا التسبب بهذه المآسي التي سأسير إليها بإيجاز. إن القضية ليست تحريراً لشعب العراق، وإنما هي أربع قضايا يجب الفصل بينها، احداها إسقاط صدام، فثمة تزاحم وتناقض حصل بين مصالح صدام ومصالح الطغمة الحاكمة في اميركا انتهى الى صراع ومواجهة، وأولئك هم الأقوى من صدام فأسقطوه، وسوف أتحدث عن موقفنا الواضح فيما يتعلق بهذا الأمر، وإن موقفنا لواضح فيما يخص كلاً من هذه القضايا، ونحن نعمل على التفكير بينها ليتجلى موقف نظام الجمهورية الإسلامية المنبثق عن الفكر والتدبير الإسلامي، والمحافظة على مصالح البلاد، إذن المسألة الأولى هي سقوط صدام.

القضية الثانية التي وقعت في العراق وهي مستمرة، هي المآسي التي

تعرض لها الشعب العراقي، وهي تختلف عن قضية إسقاط صدام ولها حكم آخر، وسيأتي الحديث عن موقفنا ازاءها، والقضية الثالثة هي تعرض بلدٍ مستقل لعدوان وغزو عسكري من قبل قوات اجنية بذرائع مختلفة، من قبيل امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ودعمه للإرهاب وغيرها، وهذه ذرائع يمكن التطويل لها على الدوام وفي أي مكان كان وهي لا تعد مسوغاً لشن هجوم عسكري على بلد ما وانتهاك حدوده، وسأتحدث عن موقفنا في هذا المجال أيضاً، أما القضية الرابعة فهي إدارة العراق في المستقبل التي ينسجون الأدوار والمخططات والأوهام في أدمغتهم من أجلها، وهذه بدورها قضية منفصلة وإن لكلٍّ منها حكمه.

القضية الأولى: وهي إسقاط صدام، فإن القضية بأساسها تتمثل في أن صداماً لم يكن منذ البداية على نقيض مع المصالح الأمريكية، وهناك تقارير - لا أستطيع البت بها بجدية - تتحدث أن الأميركيين أنفسهم ادّعوا أن وكالة المخابرات الأميركية لها دور منذ البداية في الانقلاب الذي دبره البعثيون عام ١٩٦٨م، ولربما يكون ذلك صحيحاً ولعلّه يكون خطأ أيضاً، ولا أريد التحدث عمّا لست متيقناً منه، ولكن ما من شك في أن مصالحهم قد التقت فيما بعد، لا سيما بعد انتصار الثورة الإسلامية وقيام نظام الجمهورية الإسلامية، وكانوا من قبل قد اتفقوا على طاعوت إيران محمد رضا بهلوي، فكان أن اتضح التقارب بين مصالحهم، وبعد أن انتصرت الثورة الإسلامية أصبحت مصالحهم مشتركة، فلقد كانت تراود صداماً الأطماع بأراضيها، فيما كانت أميركا تناهض قيام نظام الجمهورية الإسلامي، وتسعى لإعادة الحكومة الطاغوتية العميلة، وبهذا فقد التقت مصالحهم، لذلك عندما اندلعت الحرب المفروضة من العراق على إيران

عام ١٩٨٠م وشنّ صدام هجومه الجوي على طهران في اليوم الأول منها، لم يغفل عنه الأميركيون منذ الساعة الأولى طرفة عين أبداً، وضاعفوا من دعمهم له يوماً بعد يوم، وهذه من الأمور المسلم بها وليست تكهنات، والاحتمال الوارد هو تنسيقه مع الأميركيين فيما سبق ذلك، وهذا ما لا أدعيه لأنني لا أعلمه، بالرغم من توفر التقارير بشأن ذلك، فخلال زيارتي أيام رئاستي للجمهورية الإسلامية، قال لي بعض رؤساء الدول الإسلامية إنّه (أي صدام) قد نسّق مع بعض الأطراف، ونحن لا نملك اليقين على أية حال، أما المتيقن بالنسبة لنا فهو أن أميركا قدمت أقصى أنواع الدعم لصدام، بل مارست الضغط على المنظمة الدولية لاجبارها على تقديم الدعم لصدام، ولقد تجرّعنا ثماني سنوات من الحرب وقد خدم صدام الأميركيين لأنه استطاع أن يُشغل الجمهورية الإسلامية بقضية داخلية دموية أي الحرب لمدة ثماني سنوات لصالحهم، فالحرب تستدعي اهتماماً وتوجهاً ذهنياً كبيراً، فلو لم تبطل ثورة بلد ما في بداية أمرها بمثل هذه الحرب الدامية لكان أمامها مجال للبناء ولإنجاز الأعمال العملاقة، وإن صداماً قد استهلك أفضل قدراتنا لصالح أميركا مدة ثماني سنوات، وذلك للتلاقي الذي شهدته مصالحهما.

وفيما بعد حيث غزا صدام الكويت طراً التناقض في مصالحهما، ووجدوا أن تحقيق هذا الرجل وصل حداً يهدد مصالح أميركا في المنطقة، لأن غزو الكويت كان بمثابة غزوٍ لمصالح أميركا، ولو لم يقفوا بوجه صدام لكان من الممكن أن يهاجم السعودية لاحقاً، وذلك ما كان يصرح به يومها إذا كان يقول: إنني استولي على الكويت واتوجه بعدها صوب

الامارات والبحرين وقطر حيثما أمكن، وهنا تعارضت مصالحهم، وبدأت ضغوط المنظمات الدولية والإعلامية والإسلامية على صدام الذي لم يكن ذلك الإنسان الذي يملك القدرة على الصمود بوجه أميركا بل كان على استعداد لأن يهادنهم ويتنازل لهم، غاية الأمر أن الأميركيين لم يكونوا قادرين على ذلك، وكان صدام معضلة بالنسبة إليهم، فلو كان الأميركيون قد تساهلوا مع صدام لكانوا قد فقدوا أصدقاءهم في الخليج، ولم يكن حكام الخليج على استعداد للقبول بأن تعمل أميركا على تقوية صدام من جديد كما كان في السابق وذلك لخوفهم، ومن جانب آخر لو قدرت أميركا على ممارسة الضغوط على صدام بشكل تام، لكانت ضيعت مصالحها في العراق، لذلك فقد وقعت أميركا في التناقض، فلقد كان العراق بما يمتلكه من ثروات نفطية وغيرها وسائر ثرواته، وبعدد سكانه الذي يُناهز العشرين مليوناً، مغرياً للغاية بالنسبة لأميركا في منطقة الشرق الأوسط الحساسة، فأميركا كانت تريد أن تسجل حضوراً في العراق وتنشط فيه وتمارس النهب، ولكنها لم تكن قادرة على ذلك لأنها إن ساومت صداماً فستواجه مشكلة على الطرف الآخر، وإذا لم تفعل فإنها ستفقد مصالحها، وهكذا أخذ التناقض يشتد بين أميركا والنظام الصدامي، من هنا فقد فكروا بأن يزيلوا صداماً بطريقة يخلو بها لهم العراق تماماً، وهذه القضايا إنما هي استمرار لذلك، وبناءً على هذا فإن ادعاء الأميركيين أو الإنجليز بأنهم جاءوا لإزالة صدام من أجل مصلحة الشعب العراقي إنما هو كذب محض وسافر، فلم يكن فعلهم هذا من أجل الشعب العراقي، فهم قد أزاحوا صداماً للتعارض الذي طرأ لمصالحهم مع مصالح صدام، وإلا فإنهم كانوا يدعمونه عندما كانت مصالحهم

مشتركة كما في دعمهم له أثناء فترة الحرب المفروضة.

الآن وقد جاءوا ومارسوا ضغوطهم بقواهم العسكرية وزال صدام، فهل فرح الشعب الإيراني بذلك أم لا؟

إنه مسرور حتماً، فمنذ عشرين عاماً والشعب الإيراني ينادي الموت للمنافقين وصدام، وهاهو الموت قد حاق بصدام، وإن سرورنا في هذه القضية هو كسرور الشعب العراقي، وموقفنا هو موقف الشعب العراقي تماماً، فالشعب العراقي مسرور لزوال صدام وكذا نحن مسرورون لزوال صدام، فصدام دكتاتور شرير ظالم لا عهد له ولا ميثاق وفي غاية الشر، فقد كان مستبداً في حكمه للشعب، وكان في غاية السوء بالنسبة لشعبه وجار سوء بالنسبة لنا. بناءً على هذا فإن قول المحتلين بأن سرور الشعب العراقي هو لمجئنا إنما هو قول جدير بالاستهزاء في واقع الأمر، فسرور العراقيين إنما هو لزوال صدام، فقبل أيام أظهرت إحدى القنوات الأوروبية مشهداً من بغداد حيث سُئل شاب فأجاب بقبضة فولاذية «الموت لصدام والموت لبوش» فقد نادى بالموت لكليهما في آن واحد، فكان أن عرض ذلك مرة واحدة ثم لم تسمح عمليه التقنين الإخباري بأن يتكرر، وإلا فلو سُئل ألف من العراقيين لأجاب تسعمئة منهم بنفس الجواب، فلا علاقة للسرور بزوال صدام، بمجيء المحتلين كي يضاف لحسابهم؛ فلو أن بعض الناس في بغداد -مثلاً- قد أشاروا بأيديهم فذلك لا يعني ترحيب الشعب بهم أبداً، وإن لديّ اطلاعاً واضحاً عن مختلف الأمور، فلا الشعب في البصرة حيث دخلها البريطانيون ولا في سائر المدن حيث دخل الأميركيون، قد قابلوا المحتلين بوجوه بشوشة، وإذا كانوا قد فرحوا لزوال صدام فقد تضاءل

هذا الفرع تحت القصف، حيث دمروا الشعب خلال هذه الأسابيع
المعدودات، وعليه فإن الشعب العراقي كان حيادياً في هذه الحرب التي
وقعت بين صدام وبين المحتلين المعتدين، وقد أعلنت الحكومة
الإسلامية عن حيادها، ومعنى الحياد هو أن كلتا الجبهتين - جبهة صدام
وجبهة الغزاة - ظالمتان، والشعب العراقي لم يؤيد أحداً في هذه الحرب،
وإن إيران شعباً وحكومة لم تؤيد أيّاً منهما في هذه الحرب أيضاً، أي إننا لم
نقدم أدنى مساعدة لأيٍّ منهما، وهذا ما يعنيه الحياد فنحن لم نساعد
صداماً ليستطيع المحافظة على نفسه، ولا قدمنا العون للمحتلين كي
يحققوا نصراً سريعاً.

فقد كرسنا كافة قدراتنا لئلا يُقدم أي دعم، هذا ما يعرفه الذين
يتجسسون عبر الأقمار الصناعية، ولا حاجة بأن نصرح لهم بذلك، ولكن
ينبغي للشعب الإيراني أن يعلم بأن الحكومة ومسؤولي البلاد بذلوا
قصارى جهودهم - ونجحوا في ذلك - لئلا يسمحوا لأحد بتقديم العون
لأي طرف، ولم يُقدم أي دعم، وإذا ما كان تقدم القوات الغازية سريعاً
فذلك إنما كان للحياد الذي التزمه الشعب العراقي، فلو كان العراقيون قد
وقفوا الى جانب صدام فإن الغزاة أنفسهم يعلمون بعدم قدرتهم على
التقدم بهذا الشكل؛ وهكذا يصبح الحال حينما لا تصفو قلوب شعب ما مع
مسؤولي بلادهم؛ فلقد تجرع الشعب العراقي من مسؤوليه الضربات
والامتهان والاحتقار والاعتصاب والقسوة، لذلك لم يدافع عنهم أبداً ومن
هنا كان تقدم أعداء هذا البلد من الغزاة سريعاً؛ وثمة حديث وكلام فيما
يخص هذه القضية، وقد تقدم القول منا إن شعبنا مسرور لها وكذا
حكومتنا ومسؤولونا؛ وبطبيعة الحال فإن حكومتنا ومسؤولينا

يساورهم الشك نوعاً ما في هذه القضية، فلماذا لم تقاوم بغداد كالبصرة، أي أن الحرب بأسبوعها الأول كانت ذات طابع آخر، فلقد كانت جدية وكانوا يقولون إنها تزداد جدية بعد الآن، غير أن الغزاة توقفوا بضعة أيام فيما بعد، وما إن باشروا في تقدمهم لم يكن هنالك دفاع جاد، وفي الحقيقة فإن بغداد استسلمت في غضون يومين أو ثلاثة، أي أنها سقطت وليس هناك من يدافع عنها دفاعاً جاداً، في حين كان في داخل بغداد نفسها - كما أعلنوا - ما يقرب من مئة وعشرين ألفاً من القوات المسلحة، علماً أن الحلقات الدفاعية التي أحاطوا بها بغداد كانت على امتداد مئة كيلومتر، وكانت قوات الحرس الجمهوري تتولى حراستها أكثر بكثير من ذلك، وبغداد بذاتها التي كانت تضم ما يناهز المئة والعشرين ألف مقاتل لم تستطع الصمود بوجه الهجوم يومين أو ثلاثة، فهي إما أن تكون قد عجزت أو صدرت الأوامر بعدم المقاومة، وهذا ما هو مجهول، وسيكشف المستقبل عن هذا الغموض، ولسنا قادرين الآن على الحكم، وليس من المهم ما يكون عليه حكمنا، فعلينا التريث لنرى ماذا سيحكم به المستقبل بشأن هذه القضية.

بناءً على هذا فإن موقفنا بمحصلته فيما يخص هذه القضية، أي إسقاط صدام على أيدي قوى الغزو الأميركية والبريطانية هو: أننا لم نقدم العون لأي من الطرفين الظالمين، ونحن في غاية السرور لسقوط صدام وكذا شعبنا، وكنا على الحياد كما هو شأن الشعب العراقي في حياته، ونحن مسرورون كما أن الشعب العراقي مسرور.

القضية الثانية: هي المآسي التي حلت بالشعب العراقي خلال هذه الفترة، وهي ليس بالأمر الذي يُضيع؛ فانظروا الى حرب فيتنام التي

انتهت قبل سبع وعشرين سنة وطوى النسيان الكثير من الأمور، بيد أن الجرائم التي ارتكبتها الأميركيون في تلك الحرب بحق الشعب الفيتنامي لا تُنسى؛ فكم من الأفلام التي يصورونها حولها والقصص التي يتحدثون عنها! فالعدوان على شعب في دياره يبقى عالماً في أذهان ووجدان الشعوب إلى الأبد؛ فأسمى حقوق الناس هو حق الحياة، وهؤلاء «السادة» جاؤوا بوصفهم حماة لحقوق الإنسان وسلبوا بصواريخهم هذه حق الحياة لأبناء هذه المدن، فلقد ألقى أكثر من ألف صاروخ من طراز كروز والآلاف من القنابل ذات الوزن الثقيل، ولا يُحصى من نيران المدفعية ومن جهات مختلفة وباستمرار على مدن البصرة والناصرية والديوانية والحلة وعلى بغداد نفسها وغيرها من المدن التي يقطنها الناس؛ ونحن نعلم ماذا تعني القنابل؛ فلقد تعرضنا للقصف؛ وطالنا القصف في طهران ودزفول وسائر المدن؛ وهل هو مزاح أن تقصف مدينة على مدار الساعة بالعشرات أو المئات من الصواريخ؟.

إنهم يقولون: كنّا نريد القضاء على أهداف عسكرية، فكم هدف عسكري في العراق يتعين ضربه بألف صاروخ كروز والآلاف من القذائف كي يُدمّر؟ لقد دمروا الناس وخلقوا جواً من الرعب والذعر بينهم؛ فعم الرعب الأطفال، وقُتلوا وبقوا دون طعام، ولا يدرك معنى هذا الكلام إلّا من كان له طفل رضيع في البيت يفتقد الحليب ولا وجود للطعام عند أمه، ويعوزهم الماء الصالح للشرب كي يقدموه له، فهؤلاء الذين يعرفون مغزى هذا الكلام. فكم من طفل صغير أدمى قلب والديه ببكائه؟! وكم من الشباب رقد في هذه المستشفيات ولم يداؤ جرحه؟! وكم من أعزّة لهذه العوائل قد اختطفوا؟.

أو قليل هذا؟ ثم إن صور امتهان الناس واقتحام بيوتهم لهي مشاهد تحرق قلب الإنسان، فيدخلون الدار لمجرد تهمة أو ظنٍّ باطل فيغطون رأس الرجل بمرأى من زجته وأطفاله ويعصبون عينيه ويكبلون يديه ويهينونه ويهددونه؛ فهل هذا بالأمر الهين؟ يقوم الجنود الأجانب بتقييد أيدي الرجال العرب من الخلف، ويطوقون رؤوسهم بكوفياتهم، ويلقونهم على وجوههم الى الأرض ويقفون على رؤوسهم موجّهين نحوهم البنادق؛ أو تهون هذه المصيبة؟ وهل يمكن جبرها؟! فهذه بدورها مصيبة أخرى أيضاً حيث يقوم الجندي الأميركي بتفتيش النساء العربيات المحجبات. شاب أميركي لا يعرف من هو ومن أين جاء يقوم بتفتيش امرأة عربية مقنعة بالحجاب والعباءة لاحتمال أنها تحمل قنبلة. أهذه حقوق الإنسان. أهذا هو الاحترام للبشر والاحترام لحرية الإنسان التي يدّعونها زوراً؟! وهذه الأمور مما لا تنتهي بالاعتذار، فهم قد وجّهوا ضرباتهم ثم اعتذروا مدعين أنهم أخطأوا. وهكذا فعلوا في أفغانستان، مراراً أثناء الحرب؛ وقبل أيام حصل أن قصفوا حشداً من الناس وقطعوا أوصالهم ومن ثم قالوا: عذراً فقد أخطأنا. فهل تمحى الجرائم بكلمة «معذرة قد أخطأنا» ياترى؟. وهذه هي القضية الثانية.. ونحن ندينها بشدة ونعرب عن مواساتنا للشعب العراقي، وندين المعتدي ونعتبره كاذباً إن هو ادّعى الدفاع عن حقوق الإنسان.

أما القضية الثالثة: أي العدوان العسكري على بلد بدعوى وجود أسلحة التدمير الشامل، فهي من أقبح الأفعال وأسوأها وقد دان الضمير العالمي هذا الفعل، معتبراً إياه غير مشروع. إنني أتذكر أيام الحرب الفيتنامية حيث كانت تخرج المظاهرات المناهضة لأميركا في بعض البلدان، غير أن

ما رأيناه من اجماع دولي في هذه القضية لم نره في قضية الحرب الفيتنامية، فلم يكن مثل هذا الاجماع الدولي أثناء الحرب الفيتنامية؛ فيومها كان يقال إن الاتحاد السوفيتي هو الذي ينظم هذه التظاهرات، فمن الذي ينظمها اليوم ياترى؟ إن الناس يجتمعون في الهند والباكستان واندونيسيا وماليزيا، وفي إفريقيا وأوروبا وفي أميركا ذاتها مشكلين تجمعاً ضخماً من عشرات أو مئات الآلاف بشعار واحد، فمن الذي ينظمهم؟ لا وجود لأي مركز يتولى تنظيم هؤلاء، وإنما هو الضمير العالمي والإنساني الذي يدين هذا الفعل. إنه فعل مدين وإنها لبدعة في غاية الاستهجان، إنها عودة الى عصر الحروب العدوانية وفتح البلدان في العصر القديم، فهم يتشبثون بالذرائع ضد بلد ويرفضون كل ما يقوله مفتشو المنظمة الدولية مدّعين أنهم لا يعرفون شيئاً قائلين: نحن الذين نعرف وجود السلاح، فيشنون هجومهم، وهذا فعل خاطئ جداً قد دنا، وفي نظرنا أن الأمم المتحدة قصّرت في هذه القضية، فلماذا لم يدين مجلس الأمن الهجوم الأميركي البريطاني؟ ولماذا لم يصدر قراراً ضدهم؟ هب أنهم سينقضون هذا القرار، فليفعلوا إذ إن إصدار القرار بحد ذاته في مجلس الأمن بإمكانه أن يمثل تحركاً مضاداً لهم، فلماذا لم يفعلوا؟ ولماذا لم تعقد الجمعية العامة للأمم المتحدة اجتماعاً يدين هذا العمل داخل هذه الجمعية؟ كان على الأمين العام اتخاذ المزيد من الإجراءات بهذا الصدد، فهناك آمال معلقة بالمنظمة الدولية، ومنذ سنوات لم تعد تراودنا مثل هذه الآمال ونحن نشاهد بأعيننا الممارسات والضغط، ولكن العالم يعيش هذه الآمال على أي حال، وقد كان العمل ضعيفاً.

لقد أثبتت أميركا بعدوانها هذا أنها متمردة، ولقد كان الرئيس الأميركي السابق يلصق كلمة «التمرد» ببعض الدول، والتمرد هو ما يقوم به هؤلاء من تمرد على الإنسانية وعلى استقرار الدول، لقد برهنوا على أنهم هم محور الشر بمعناه الحقيقي؛ وبرهنوا على أنهم الشيطان الأكبر حقاً؛ هذا اللقب الذي أطلقه إمامنا العظيم عليهم؛ ولقد ارتكب الإنجليز خطأ فادحاً حين اقتفوا أثر أميركا لينالوا نصيبهم من الغنائم، واخطأوا في ذلك. إن للإنجليز صورة قبيحة جداً ومرفوضة في هذه المنطقة، في إيران والعراق والهند وغيرها لعظم ما قترفوه من سوء وظلم فيها؛ وإلى ما قبل ثلاثين أو أربعين سنة ظهرت الى الوجود صورة أشد قبحاً منهم أخذت صورة الإنجليز القبيحة تزول من الأذهان فجاء السيد بلير وأعاد صورة الإنجليز القبيحة من جديد في الأذهان، فكان خطأً كبيراً. إذن، إننا ضممننا صوتنا في القضية الثالثة - وهي العدوان العسكري - الى أصوات شعوب العالم وأعلنّا إدانتنا لهذا العمل، وندينه أيضاً ونعتبره بدعة على صعيد العلاقات الدولية وعدواناً على بلد إسلامي وعلى الإسلام والمسلمين وانتهاكاً لحرمة الأمة الإسلامية.

القضية الرابعة: هي سلطة أميركا المستقبلية على العراق. إنهم بالإضافة الى عدوانهم والمآسي والجرائم التي اقترفوها، يريدون تولي إدارة العراق عن طريق حاكم أجنبي وعسكري أميركي إما صهيوني أو على صلة بالمحافل الصهيونية، فهؤلاء توصلوا - واهمين - فيما بينهم الى تقسيم ما - وقد بدت بوادر الاختلاف بين أميركا وبريطانيا - فالبصرة - حيث رائحة نفطها أشد فوحاناً وهي أكثر قرباً الى المناطق النفطية والإنجليز يتميزون بشدة ولعهم برائحة النفط - هي من نصيب الإنجليز؛

وبغداد - التي تمثل مركز السلطة والأميركان مولعون باستعراض قدرتهم - كانت من نصيب الأميركيين.

هناك اختلافات كثيرة بينهم وهي تتزايد وستتكشف أمام الشعوب، ولكن يبدو أنهم متفوقون حالياً. إنه رجوع الى عصر الاستعمار الأول ورجعية محضة؛ فهكذا كان الاستعمار القديم إذ كانت الدول الاستعمارية في أوروبا تستولي على الدول الآسيوية والإفريقية بالقوة ثم تنصب حاكماً عسكرياً عليها ليفرض سيطرته على المنطقة بأكملها، وهذا ما فعلوه في الهند وأستراليا وكندا وإفريقيا ودول عديدة أخرى، وبعد فترة من الزمن وجدوا من الخطأ تنصيب حاكم عسكري أجنبي على أي شعب من الشعوب، فغيّروا المعادلة، فكانوا يبحثون عن حكام من نفس تلك البلدان مطيعين لهم تماماً فينصبونهم ويقدمون لهم العون ويوفرون لهم الإمكانات، وهؤلاء بدورهم يطلقون الحرية ويفتحون الأبواب أمام المستعمرين ليمارسوا السلطة ويفعلوا ما شاؤوا، ومضت حقبة من الزمن على هذا المنوال فلمسوا خطأه لأن الشعوب تثور بوجه هؤلاء الحكام وإن كانوا من نفس الوطن وأبناء جلدتهم وذلك لتبعيةهم واستبدادهم وظلمهم.

وبعد أسلوبهم هذا دخلوا مرحلة أخرى غيروا فيها منهجيتهم، فكان منهجاً ديمقراطياً بظاهره يتمثل بالهيمنة الثقافية إذ ينتخبون حاكماً مؤيداً لهم، وهذا ما وقع في إيران اثناء عهد الطاغوت، فلقد نصب الإنجليز رضا خان في بداية الأمر ثم جاؤوا بمحمد رضا، لكنهم لمسوا بروز مشاكل فأجبروا محمد رضا على تنصيب علي أميني رئيساً للوزراء ليقوم بما يسمى بالإصلاحات؛ وقد رأى هذا أن زمام الأمر بدأ يفلت من

يديه فقال: سأقوم بالإصلاحات بنفسي، فكانت إصلاحاته تلك المواد الست الفاضحة التي صدرت في عهد الطاغوت. وهذه هي التجارب التي طبقتها المستعمرون في تلك الفترات وفي مناطق متعددة.

لقد عاد هؤلاء الى الحقبة الأولى من عهد الاستعمار، أي أنهم يستولون على بلد ما بقوة السلاح ثم ينصبون حاكماً منهم فيه. إنه لفعل عجيب للغاية، رجعي، قبيح، مهيم، ينم عن عنجهية وغرور سيطيح برؤوس هؤلاء الى الأرض؛ وإن عملهم القادم ينم عن جهلهم للمكان والزمان، فالعالم بأكمله تقريباً قد دان هذا الفعل مؤكدين أنه مستحيل. وإن موقفنا لواضح تماماً وسوف أتطرق إليه فهذا عمل خاطئ كلياً؛ فيجب ألا يكون هذا الحاكم أجنبياً ولا عسكرياً ولا صهيونياً، بل يجب أن يكون منتخباً من قبل الشعب العراقي نفسه دون اعتماد على دعم القوى الغازية؛ وهذا ما يريده الشعب العراقي.

إن الأميركيين قد بنوا حساباتهم على بعض الأفكار قائلين: إننا ننصب هذا الحاكم ونمسك بزمام الأمور ونقدم له الدعم ثم نقوم بتغيير ثقافة الناس؛ أي نهيمن على التربية والتعليم، متوهمين أنهم يفعلون ذلك في أفغانستان الآن؛ فلقد بادر الأميركيون بطبع عدة أطنان من الكتب الدراسية باللغتين الفارسية والبشتوية في إحدى البلدان الآسيوية لتوزيعها في المدارس الأفغانية ليخفوا من خلال هذه المناهج الوجه القبيح لأمركا عن أنظار أطفال أفغانستان؛ ولتتخذ ثقافة الأفغانيين ورؤيتهم التاريخية طابعاً آخر بشكل كلي؛ وإنهم ليحاولون واهمين تطبيق ذلك في العراق أيضاً، ومن المسلم به أن هذا العمل لن يؤتي النتيجة التي يرجونها، فلقد تعمقت جرائم الأميركيين وعداؤهم في أوساط

المعلمين وأبناء الشعب بحيث أنهم سينقلونها الى الجيل اللاحق والأجيال الآتية لا محالة. إذن القضية الرابعة ليست سواء مع سائر القضايا؛ أي أنهم حتى لو لم يفعلوا فعلتهم هذين فإن العدوان يبقى محافظاً على صفته وهي أنه خطيئة وذنب كبير؛ ولو أنهم لم يرتكبوا هذا العدوان فإن كلاً من أعمالهم اللاحقة يعد وحده خطيئة وذنباً كبيراً وإهانة للشعب العراقي.

إن المرء ليعجب حقاً لما يبديه هؤلاء من صلافة بهذا القدر وتصريح عبر التلفاز بأن الشعب العراقي عاجز عن اختيار حاكم له. والشعب العراقي بماضيه وتاريخه وبرجاله وشخصياته العلمية والسياسية، فأنى لإنسان القدرة على التحدث دون خجل متهمّاً شعباً بالعجز؟ إننا نعتبر ذلك استهانة بحقوق الشعب العراقي ودينه ونرفض أي دكتاتور جديد على العراق؛ وإن الشعب العراقي نفسه لا يقبل بذلك أيضاً؛ فالشعب العراقي لم يخرج من مستنقع صدام ليقع في حفيرة دكتاتور عسكري أميركي، وإنهم حتى لو نصّبوا عراقياً بهذه المواصفات فإن الشعب العراقي لن يقبله أبداً. على أية حال فإننا نعتبر الوضع الذي يخططون له الآن عدواناً آخر على حريم الإسلام والمسلمين ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾.

إن الانتصار العسكري بما يعتريه من شك وشبهة ليس دليلاً على النصر النهائي؛ فالأميريكيون قد تحملوا خسائر وهزائم في هذه الحرب أيضاً؛ ولربما يجهلون ذلك الآن أو لا يقدرّون على الإفصاح عنه، لكنهم سيشاهدون آثار هذه الهزائم في المستقبل القريب، فلقد تحملوا أربع هزائم أساسية هي:

هزيمتهم الأولى: في شعار الديمقراطية والحرية الغربية وهي الليبرالية

الديمقراطية التي يروجون لها في العالم، فلقد مني هذا الفكر بالهزيمة بفعل عملهم هذا، إذ إنهم أثبتوا أن الليبرالية الديمقراطية ليست قادرة على الوصول بشعب ما إلى الاعتقاد بحرية الإنسان بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ فذلك فكر على استعداد لسحق حرية البشر وأرواحهم وحقهم في الانتخاب بكل سهولة، إذا ما اقتضت مصالحه المادية ذلك؛ فإذا كان الأميركيون صادقين في قولهم وأنصاراً للحرية، فعليهم مغادرة العراق والخروج منه حالاً، فلقد كنتم تريدون الاطاحة بصدام عن السلطة. حسناً، هاهو قد سقط، فما عملكم في العراق الآن؟ فإذا كانوا صادقين ويؤمنون بالديمقراطية وبحقوق الشعوب فعليهم اخراج جنودهم من العراق دون تواني وعدم التدخل في شؤون العراق، ولكن من الواضح أن هذا الأمر لن يحصل.

لقد هزم الأميركيون أيضاً أيديولوجياً وبان زيف شعاراتهم، وهذا ما أدركته شعوب العالم، وتجلّى من خلال الشعارات التي رددتها الشعوب أنها أدركت كذب الأميركيين، فهناك عشرة أو خمسة عشر شعاراً رددتها شعوب العالم في مسيراتها، إما أنها اطلقتها أو خطتها على اللافتات، وقد جمعت لي وهي بأجمعها تبرهن على أن الناس قد أدركوا حقيقة الأمر، ومن هذه الشعارات: «هذه الحرب حرب النفط لا الحرية وحقوق الإنسان»، «هذه الحرب لإنقاذ الاقتصاد الأميركي المنهار»، «هذه الحرب احتلال وعدوان هتلري»، «محور الشر أميركا وبريطانيا وإسرائيل»، وشعوب العالم هي التي كانت تردد هذه الشعارات وليس أهالي طهران، وهي شعارات كان الشعب الإيراني قد أدركها ببصيرته منذ أمد بعيد؛ وقد أدركتها شعوب العالم الآن وهاهو الرأي العام يرددها.

وهزيمتهم الثانية: هي الهزيمة السياسية، فأمرىكا اليوم معزولة سياسياً في العالم، فهذا الحل الأميركي المتمثل بتنصيب جنرال أميركي متقاعد لم يحظ بقبول أي دولة في العالم تقريباً - سوى اثنين أو ثلاثة من اذناهم - فلقد رفضته الدول العربية والإسلامية والأوروبية.

والهزيمة الثالثة: التي نزلت بالأميركيين هي تحطم هيبتها العسكرية لأنهم كانوا قد صوروا إمكانيتهم بالانتصار على القوات العراقية في غضون ثلاثة أو أربعة أيام؛ فاتضح بالنتيجة عجزهم عن تحقيق الانتصار لا في ثلاثة أو أربعة أيام بل بما هو أكثر من ذلك. ولو أن القوات العراقية قاتلت لاستمرت هذه الحرب. ومن غير المعلوم أنهم سيحققون النصر العسكري في نهاية المطاف نتيجة لفداحة الخسائر، وإن العراقيين لم يقاتلوا حينما كان يتعين القتال؛ وهذا موضع تساؤل وشكوك، وكما قلت آنفاً لا حكم لنا في الأمر بيد أن الإجابة عن هذه التساؤلات ستتضح مستقبلاً.

الهزيمة الرابعة: وهي تحطم اعتبارهم الاعلامي، فلقد انهارت مصداقيتهم الصحفية والإعلامية عالمياً، إذ ادركت شعوب العالم بأسرها أن الأميركيين يقومون بعملية سيطرة اعلامية، وقد اعتدوا على الصحفيين، وقالوا: لقد اخطأنا، ولكن ليس هنالك من تقبل هذا الخطأ منهم.

ثم إنهم ينشرون اخباراً كاذبة عن خسائرهم، فطوال هذه الفترة كانوا يصرحون انهم خسروا ثمانين أو تسعين أو مئة قتيل - مثلاً - والجميع يعلم أن هذا كذب محض، ونحن لا نعلم كم هي خسائر أميركا، ولا بد من الاستفسار من موظفي الثلاثيات في الكويت عن أرقام الخسائر التي

منيت بها أميركا، وسيفهم الشعب الأميركي ذلك فيما بعد؛ ففي حرب فيتنام صرحوا فيما بعد أنهم خسروا خمسين ألف قتيل، لكنهم كانوا أثناء الحرب يعلنون عن مثل هذه الأرقام الصغيرة.

وأقول في خاتمة حديثي: أولاً: إن تحليلي هو أن الصهاينة كان لهم في هذه الواقعة الدور الأكبر في تشجيع الحكومة الأميركية على القيام بهذا العمل وإعداد مقدماته أيضاً؛ وأن الصهاينة سيجنون الفائدة الكبرى من الخريطة الجديدة في الشرق الأوسط، التي يتحدث عنها جورج بوش، وقد اعدوا مقدماتها؛ فالخريطة الجديدة تتمثل بتمدد الصهاينة في منطقة الشرق الأوسط على امتداد الدول العربية وغير العربية المحيطة بهم سياسياً واقتصادياً وجغرافياً إن فُسح المجال أمامهم؛ ولكن الصهاينة وشارون الخبيث سرعان ما استغلوا هذه الواقعة حيث تتجه انظار العالم نحو العراق، فالفلسطينيون يقتلون يومياً ويتعرضون للضغوط وتقع هناك مآسٍ تبكي العيون .

إنني أقول للناشطين السياسيين في العراق: إن العراق يمتلك الكثير من الناشطين السياسيين، وإنهم اليوم يواجهون اختباراً عظيماً وتاريخياً؛ وعليهم الحذر لئلا يرتكبوا خطأ إستراتيجياً؛ فلا يستعظموا الانتصار العسكري الأميركي على صدام ولا يرهبوه؛ لأنه سينتهي بضررهم. وعلى الناشطين السياسيين في العراق الاهتمام بأمرين هما: الأول: الفوضى وأعمال الانتقام غير المنطقي والتنافس الضار؛ فعليهم الحذر كثيراً إذ إن الفوضى تلحق الضرر بشعب العراق ومستقبله وستعطي الذريعة للمحتلين لترسيخ وجودهم. بناءً على هذا يتعين عليهم الحد من المنافسات الواهية وأعمال الانتقام الخاطئة، وليجلسوا ويفكروا

بهذا الأمر ويضعوا الخطط التي تحول دونه، وذلك ما هو ممكن.

والثاني: عدم التهاون والتنسيق مع حاكمية الأجنبي، فليحذروا من أن يصدر عنهم هذا الخطأ، لأنه سيبقى ماثلاً في تاريخ العراق، فلو أن أحداً أعان القوات الأجنبية اليوم على ترسيخ حاكميتها في العراق، فسيبقى ذلك وصمة عار على مدى التاريخ العراقي بالنسبة لكل شخص أو فصيلة أقدم على ذلك. إن الشعب العراقي ينشد الاستقلال والحرية والحكومة المنبثقة عن مبادئه الدينية والوطنية، وهذه هي إرادة الشعب العراقي، فعلى الذين كانوا يتحدثون باسم الشعب العراقي سنوات متطامدية، أن يكونوا أوفياء للشعب العراقي وتطلعاته، ويبرهنوا على ذلك عملياً؛ فالتخفي والتعامل مع القوى الأجنبية سيدفع الجماهير للاعراض عنهم، فليضعوا في اعتبارهم رضا الله ورضا الناس فقط، وليعلموا أن النصر العسكري على نظام صدام لا يعني انتصاراً سياسياً وثقافياً على الشعب العراقي، لقد انتصروا عسكرياً على النظام الصدامي، بيد أن ذلك لا يعني انتصارهم على الشعب العراقي سياسياً وثقافياً ولن يكون ذلك.

إنّ الحوادث التي يمر بها العراق هذه الأيام، مهمة جداً ومعقدة ومصيرية، فرغم أن سقوط نظام صدام الذي شكّل نموذجاً للظلم والقسوة والعنف، وزج بالشعب العراقي سنين طويلة في سجن استبداده وقمعه الدموي، يشكل يوماً للفرحة التاريخية، إلا أن المصائب الفادحة التي جرّها الهجوم الأميركي البريطاني على الشعب، وما يخططه المهاجمون لمستقبل هذا للشعب، يترك طعمه المرّ في ذائقة هذا الشعب الغيور الشريف، ويحزن كل المسلمين والأحرار في العالم.

إن المذابح التي طالت الشعب الأعزل وأنات الثكالي والمصابين وبكاء

الأطفال الجائعين والمجروحين المتروكين دون علاج، وتهديم مساكن الناس واعتقال وأسّر العابرين بحجج واهية، والاعتداء على حرمة العوائل وفرض جو الرعب والوحشة الشاملة، وتوجيه الإهانات والإذلال للرجال الغيارى أمام أعين أبنائهم ونسائهم، والقضاء على البنى التحتية الحيوية للبلاد، وإلقاء الآلاف من القنابل والصواريخ وحمم المدافع على المدن، التي يعتبر كل منها وحده جريمة حرب. إن كل ذلك منح المهاجمين قصب السبق على جرائم صدام التي قام بها سنين متمادية.

ولن يشعر أي شعب بأمر من أن يرى الجنود الأجانب مغترين بفتحهم يطأون بيته وأرضه بكل حرية ويتحكمون في مصيره.

لقد ادعى الأميركيون والإنجليز أنهم قاموا بهجومهم هذا لإزاحة صدام وجلب الديمقراطية والحرية للعراق، وتجاهلوا - عمداً - كونهم هم الذين جهّزوا صداماً القاسي الظالم ودعموه بكل ما يمهّد له القيام بتلك الأعمال الإجرامية القاسية، وأنهم هم الذين أرخوا له العنان ليقوم بمذبحة عام واحد وتسعين الرهيبة، ولم يزجروه حتى برمشة عين، وهم الذين ساعدوه ليستخدم السلاح الكيميائي ضد الإيرانيين، بل ضد أهالي «حلبجة» وغضوا الطرف عنه، وهم الذين قدموا له في حرب السنوات الثمان التي فرضها على الجمهورية الإسلامية كل ما يدعمه من سلاح وإعلام، وتغاضوا عن كل المصائب التي كان يصيبها على الشعب العراقي ليلاً ونهاراً.

إن ادعاء أميركا وإنجلترا إهداء الحرية للشعب العراقي يعد من أكبر المهازيل. إنهم في الواقع يعملون للسيطرة على العراق وعلى النفط، وعلى

الشرق الأوسط وقمع الانتفاضة الفلسطينية ووأد الصحة الإسلامية، وإن تعيين حاكم عسكري أجنبي على العراق يشكل إهانة للحرية والسيادة الشعبية في العراق.

إنهم يخططون لمحو الهوية الإسلامية والوطنية للعراق، وتحويله الى مركز للتسلط الأميركي على كل الشرق الأوسط ومنابعه وذخائره القيمة البشرية والمادية.

إنهم لا يرون الشعب العراقي قادراً على تقرير مصيره بنفسه، ومالكاً لحقوقه الطبيعية المسلمة في أرضه. إن أفضل العناصر العراقية - في رأيهم - هي تلك التي تقدم خدمة أكبر للمعتدين الأجانب وتدير ظهرها لشعبها ووطنها.

إن الوجدان العام للشعب العراقي وكل الأحرار والتاريخ، يحكم على أي خدمة لأميركا كي تحقق أهدافها الاستعمارية اللئيمة، بأنها خيانة للعراق وشعبه وتاريخه.

إنّ الحلم الذي يحلم به الأميركيون والإنجليز سوف لن يتحقق؛ ذلك أنه في كل مكان تقف المقاومة بلغتها وأسلوبها بوجه الاعتداء ولغته وسلوكه، ولن يكون الشعب العراقي المعروف بغيرته وحميته مستثنى من هذه القاعدة.

لقد قام الشعب الفلسطيني المظلوم من خلال مقاومته الباسلة، بسلب العدو الصهيوني السفاك - رغم شدة بطشة - قدرته على كسر شوكة المقاومة، واستطاع الشعب الإيراني المؤمن الثائر بوحده واستقامته أن يفشل الحرب العدوانية التي فرضها نظام صدام بمعونة أميركا وإنجلترا - نفسيهما - ودعم الاتحاد السوفيتي والمعسكر الشرقي السابق على

مستوى السلاح والإعلام والسياسة، ويطرد العدو الى خارج الحدود. لقد عانت المدن الإيرانية سنوات على يد صدام الظالم هذا، من قصف الصواريخ والقنابل، وضرب شبابها المضحي الحُر بالقنابل الكيميائية. إلا إن مقاومة الشعب تبطل كل أساطير الديكتاتورية والقمع والاعتداء. إنَّ المهاجمين استطاعوا أن يقهروا النظام البعثي، وهو ما نتوقعه لنظام لا يحميه شعبه بل يعتمد على أجهزة وعناصر قمعية، إلا أن هؤلاء المهاجمين لن يستطيعوا أن يقهروا الشعب العراقي. وإذا أرادوا أن يتحاشوا مواجهة الشعب العراقي، فإن عليهم أن يخلوا العراق من جنودهم فوراً، ويمتنعوا تماماً عن التدخل في مصير العراق وشعبه.

إنَّ الحكم في العراق والمصادر والثروات العراقية هو ملك الشعب العراقي، وهو قادر على تعيين حكومته الآتية، ولو كان الأميركيون صادقين في ادعائهم للديمقراطية، فإن عليهم ألا يتدخلوا في الشؤون العراقية، ليقوم الشعب بنفسه من خلال الاستفتاء العام بتعيين نظامه المستقبلي، وانتخاب مسؤوليه وتعيين الأسلوب المناسب لإعادة أعمار ما هدمه هؤلاء المهاجمون. إن موقف الشعب الإيراني وحكومته واضح. لقد خالفنا نظام صدام القمعي الظالم، واعترضنا على اعتداء الأجانب على العراق. أما بالنسبة للحرب بين صدام وأميركا وإنجلترا، فقد اعتبرنا الطرفين ظالمين ولم نقدم أي عون لأي منهما، وأعلننا عدم الانحياز لأي منهما، ولكننا لن نقف على الحياد في مجال الصراع بين المحتلين والشعب العراقي.

إن المحتل معتد مدين وإن الشعب المقاوم محق ومظلوم، وإن دعمنا

المعنوي والسياسي لكل شعب مظلوم معتدى عليه هو سبيلنا الذي لا نحيد عنه.

إنّ الشعب العراقي اليوم يتحمل مسؤولية ضخمة، وإن أي تفريط أو تمزق في الموقف يرسم في طياته مستقبلاً صعباً لهم.

فالوحدة الوطنية والوجود في الساحة والمساهمة في تشكيل الحكومة المستقلة المدافعة عن الهوية الإسلامية، هي من أكبر واجبات الشعب العراقي، وخصوصاً العلماء والمثقفين والنخب العلمية والسياسية.

والله تعالى أسأل أن يوفق أمتنا الإسلامية للسير على درب التزكية والتقوى لتحقيق أهدافها المنشودة إنّه هو السميع المجيد.

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾.

صدق الله العلي العظيم



المنهج الروائي في تفسير القرآن الكريم

«القسم الأول»

✽ الدكتور محمد علي رضائي الاصفهاني

✽ تعريب: عبدالكريم الترماني

١ - المقدمة:



يُعَدُّ المنهج الروائي في تفسير القرآن، من أشهر المناهج التفسيرية وأقدمها. وهو أحد أقسام «التفسير بالمأثور»^(١) أو التفسير النقلي. وقد امتاز التفسير الروائي بمكانة خاصة من بين الطرق التفسيرية، ونال دائماً اهتمام المفسرين. ويُشير التاريخ أحياناً إلى ظهور اتجاه إفراطي فيه؛ بحيث أنَّ بعض المفسرين اتَّبَعَ هذا المنهج فقط، وردَّ المناهج الأخرى. ولاشك أنَّ هناك اتجاهات مخالفة، ومعتدلة في هذا

(١) التفسير بالمأثور يشمل: تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنة، تفسير القرآن بكلام الصحابة، وتفسير القرآن بكلام التابعين، والمراد بالتفسير الروائي هو القسم الثاني. (انظر: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، آية الله معرفة، ج ٢، ص ٢١، وما بعدها).

المجال أيضاً.

سنتناول في هذا البحث، التفسير الروائي من وجهة نظر ذوي الاختصاص. وما واجهه من حركات إفراطية وتفریطية، وكذلك دوائر أقسام الحديث وتأثيرها في تفسير القرآن الكريم؛ لترتفع إبهامات استخدام الروايات في التفسير، ولنتمكن من الاستفادة من أحاديث الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ في تفسير القرآن بصورة أفضل، ونقتبس من نور الثقلين الوضاء.

٢- المفردات

يضمّ هذا المبحث ثلاث مفردات أساسية:

أ- المنهج: والمراد منه هنا، الاستفادة من الوسائل، أو من المصدر الخاص في تفسير الآيات القرآنية، الذي يكشف عن معاني ومقصود الآية ويبرز نتائج معيّنة.

ب- التفسير: وهو عبارة عن كشف وإزاحة الستار عن إبهامات الكلمات والعبارات القرآنية، وتعريّة مقاصدها وأهدافها. وبعبارة أخرى: تبين المراد الظاهري للآيات القرآنية، وكشف مرادها الجدّي من خلال قواعد الأدب العربي والأصول العقلانية للحوار^(١).

ج- الروائي:

١- في اللغة: الرواية في الأصل «روى» بمعنى «الحمل والنقل»،

(١) لقد عُرّف التفسير في مباني المناهج التفسيرية. واكتفينا هنا بعرض خلاصة أقوال العلماء في المفردات للرأغب الإصفهاني، تاج العروس، قاموس القرآن، الميزان للعلامة الطباطبائي (ج ١، ص ٤)، الإتقان للسيوطي (ج ٢، ص ١٩٢)، مجمع البيان للطبرسي (ج ١، ص ١٣). وردت هذه الأقوال وخلاصتها في كتاب: «درآمدي بر تفسير قرآن»، ص ٣٥ إلى ص ٣٩.

ورواية الحديث تعني حمل الحديث ونقله^(١).

٢- في الاصطلاح: قسّم خبراء المناهج التفسيرية، التفسير بالمأثور أو التفسير النقلي الى أربعة أقسام:

الأول: تفسير القرآن بالقرآن.

الثاني: تفسير القرآن بالسنة.

الثالث: تفسير القرآن على أساس أقوال صحابة الرسول ﷺ.

الرابع: تفسير القرآن على أساس أقوال التابعين^(٢).

لكن المقصود من منهج التفسير الروائي، هو تفسير القرآن بالسنة. والمراد من الرواية هو قول وفعل وتقرير المعصوم (وهو أعظم من النبي ﷺ والأئمة ﷺ)؛ أي أن المعصوم أحياناً يفسر الآية بكلامه، وأحياناً بعمله كما في أدائه للصلاة؛ فإنه يفسر آيات الصلاة. وتارة يلقي أحداً ما في محضره مطلقاً يفسر آية، أو يؤدي عملاً مستنداً الى آية، فيقرّه المعصوم، أي يؤيده بسكوته.

خلاصة واستنتاج

المراد من المنهج الروائي للتفسير هنا، هو أن يستفيد مفسر القرآن من سنة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، والتي تشمل قولهم وفعلهم وتقريرهم؛ ليوضح بها مفاد الآيات ومقاصدها. ولهذا المنهج نتائجها الخاصة به. تذكرة: مع أننا نستعمل روايات الصحابة والتابعين في تفسير القرآن

(١) مصباح اللغة: مادة «روى»، وكذلك «التحقيق في كلمات القرآن الكريم»، ج ٤، ص ٨ مادة: «رأى» أخذ مادة رأى، وذلك باعتبار أن في الرؤية، قبول وتحمل النور المرئي.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، آية الله معرفة، ج ٢، ص ٢١، وما بعدها.

في موارد خاصة، ونرى أنَّ الكثير من كلامهم مفيد في التفسير؛ إلا أننا نختلف مع أهل السنة في حجيتهم للسنة، ومدى اعتبار رواياتهم. وسيتضح هذا المطلب في المباحث اللاحقة.

٣- نبذة تاريخية

يمكن تقسيم الحركة التاريخية للتفسير الروائي الى عدة مراحل:

أ- عصر النبي ﷺ:

نشأ التفسير الروائي للقرآن مع الوحي، فهو توأمه؛ لأنَّ أول مفسِّر للقرآن هو النبي ﷺ الذي أمره الله تعالى بتفسير القرآن وتبينه في قوله عزَّ وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (١).

ولا ريب أن لسنة النبي ﷺ وبيانه امتداداً في الوحي أيضاً، كما قال ﷺ: «ألا وأني أوتيت القرآن ومثله معه» (٢).

والصحابة بدورهم تعلّموا التفسير من النبي ﷺ من خلال مراجعتهم له، وكان يجلسون عنده أحياناً ليستمعوا حديثه، ويتعلموا معاني وتفسير القرآن. كما ورد ذلك عن ابن مسعود في قوله: «كان الرجل مئاً إذا تعلّم عشرة آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» (٣).

وكان الصحابة يسألون النبي ﷺ عن بعض المطالب، وكانوا ينتظرون أحياناً مجيء عرب البادية ليسألوا النبي ﷺ فيستفيدوا من ذلك (٤).

(١) سورة النحل، الآية ٤٤.

(٢) الإتيقان، ج ٤، ص ١٧٤.

(٣) تفسير الطبري: ج ١، ص ٥٦.

(٤) المعيار والموازنة للاسكافي: ص ٣٠٤، والتفسير والمفسرون للآية الله معرفة: ج ١، ص ١٧٥.

وتارة كانوا يتخذون عمل النبي ﷺ مفسراً للقرآن، كما أن النبي ﷺ نفسه كان يقول في خصوص الصلاة: «صلّوا كما رأيتموني أصلي»^(١).

وفي مورد الحجّ كان ﷺ يقول أيضاً: «خذوا عني مناسككم»^(٢). وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ لهم: ثلاثاً ولا أربعاً، حتى كان رسول الله ﷺ هو الذي فسّر ذلك لهم»^(٣). نعم، كان النبي ﷺ يبيّن المطالب الكلية للقرآن، كالصلاة والصوم والحج، وكذلك كان يكشف عن موارد تخصيص العام، وتقييد المطلق من الآيات، ويوضّح ماهو غامض من المفردات القرآنية، والاصطلاحات الجديدة، ويبين الناسخ والمنسوخ من الآيات. وكل هذا يعدّ تفسيراً للقرآن الذي وصلنا مصبوباً في قالب الروايات والسنة، وأصبح مصدراً للتفسير الروائي^(٤).

ب - عصر أهل البيت عليه السلام :

استمر منهج التفسير الروائي في عهد الأئمة، خلفاء النبي ﷺ أيضاً؛ حيث كان الإمام علي عليه السلام في التفسير التلميذ الأوّل للرسول الأكرم ﷺ^(٥).

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج ٨٥، ص ٢٧٩.

(٢) لم نعثر على هذه الرواية بهذا اللفظ؛ لكنّ مضمونها ورد في بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٩٥ و ج ٣٧، ص ١١٥.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٢٨٦، والعياشي: ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥١، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل: ج ١، ص ١٤٩، والتفسير والمفسرون لآية الله معرفة: ج ١، ص ١٨١.

(٤) للاطلاع على الأحاديث التفسيرية للنبي ﷺ، انظر: الإتيان: ج ٤، ص ١٨٠ و ص ٢١٤ - ٢٥٧، وكذلك راجع: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب لآية الله معرفة: ج ١، ص ١٨١ - ١٩٩.

(٥) هذا ما اعترف به الدكتور الذهبي في التفسير والمفسرون: ج ١، ص ٨٩.

وقد سمع حديثه وتوضيحاته، وكان يحكيها عنه ﷺ.

وهكذا الأئمة من أهل البيت ﷺ كانوا يتبعون هذا المنهج، ويحكون للناس الأحاديث المتعلقة بالتفسير عن النبي ﷺ، وعن الإمام علي ﷺ، ويستدلّون بها، وقد يصل عدد هذه الروايات المروية عن أهل البيت ﷺ الى آلاف الروايات (١).

ولما كان أهل البيت ﷺ على مساس بالعلوم الإلهية، فإنّهم كانوا يفسّرون القرآن أيضاً لذلك؛ فإنّ حديثهم وسنّتهم تعتبر مصدراً من المصادر التفسيرية أيضاً، وتعدّ هذه الأحاديث جزءاً من التفسير الروائي. سأل رجل في مكة الإمام الرضا ﷺ قائلاً:

إنّك لتفسّر من كتاب الله ما لم يسمع؟ فقال: علينا نزل قبل الناس، ولنا فسّر قبل أن يُفسّر في الناس، فنحن نعرف حاله، وناسخه ومنسوخه...» (٢).

وفي حديث آخر قال الإمام ﷺ:

«فإنّما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا الى تفسيره، فالاقتداء بنا وإلينا» (٣).

بناءً على هذا، فإنّه يمكن القول أن أهل البيت قد أسسوا مدرسة قرآنية من خلال سنّتهم، تتضمن المطالب الكلية للقرآن، وآيات الأحكام، والمخصّص والمقيّد، والمفردات المتنوعة، والناسخ والمنسوخ، والاصطلاحات القرآنية الجديدة، وكذلك مطالب أخرى في بطن القرآن وتأويله ومصاديق الآيات المختلفة.

(١) نقل آية الله معرفة في «التفسير والمفسرون»: ج ١، ص ١٨١، أن حفيد السيد هاشم البحراني جمع لحد الآن أربعة آلاف حديث عن النبي ﷺ، مروية عن أهل البيت ﷺ.

(٢) نور الثقلين: ج ٤، ص ٥٩٥، ح ١٩.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ص ٢٥٨، ح ٣٥٩.

ج - عصر الصحابة والتابعين:

لفتت روايات النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ أنظار الصحابة والتابعين؛ حتى أنَّ صحابة كباراً من أمثال ابن عباس، وابن مسعود لم يجدوا أنفسهم في غنى عن تفسير الإمام علي ﷺ للقرآن الكريم. وكانوا يجدون فيه ضالتهم، وأنَّ الكثير من الأحاديث التفسيرية المروية عن ابن عباس مأخوذة عن أمير المؤمنين ﷺ (١).

ومما لا ريب فيه أنَّ الصحابة والتابعين كانوا يفسرون القرآن أيضاً، وهناك الكثير من الروايات التفسيرية المنقولة عن ابن عباس وغيره (٢). في هذه المرحلة جُمعت الروايات التفسيرية بصورة تدريجية، ونُظِّمت في مجموعات، اشتهرت فيما بعد بكتب التفسير الروائي.

ح - عصر إعداد وتأليف الروايات التفسيرية:

من أوائل هذه المجموعات لدى الشيعة، التفسير المنسوب للإمام علي ﷺ الذي ورد ضمن رواية مفصلة في بداية التفسير النعماني (٣). وكذلك «مصحف علي بن أبي طالب» الذي يضمّ بالإضافة إلى الآيات القرآنية، التفسير، والتأويل، وأسباب النزول؛ إلّا أنَّ هذا الكتاب ليس بين أيدينا الآن (٤).

(١) قال ابن عباس: جلّ ما تعلّمت من التفسير، من علي بن أبي طالب (بحار الأنوار: ج ٨٩، ص ٦-١٠٥).

(٢) انظر: التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي، وكذلك التفسير والمفسرون لآية الله معرفة (مبحث ابن عباس).

(٣) وردت هذه الرسالة أيضاً تحت عنوان: «رسالة المحكم والمتشابه»، منسوبة للشيخ المرتضى ﷺ في الأجزاء المختصة بالقرآن من بحار الأنوار (انظر: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر: ٣١٨).

(٤) راجع: بحار الأنوار للمجلسي: ج ٨٩، ص ٤٠، والتمهيد في علوم القرآن لآية الله معرفة: ج ١، ص ٢٩٢، و «سير تطور تفاسير الشيعة» للسيد محمد علي الأيازي: ص ٢٨.

وأيضاً التفسير المنسوب للإمام الباقر عليه السلام (٥٧-١١٤ هـ) الذي رواه أبي الجارود^(١). وهكذا التفسير المنسوب للإمام الصادق عليه السلام الذي جاء موزعاً في كتاب «حقائق التفسير القرآني»^(٢).

ويمكن أن نعدّ في هذه المرحلة أيضاً تفاسير: علي بن إبراهيم القمي (٣٠٧ هـ)، فرات الكوفي (كان حياً في سنة ٣٠٧ هـ)، العياشي (المتوفى سنة ٣٢٠ هـ)، النعماني (المتوفى بعد سنة ٣٢٤ هـ)، والتفسير المنسوب للإمام الحسن العسكري (المتوفى ٢٥٤ هـ).

إنّ الروايات الفقهية المروية عن النبي وأهل بيته عليهم السلام والتي تعدّ تفسيراً لآيات الأحكام قد جُمعت أيضاً في موسوعات من مثل: الكافي، من لا يحضره الفقيه، تهذيب الأحكام، والاستبصار.

ونجد في هذه المرحلة أيضاً تفسير «جامع البيان في تفسير القرآن» لابن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ). كما دوّنت في هذه الفترة موسوعات حديثة، كصحاح أهل السنة الستة. ثم واجه التفسير الروائي بعد ذلك فترة من الركود النسبي امتدت من القرن الخامس وحتى القرن التاسع الهجري، وحينها بدأت التفاسير العقلية والاجتهادية بالظهور. ومن القرن العاشر حتى القرن الثاني عشر نجح الاتجاه الإخباري الشيعي في كتابة تفاسير روائية أخرى، كتفسير «البرهان في تفسير القرآن» للسيد هاشم الحسيني البحراني (المتوفى سنة ١١٠٧ هـ)، وتفسير «نور الثقلين» للحويزي (المتوفى ١١١٢ هـ).

وكذلك دوّنت موسوعات حديثة كبيرة كوسائل الشيعة،

(١) الفهرست لابن النديم: ص ٣٦.

(٢) سير تطور تفاسير الشيعة: ص ٣٩.

والوافي، وبحار الأنوار التي تعد الكثير من رواياتها تفسيراً للقرآن.

وكتب من أهل السنة في هذه المرحلة أيضاً، جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ هـ) في تفسيره المسمى «الدر المنثور».

ويهتم المفسرون اليوم أيضاً بالروايات التفسيرية المنقولة عن النبي ﷺ وأهل بيته  ويستفاد عادة من هذه الروايات في أثناء التفسير، أو توضع في فصل مستقل، يخضع للنقد والتحقيق كما فعل العلامة الطباطبائي في تفسيره «الميزان»؛ حيث جعل في أسفل كل مجموعة من الآيات بحثاً تحت عنوان: «بحث روائي».

تذكرة: الروايات التفسيرية في عصر الجمع والتدوين لم تنج من ظاهرة الجعل والإسرائيليات؛ حيث ورد فيها بعض الروايات الضعيفة والمصطنعة، وهذا ما يفرض مزيد من الدقة والتمحيص عند مراجعة الروايات التفسيرية وما شاكلها.

٤- آراء حول دور الروايات في التفسير:

في هذا المبحث نستعرض آراء العلماء حول دور الروايات ومدى فاعليتها في التفسير، ويمكن تقسيم هذه الآراء الى ثلاثة أقسام:

* القسم الأول: استقلال القرآن واستغناؤه عن الأحاديث التفسيرية.

ويمكن طرح هذا الرأي بعدة صور:

أ- نزل القرآن بلسان عربي فصيح؛ فهو قابل للفهم، وأن عقلنا كافي لفهمه، إذن لا حاجة لنا بالأحاديث^(١).

(١) در آمدي بر تفسير علمي قرآن، ص ١٠٣، لكتاب المقال.

التحقيق:

أولاً: لا ينسجم هذا الرأي مع بعض الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية؛ كالآية ٤٤ من سورة النحل، وحديث الثقلين، التي تدلّ على اعتبار وحجية أحاديث النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ في تفسير القرآن الكريم^(١).

ثانياً: لم يلتفت هذا الرأي إلى أن تفسير القرآن، لا يعني توضيح المفردات العربية فحسب؛ بل أن القرآن يضم في طياته كليّات تحتاج إلى تفسير وتبيان لجزيئاتها كالصلاة، الصوم، الزكاة، الحج، وغيرها. وقد بُيّنت جزئيات هذه الأحكام في الأحاديث. كما أن للقرآن تأويلاً وبطناً ورد بيانهما في الروايات التفسيرية.

ثالثاً: إنّ تفسير القرآن دون الرجوع لأحاديث النبي ﷺ وأهل البيت ﷺ، التي تعدّ قرائن نقليّة لتفسير الآيات القرآنية، هو تفسير بالرأي كما صرّح بذلك بعض أصحاب الرأي في هذا المجال^(٢).

تذكّرة: يمكننا القول بأن هذا الرأي هو امتداد لذلك الخط الفكري، الذي تبجّح بشعار: «حسبنا كتاب الله»، الذي ظهر في عهد رسول الله ﷺ، وأصرّ على الفصل بين القرآن المجيد وأهل البيت ﷺ؛ وهذا يعني أن هذا الرأي كان سياسياً قبل أن يكون علمياً مما يجعله مرفوضاً على أية حال.

ب: رأي العلامة الطباطبائي رحمه الله:

للعلامة الطباطبائي في هامش الآية (٧) من سورة آل عمران، بحث مفصّل في خصوص روايات التفسير بالرأي، يقول في نهايته:

(١) سنتناول هذا المطلب في المبحث التالي تحت عنوان: «حجية السنّة في تفسير القرآن» بصورة مفصلة.

(٢) البيان في تفسير القرآن لآية الله الخوي، ص ٢٦٩.

«والمحصّل: أنّ المنهي عنه، إنّما هو الاستقلال في تفسير القرآن، واعتماد المفسّر على نفسه من غير رجوع الى غيره، ولازمه وجوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه، وهذا الغير لا محالة إمّا هو الكتاب أو السنّة، وكونه هو السنّة ينافي القرآن، ونفس السنّة الآمرة بالرجوع إليه وعرض الأخبار عليه، فلا يبقى للرجوع إليه، والاستمداد منه في تفسير القرآن إلّا نفس القرآن»^(١).

وظاهر كلامه يشير الى عدم صحة التفسير الاستقلالي لآيات القرآن؛ لأنّه تفسير بالرأي. وتفسير القرآن بالسنّة ليس صحيحاً أيضاً؛ لأنّه ينافي القرآن ونفس السنّة.

إذن الطريق الوحيد لتفسير القرآن هو الرجوع الى نفس القرآن، الذي يُعبّر عنه بتفسير القرآن بالقرآن.

التحقيق:

مع أنّ ظاهر كلام العلامة الطباطبائي كان يؤكّد عدم حاجة تفسير القرآن الى الروايات؛ بل عدم جوازه، إلّا أننا عندما نلاحظ قوله في أسفل الآية (٤٤) من سورة النحل، نجده يعتبر ببيان النبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﻮﺗﺎﻟﻴﻦ، حجة في تفسير القرآن^(٢).

إذن فمراده في ظاهر كلامه في هامش الآية (٧) من سورة آل عمران لم يكن بصورة مطلقة.

وهناك تحليل في استقلال القرآن، لتلميذه الفاضل آية الله الجوادي الآملي، لعله يكون مبرراً جيداً لكلام العلامة الطباطبائي ﷺ، فهو يقول: «أولاً: إنّ الثقلين لا ينفصلان أبداً؛ بل هما متحدان، ويشكلان معاً حجة

(١) الميزان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٨٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٢٦٠.

إلهية؛ إلا أن أحدهما يعتبر أصلاً والآخر فرعاً، فيكون أحدهما متناً والآخر شرحاً، (القرآن والعتره، لاهما منفصلان، ولا في عرض واحد)؛ فالدين إذن مرتبط بالقرآن والسنة معاص عند طرح خطابه النهائي.

ثانياً: إن القرآن الكريم لا يحتاج الى غيره - أي للأحاديث - سواء في السند أو في حجية الظواهر، وسواء في طرحه للخطوط الكلية للدين، وهو مستقل في حدوثه وبقائه، ويعد الثقل الأكبر بالنسبة للروايات؛ لأنها تابعة له حدوثاً وبقاءً، والمراد من الاستقلال هو الاستقلال النسبي لا النفسي.

من هنا، فالاعتماد على الأصول العقلائية في فهم معاني ألفاظ القرآن سوف لا يكون منافياً لاستقلاله في الحجية والدلالة.

ثالثاً: إن ارتباط الروايات بالقرآن يكون من خلال اعتبار السنة (سواء في السنة القطعية أو في غير القطعية)، كما أنه يتحقق من جهة اعتبار المتن (في خصوص السنة غير القطعية)، وبعد أن يتحقق أصل اعتبار السنة بواسطة القرآن، تصبح السنة حجة مستقلة غير منحصرة، نظير القرآن أيضاً^(١).

«إذن، فالقرآن مستقل في جميع شؤونه، لا يحتاج غيره، لكن؛ بما أن الدين مرتبط بالقرآن، كما أنه مرتبط بسنة المعصومين عليه السلام في خطابه النهائي؛ فعليه فإن دائرة القرآن والسنة لا تقبل الانفصال في إطار (الدعوة للدين قابلة للاعتقاد والعمل). وبعبارة أخرى، إن القرآن يتكفل بتبيين الخطوط الكلية للدين، والسنة تتكفل بتبيين الحدود والجزئيات والتفاصيل والأحكام»^(٢).

(١) تفسير تسنيم: ج ١، ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥٤.

* القسم الثاني: عدم جواز تفسير القرآن؛ إلا بالروايات.

بناءً على هذا الرأي الإفراطى الذي يُنسب الى بعض الإخباريين؛ فإنّ تفسير الآيات القرآنية غير جائز إلا بالروايات؛ لذلك نرى في بعض التفاسير الروائية كالبرهان، ونور الثقلين أنّهم اكتفوا بسرد الروايات فقط.

وقد استدلل أصحاب هذا الرأي بالأدلة التالية:

أ: إنّ ظواهر القرآن ليست حجة، فكل تفسير للقرآن يستند على ظواهر القرآن، والأدلة العقلية والاجتهادية هو تفسير بالرأي، وهذا ما مُنع العمل به في الروايات، وهو حرام، وبناءً على هذا فإن تفسير القرآن غير جائز إلا بأحاديث النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ.

ب: الروايات القائلة: إنّ فهم القرآن يختص بمخاطبيه؛ تعني أهل البيت ﷺ. على سبيل المثال، في الحديث الوارد عن الإمام الباقر ﷺ عندما كان قتادة فقيه البصرة حاضراً عنده، فقال له ﷺ: «بلغني أنّك تفسّر القرآن؟ قال له قتادة: نعم. فقال أبو جعفر ﷺ: بعلم تفسره، أم بجهل؟ قال: لا بل بعلم.. فقال له أبو جعفر ﷺ: ويحك يا قتادة إنّ كنت إنّما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلك...»^(١).

ج: عجز العقل البشري عن تفسير القرآن

وُصف العقل البشري في بعض الأحاديث، بأنّه عاجز عن تفسير القرآن، وبعيد عن دائرته^(٢).

ومن جملة تلك الأحاديث ما حكاه الإمام الصادق ﷺ عن النبي ﷺ:

(١) تفسير الصافي: ج ١، ص...

(٢) مباني وروشهای تفسیر قرآن: ص ٢٠١-٢٠٣.

«أنه ليس شيء أبعد من الرجل من تفسير القرآن»^(١).
وفي رواية أخرى يقول الإمام الصادق عليه السلام لجابر:
«إن للقرآن بطناً، وللبطن بطن. (ثم قال): يا جابر وليس شيء أبعد من عقول
الرجال منه»^(٢).

د: هذه أدلة أخرى أتى بها أصحاب هذا الرأي لدعم رؤيتهم:
(د - ١): الاعتماد على الظن في التفسير غير جائز، وكل تفسير لا يعتمد
على الرواية لا أساس له سوى الظن^(٣).
(د - ٢): إن النبي ﷺ هو مبين القرآن، والآيات القرآنية ليست واضحة
حتى لا تحتاج الى تفسير النبي ﷺ^(٤).

وبما أن هذين الدليلين لا يرتبطان بموضوع بحث «عدم جواز تفسير
القرآن إلا بالروايات»؛ لذا صرفنا النظر عن توضيحهما وردّهما.
التحقيق: يتناول العلماء حجية ظواهر القرآن وأدلتها في علم أصول
الفقه، وقد نقد الأصوليون أدلة الإخباريين في هذا الخصوص^(٥).
ومن الواضح أن ظواهر القرآن حجة ولا مانع من التفسير والعمل بها
بعد البحث عن القرائن العقلية والنقلية، ولا يُعدّ تفسيراً بالرأي.
وفي خصوص رواية «من خطب به» قلنا أيضاً: إن هذا النوع من الأحاديث
يشير الى الفهم الكامل للقرآن، ومراتبه العالية أعم من الظاهر والباطن، وهذا ما
يختص بأهل البيت عليه السلام؛ وإلا فإن فهم القرآن لا ينحصر بالمعصومين^(٦).
وما يتعلق بدور العقل البشري، والروايات المتعلقة بذلك فإن المراد

(١) مرآة الأنوار: ص ١٧.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٩٠.

(٣) ميباني وروشهای تفسير قرآن، للعميد الزنجاني، ص ١٩٤.

(٤) ميباني وروشهای تفسير قرآن، للعميد الزنجاني، ص ١٩٧.

(٥) راجع: كفاية الأصول للأخوند الخراساني، وفرائد الأصول للشيخ الأنصاري.

(٦) البيان في تفسير القرآن، آية الله الخوئي ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

من هذه الأحاديث هو أنَّ فهم جميع مراتب ومراحل الآيات، أعمّ من الظاهر والباطن لا يتيسّر للجميع. وهذا يعني نفي العلم بمجموع القرآن لكل الناس. وبعبارة أخرى، لا يمكن لأي شخص أن يدرك تمام المعاني الظاهرة والباطنة للقرآن (نفي الكلّي، لا سلب الكلّي)؛ لكنّ الثلّة من أهل البيت (عليه السلام)، والراسخين في العلم يتمكنون من تحصيل جميع العلوم والمعارف القرآنية. وفي الحقيقة هذه الأحاديث هي قبال فكرة «حسبنا كتاب الله»؛ فهي تنفي تفسير القرآن بدون مراجعة القرائن النقلية (روايات النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام))، ولا يعني ذلك حصر التفسير في الروايات.

* القسم الثالث: الروايات وسيلة وقرينة لتفسير الآيات القرآنية.

إنّ هذا الرأي معتدل، ويتخذ طريقاً وسطاً بين الرأيين السابقين الإفراطي والتفريطي. وبناءً على هذا الرأي، فإنّ أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) هي بمثابة القرائن العقلية، وتشكّل الآيات القرآنية قرينة وأداة لإيضاح معاني ومقاصد الآيات، وتتنوع استخداماتها في تفسير القرآن؛ فتارة تكشف أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) عن شأن نزول الآية، وتارة تبين مصداقها، وأحياناً تفصح عن تأويل الآية وباطنها، وأحياناً أخرى تقوم بشرح جزئيات آيات الأحكام.

وعلى هذا الأساس لا يصح تفسير القرآن بدون مراجعة القرائن النقلية المتوفرة في الأحاديث؛ وذلك من باب مراجعة العام قبل البحث عن المخصّص، ومراجعة المطلق قبل مراجعة المقيد.

والدليل الآخر لهذا الرأي هو حجّة واعتبار أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) في تفسير القرآن؛ فهي تعدّ قرينة لفهم وتفسير الآيات القرآنية. وأنّ تفسير القرآن بدون مراجعة هذه القرائن يعتبر لوناً من ألوان التفسير بالرأي.

خلاصة ونتيجة

مع أخذ النظر بالاعتبار بطلان الرأي القائل باستقلال القرآن عن الأحاديث، وهكذا الرأي الافراطي القائل بعدم جواز تفسير القرآن إلا بالأحاديث، وثبات الرأي الثالث، فإننا نستقبل الرأي الثالث، ونواصل المباحث التالية على هذا الأساس.

نستنتج من مجموع المباحث المطروحة في هذا الفصل، عدم انفصال أحاديث أهل البيت عليه السلام عن القرآن، وأنها ليست في عرض القرآن؛ لأن القرآن هو الأصل في تقييم الروايات، وهي الفرع. وما يخالف منها القرآن يضرب عرض الحائط، وما لا يخالفه ويتمتع بالشروط اللازمة يمكن أن يكون شارحاً ومفسراً للقرآن.

من هنا يتضح أن الأحاديث التي في طول القرآن تكون حجة، وتشكل معه حجة واحدة عند الخطاب النهائي للدين. وأخيراً يمكن القول: أن سنة النبي والأئمة عليهم السلام هي مصدر لتفسير القرآن من جهة، ومن جهة أخرى تكون وسيلة وقرينة لتفسير القرآن. ولا منافاة بين هذه المطلبين.

حجية السنة في التفسير

في هذا المبحث ينبغي أن نستعرض المطالب في ثلاث جهات:

أ- حجية سنة النبي صلى الله عليه وآله في تفسير القرآن:

دعم القرآن الكريم أصل حجية سنة النبي صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (١).

ففي هذه الآية ورد تبيان النبي صلى الله عليه وآله الى جنب الوحي القرآني، وإذا لم

(١) سورة النحل، الآية ٤٤.

يكن تبيان النبي ﷺ حجة على الناس ومعتبراً، وواجب الاتباع؛ فإن هذا القول يصبح لغواً.

وبناءً على هذا، فإن كلام النبي ﷺ وتوضيحاته وتفسيره للآيات القرآنية حجة ومعتبر، وقد صرح بهذا المطلب في هامش الآية المذكورة، كبار مفسري القرآن أيضاً^(١). هذا من جانب، ومن جانب آخر، وكما مر في النبذة التاريخية للبحث أن النبي الأكرم ﷺ كان يفسر القرآن بقوله وعمله، وحتى أنه كان يأمر الناس ليتبعوه في جزئيات أحكام الصلاة والحج وما شاكل ذلك. وقد فعل الصحابة ذلك. واستمرت هذه السيرة العملية الى يومنا هذا أيضاً.

وواضح أن سنة النبي ﷺ تشمل قوله وفعله وتقريره ﷺ؛ لكن حجيتها لها شروطها وقيودها ودائرتها الخاصة. وسنشير في المباحث التالية الى ذلك.

ب: حجة سنة أهل البيت ﷺ في التفسير:

بيّن الإمام علي والأئمة المعصومون من بعده ﷺ، المزيد من المباحث المتعلقة بتفسير القرآن، وتفصيل آيات الأحكام. وقد ذكرنا نماذج من ذلك في مبحث النبذة التاريخية السالف. وأن أكثرها قد جمعت في التفاسير الروائية.

وكما هو الحال بالنسبة للروايات التفسيرية للنبي ﷺ، فإن الروايات التفسيرية لأهل البيت ﷺ هي كذلك حجة، ومعتبرة في التفسير بالشرائط الخاصة بذلك. أي أن بيانهم متصل ببيان النبي ﷺ في الآية ٤٤ من سورة النحل.

(١) راجع: الميزان في تفسير القرآن، ج ١٢، ص ٢٦٠ - ٢٦١، والتفاسير الأخرى تحت عنوان الآية.

وتوجد أدلة كثيرة في هذا الصدد نشير الى بعض منها^(١):
 الدليل الأول: حديث الثقلين الذي حكاه علماء ورواة الشيعة والسنة بصورة متواترة عن النبي ﷺ؛ حيث قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، حتى يردا عليّ الحوض»^(٢). في هذا الحديث ورد التمسك بالقرآن وأهل البيت ﷺ سوية جنباً الى جنب، وجعل شرطاً لعدم الضلال. إذن إذا لم يتمسك المسلمون بكليهما أو بأحدهما يضلّوا، وبناءً على هذا، فإن أهل البيت ﷺ حجة والى جانب القرآن بالاعتبار. وحجة أهل البيت ﷺ ليست إلا حجة سنتهم، أي قولهم وفعلهم وتقريرهم، ورواياتهم التفسيرية هي جزء من سنتهم التي هي حجة معتبرة، ويجب التمسك بها.

الدليل الثاني: ما ورد عن أهل البيت ﷺ في أحاديث متعددة تؤكد على أن حديثهم حديث النبي ﷺ منها ما ورد عن أبي عبد الله ﷺ: «حدثني أبي وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ وحديث رسول الله ﷺ قول الله عز وجل»^(٣).

ومن الواضح جداً أنّ أهل البيت ﷺ يتسمون بالعدالة والثقة، وأنّ ما يحكوه عن النبي ﷺ معتبر؛ وعلى هذا فإنّ أحاديثهم التفسيرية وغيرها

(١) يمكن الاستفادة هنا من دليل عصمة أهل البيت ﷺ؛ لكننا سنورد في هذا المجال أدلة تكون موزعة لقبول الطرفين.

(٢) نقل هذا الحديث في كتب متعددة للشيعة والسنة بألفاظ وأسانيد مختلفة، بواسطة مجموعة من الصحابة والتابعين أمثال: زيد بن أرقم، زيد بن ثابت، أبي سعيد الخدري، حذيفة، وأبي زهرة.

انظر: صحيح الترمذي: ج ٢، ص ٢٠٨، وفضائل الخمسة: ج ٢، ص ٥٢-٦٠، والغدير، وإحقاق الحق ..

(٣) راجع: الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص ٣٣ ومعجم رجال الحديث لآية الله الخوئي: ج ١٨ ص ٢٧٦.

هي أحاديث النبي ﷺ التي وصلتنا بالواسطة^(١).
 الدليل الثالث: الأحاديث الأخرى التي تدل على ملازمة الإمام علي عليه السلام والأئمة من بعده للقرآن^(٢)، وقد ذكر ذلك الشيعة والسنة، ونحن تجنبنا ذكرها مراعاة للاختصار^(٣).

ج - روايات الصحابة والتابعين:

مع أن البعض يرى أن التفسير الروائي يشمل روايات الصحابة والتابعين^(٤)؛ إلا أننا نقول بالتفصيل في قضية اعتبار القول المنقول عن صحابة النبي ﷺ والتابعين في تفسير القرآن كما يلي:

(ج - ١): المطالب التي وردت عنهم كمعاني لكلمات القرآن، تكون معتبرة في دائرة اللغة العربية الأصلية؛ حيث يفترض أنهم أصحاب خبرة فيها في صدر الإسلام، فتستقبل بعنوان قول لغوي أصيل مع مراعاة الشرائط الخاصة بذلك.

(ج - ٢): المطالب المنقولة عن الصحابة في بيان شأن نزول الآيات، تكون معتبرة في حالة أنهم شهدوا واقعة شأن النزول، وموثوق بهم. وهذا طريق جيد لمعرفة أسباب نزول الآيات.

(ج - ٣): المطالب التي حكوها عن النبي ﷺ، تكون معتبرة فيما لو كانت

(١) لا ريب أن هذا الدليل لا يشمل القسم الآخر من المطالب التي بيّنها أهل البيت عليه السلام على أساس فهمهم للقرآن، أو عن طريق الإلهام و...

(٢) ورد عن رسول الله ﷺ: علي مع القرآن والقرآن مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، راجع مستدرک الصحيحين: ج ٣، ص ١٢٤، وفضائل الخمسة: ج ٢، ص ١٢٦.

(٣) لما كان مبحث حجية سنة أهل البيت عليه السلام من الأسس والمباني التفسيرية، ولا مجال لبحثها في المناهج التفسيرية، فإننا صرفنا النظر عن الإتيان بالأدلة والشواهد والمطالب الأخرى، ونحيل القراء إلى تلك المباحث راجع: علوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم: ص ٢٥٥.

(٤) أصول التفسير وقواعده، للشيخ خالد عبد الرحمن العك: ص ١١١.

تحكي قوله أو فعله أو تقريره ﷺ، وثبت وثوقهم.

(ج - ٤): المطالب التي يتنوها باجتهادهم الشخصي في فهم الآيات القرآنية، تكون محترمة مادامت تعبر عن رأيهم الخاص. وهي كقول سائر المفسرين تخضع للنقد والدراسة؛ لكنّ هذا الكلام ليس بحجة علينا؛ لأنّه لا يوجد دليل على اعتباره من القرآن أو السنّة النبوية أو العقل. ولا اجماع عليه أيضاً في هذا المورد.

بناءً على هذا، فإنّ سنّة الصحابة والتابعين - من غير أهل البيت ﷺ - غير معتبرة، وليست بحجة في تفسير القرآن الكريم^(١). يقول العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه في هذا الخصوص عند تفسير الآية ٤٤ من سورة النحل:

«وفي الآية دلالة على حجّة قول النبي ﷺ في بيان الآيات القرآنية ويلحق به بيان أهل بيته لحديث الثقلين المتواتر وغيره، وأمّا سائر الأئمة من الصحابة أو التابعين أو العلماء فلا حجّة لبيانهم لعدم شمول الآية وعدم نص معتمد عليه يعطي حجّة بيانهم على الإطلاق»^(٢).



(١) تبحث عادة حجّة أقوال الصحابة والتابعين في تفسير القرآن، في مباني التفسير؛ لذلك اكتفينا بالإشارة المختصرة لهذا المبحث. ولمزيد الاطلاع والبحث في هذا المورد يمكن للقراء الكرام مراجعته: التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، آية الله معرفة: ج ١، ص ٢٩٧، وص ٤٢٣.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: ج ١٢، ص ٢٦٠؛

تعلم وتعليم اللغة العربية في إيران ومشكلة الثنائية اللغوية فيها

ناصر النبضي

مجمع البحوث الإسلامية للروضة الإرضوية المقدسة

لازمت اللهجة الفصحى ملازمة الظل للشاخص، بعد انبثاق الثانية من محتها، وانشعابها من دوحها، أعني اللغات السامية، فلم تكن اللهجة ظاهرة طارئة، أو وليداً غير سوي، تمخضت به العصور المتأخرة، بل هي وجود قد أفرزته الأمم والشعوب على اختلاف لغاتها، وتباين ألسنتها، فأينما وجدت الجماعات، وجدت بينها اللهجات. ولعل أبرز دليل لهذه الظاهرة هو تعدد اللغات التي تنتمي إلى الفصيلة الواحدة - كطائفة اللغات السامية والهندوأوربية واللاتينية وغيرها، ناهيك من تعدد لهجات اللغة الواحدة، كالعبرية والسريانية والآرامية



وغيرها من أخوات اللغة العربية التي تنتمي إلى فصيلة اللغات السامية. ولكن لا ينكر أن لهجات العربية تفوق لهجات سائر اللغات السامية قاطبة، لكثرة مفردات الفصحى، وسعة دائرة استعمالها، فأدى ذلك إلى توهم بعض علماء هذه اللغات، ومنهم الدكتور إسرائيل ولفنسون، إذ عدّ لهجات جنوب الجزيرة العربية لغات مستقلة عن لهجات الشمال، فعمد في كتابه^(١) إلى تقسيم هذه اللهجات وفق مسمّيات قبلية، ظناً منه أن المتكلمين بها ينحون في كلامهم منحى ازدواجياً في اللغة، رغم إصراره في هذا الكتاب على ضرورة أن يأخذ اللغوي بنظر الاعتبار معالي الألفاظ في سائر اللغات السامية عند الاشتقاق؛ لأنها - كما يقول - مشتقة من أصل واحد.

ما هي العامية؟

مما يجدر ذكره أن أصل العموم في اللغة: الكثرة^(٢)، وفي الاصطلاح: لفظ وضع وضعاً واحداً لكثير غير محصور، مستغرق جميع ما يصلح له^(٣)، وعلى هذا، فإن لفظ (العامية) يعني الفصحى قديماً، واللهجة حديثاً، لأن الفصحى لم تكن مقتصرة على قريش وحدها، كما يدّعي أدباء الرعيل الأول^(٤)، إذ كانت آنذاك جارية على ألسن السواد الأعظم من العرب، ويشهد لذلك هذا الرصيد العظيم من منظومهم ومنشورهم، كشعر المعلقات ومتون السجع والأمثال والحكم والخطب وغيرها، فجّل

(١) تاريخ اللغات السامية.

(٢) مقاييس اللغة (١٥ / ٤).

(٣) التعريفات (٦٢).

(٤) الصاحبى في فقه اللغة (٥٢).

أصحاب هذين الضربين من التراث العربي أمشاج تنتمي إلى قبائل مختلفة، بيد أن اللغويين المتقدمين أطلقوا على فصحي (كلام فصيح) أو (لغة فصيحة) أو (لغة عالية)، وأطلقوا على خلافها (لغة دانية) أو (لغية) أو (لغة مرغوب عنها) وغيرها من المسميات.

وعندما ظهر الاسلام في الجزيرة العربية، ثم انتشر منها في أرجاء الأرض، نشر الفاتحون لغتهم في الأقطار التي استوطنوها، وكانوا من قبائل شتى، تتكلم بلهجات مختلفة، فأثروا في لغات سكانها، وتأثروا بلغتهم، فنشأت لهجات هجينة، أطلق عليها اللغويون لفظ «مولد». ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تعداه بهجرة معاكسة، قامت بها طوائف من سكان البلدان المفتوحة، فاستوطنت شمال جزيرة العرب وجنوبها، فشابت لغاتها شيئاً من كلامهم، كما حدث ذلك لأهل المدينة لما قطنها قوم من الفرس في قديم الزمان^(١)، ومن ثم نشأ عامل آخر أدى إلى تفاقم الصدع، وهو «الحن» الذي كان الباعث على اختراع علم النحو^(٢).

وبعد مرور قرن من الزمان أو يزيد من عمر الفتح نمت هذه اللهجات في البلاد الاسلامية، واستفحل أمرها في شبه الجزيرة العربية، وكانت لهجات محلية، تختلف باختلاف القطر أو المنطقة أحياناً، وسميت فيما بعد (لغة الأمصار)، وأطلق عليها الجاحظ لغة (المولدين والبلديين)^(٣)، وأدى هذا الحال إلى انحسار الفصحى عن الحواضر والمدن، فكان من ينزل الحاضرة من اللغويين خلال القرن الثاني الهجري، يشد الرحال إلى

(١) البيان والتبيين (١/ ١٨).

(٢) مقدمة شرح التسهيل.

(٣) البيان والتبيين (١/ ١٥٩).

البادية التي بقيت في منأى عن تبلبل الألسن، بحثاً عن الفصح من كلام العرب.

ولم يدم هذا الوضع طويلاً، إذ سرعان ما استشرى الداء في عقر دار اللغة العربية، أي البادية، آخر نميرها العذب، ومقلها الصلب، فأصبحت اللهجة لغة العامة، وصارت الفصحى لغة الخاصة، بعد أن كانت لغة عامة العرب.

أدوار الفصحى

مرت الفصحى خلال مسيرها التاريخي بخمسة أعصر^(١)، هي:

١ - عصر الازدهار (العصر الجاهلي وصدر الاسلام):

كانت معظم العرب في هذا الدور تتداول الفصحى في كلامها وتدوينها نثراً وشعراً، فكانت هي السائدة آنذاك بلا منازع. وقد أرسى العصر الجاهلي دعائمها، ورسخ قوائمها، وقوم عصر صدر الاسلام أودها، وواظب على خفارتها.

وقد تمثلت هذه الحقيقة بالقرآن؛ حيث أشاد في مواضع عديدة بذكرها، ومنها قوله تعالى: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٢)، وفي السنة النبوية كثير مما يقرب من ذلك، منه قوله ﷺ مفتخراً: «أنا أفصح العرب»^(٣). وحذا حذوه الصحابة والتابعون، وسائر أئمة المسلمين؛ حيث تعهدوها، وأوصوا المسلمين بتعلمها؛ قال الإمام الصادق عليه السلام: «تعلموا

(١) لقد أثرنا هذا النهج على ما اتبعه المستشرقون في تقسيم تاريخ الأدب العربي إلى ستة أعصر، لأن تقسيمهم لا يخضع لعوامل علمية بحتة.

(٢) النحل: ١٠٣.

(٣) المزهر (١/ ٢٠٩).

العربية، فإنها كلام الله الذي يكلم به خلقه»^(١). وصدر أبو منصور الثعالبي النيسابوري المتوفي عام (٤٣٠ هـ)، كتابه بقوله: «من أحب الله تعالى، أحب رسوله محمدًا ﷺ، ومن أحب الرسول العربي، أحب العرب، ومن أحب العرب، أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها»^(٢).

٢- عصر المشافهة (القرن ٢-٤ هـ):

اشتدت الحاجة في هذا العصر إلى الإمام بكلام العرب العرباء، لفهم القرآن الكريم، سيما بعد تفتشي الدخيل والمولد والمعرّب والمترجم في كلام سكان المدن، كما ذكرنا، فرحل بعض اللغويين إلى البادية، لتلقي الفصحى ممّن اشتهر بها، وأشهر هؤلاء اللغويين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، صاحب كتاب «العين»، المتوفي عام (١٧٠ هـ)، والكسائي المتوفي عام (١٨٩ هـ)، والأصمعي (٢١٥ هـ)، وابن دريد (٣٢١ هـ)، صاحب كتاب «جمهرة اللغة»، والأزهري (٣٧٠ هـ)، صاحب «تهذيب اللغة»، والجوهري (٣٩٥ هـ)، صاحب «الصاح».

وقد جمع بعضهم بين المشافهة والاقتباس كالأزهري، فإنه نقل في «التهذيب» ما أخذه من الأعراب بقوله: «سمعت»، واقتبس ممّن تقدّمه بقوله: «قال الليث»، و«قال أبو عمرو الشيباني»، و«قال الأصمعي» وغيرهم، كما أفصح عن ذلك في مقدمته^(٣).

(١) الخصال للشيخ الصدوق (١/ ٢٥٨).

(٢) فقه اللغة وسر العربية (٢١).

(٣) تهذيب اللغة (٦/ ١).

ثم جمع هؤلاء الأقدان ما سمعوه من أفواه الأعراب، فهذبوه بإمعان، ورتّبوه في فصول وأبواب، وأودعوه بين الدفتين، فتداولته الأجيال المتعاقبة، وانتفع به العلماء والفصحاء، ونهل منه الكتاب والشعراء.

٣- عصر التصنيف (القرن ٥ - ١٠ هـ):

أضحى اللغوي خلال القرن الخامس الهجري وما تلاه عازفاً عن اجتياح الفلوات، لمشاهدة الأعراب، كما كان يفعل أسلافه، وذلك بعد أن دبّ الداء في السنة سكان البوادي. فأثر البقاء في موطنه، وانكب على التصنيف في فنون مختلفة من علوم اللغة وآدابها. فمنهم من لفق بين أقوال المتقدمين، كما فعل ابن سيده^(١) (٤٥٨ هـ)، ومنهم من اشتغل بالسجع والتزويق كالزمخشري (٥٣٨ هـ)، في كتاب «أساس البلاغة»، ومنهم من أنكفأ إلى شرح مصنفات أسلافه كابن بري (٥٨٢ هـ)، في «الحواشي»، ومنهم من استدرك على كلامهم كالصاغانى (٦٥٠ هـ)، في «الذيل والتكملة والصلة»، ومنهم من جمع ما ورد في المعاجم كابن منظور (٧١١ هـ)، في «لسان العرب»، ومنهم من سبك كلامهم كالفيروزابادي (٨١٧ هـ)، في «القاموس المحيط»، ومنهم من عقب كلام من تقدمه كالسيد علي خان المدني (١١٢٠ هـ)، في «الطراز الأول في اللغة»^(٢)؛ وحيث سعى جاهدًا إلى الانتصار للجوهري، والردّ على الفيروزابادي الذي تعقبه في مواضع كثيرة من كتابه.

(١) وكتابه هو «المحكم والمحيط الأعظم في اللغة».

(٢) مخطوطة ذات عشرة أجزاء كبيرة، محفوظة في مكتبة العتبة الرضوية المقدسة في مدينة مشهد الإيرانية، قمت بتحقيق الجزء الأول منها، والمقالات تحت الطبع.

ولا يخفى أن حركة التصنيف قد بدأت في أواخر القرن الرابع الهجري؛
 إذ أقدم صاحب بن عباد (٣٨٥ هـ)، على تصنيف معجمه «المحيط»،
 اقتباساً ممن شافه الأعراب في عصره، وكذا فعل ابن فارس (٣٩٥ هـ)،
 صاحب كتاب «المجمل».

٤- عصر الانكماش والانحسار (القرن ١١-١٣ هـ):

أصبحت الفصحى في هذا العصر سجينة الجدران، إذ لم ينطق بها إلا
 في المدارس الشعبية القديمة المعروفة آنذاك باسم «الكتاتيب»، لتعليم
 الصبيان القرآن الكريم، وفي المساجد خلال خطبة الجمعة والأعياد
 والمناسبات الدينية الأخرى، كميلاد النبي ﷺ والأوصياء والمبعث
 وغيرها، وفي المدارس والجامعات العلمية القديمة. وكانت مادة
 الفصحى شعراً مزوّقاً، أو نثراً مسجّعاً، ويغلب على موضوعاتها أدب
 الملاحن والأحاجي، فغدا الأديب متمحلاً، والشاعر عروضياً، والخطيب
 منمّقاً، والعالم متفهباً، والمعلم محاضراً، فأدت هذه الحال إلى نشوء
 حاجز سميك بين هؤلاء وبين عامة الناس، فكانوا يعدّون أنفسهم في
 الدرجات الرفيعة، ومعظم الناس في المراتب الوضيعة، حيث قال
 شاعرهم:

وما شعراء الشعب إلا لبابه وهذا الملا طرّاً بمنزلة القشر
 أمّا العامة، فكانوا لا ينكرون خطرهم، فهم يحسبونهم نخبة المجتمع،
 لأنهم يحسنون ما لا يهتدون إليه من فنون الكلام، وينطقون بلغة راقية لا
 يجيدونها.

٥ - عصر اليقظة (القرن ١٤ - ١٥ هـ):

وهو العصر الذي أعقب النهضة الصناعية في أوروبا، وحدثت تحولات سياسية في العالم الإسلامي عامة، وفي الأقطار العربية خاصة، وأسفر هذا الوضع عن ظهور الاستعمار في هذه البلدان، وقيام المحتل بمحاولات تحدّد سكّان المستعمرات في الأقطار العربية عن التكلم بالعربية بأساليب مختلفة، منها:

أ - التكلم بلغة المحتل قسراً، كما أجبرت فرنسا الجزائريين على التكلم بالفرنسية.

ب - إغراء شعوب البلدان المحتلة بتعلم لغة المحتل لقاء امتيازات خاصة، ومن ثم إشاعتها في المجتمع، كما فعلت بريطانيا في أماكن مختلفة، ومنها البحرين.

ج - الإيحاء إلى الشعوب العربية بنبذ الفصحى، والدعوة إلى التكلم بالعامية كخطوة أولى، يراد منها تبديل حروفها باللاتينية فيما بعد، كما نادى المستشرقون بذلك في مصر خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

د - إقطاع جماعة أو دولة - لا تمت إلى العرب بصلة - أرضاً عربية مع قطنها، كما أقطعت بريطانيا فلسطين لليهود، وفرنسا الإسكندرونة تركيا.

وكان من جراء هذه المحاولات المجموعة لإجهاض العربية أن انبرى الأدباء العرب لها بقصائدهم الحماسية، وخطبهم البليغة، فبرز من بينهم في هذه الحقبة شعراء مفلقون، وخطباء لسنون، ورجال مصلحون في مصر والعراق والشام وشمال أفريقيا غيرها، مثل أحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومعروف الرصافي وأبي القاسم الشابي وأحمد كامل والسيد

جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهم.

وكان ثمرة هذا التصدي والصمود تأسيس مجامع اللغة العربية في بعض الأقطار العربية، وإقامة مؤتمرات أدبية للشعراء العرب، وفتح المنتديات الأدبية والأمسيات الشعرية، وتدشين كليات الآداب العربية في الجامعات العربية والأجنبية، وما هذا المؤتمر الموقر إلا عينة من تلك النشاطات التي تعمل على إنعاش اللغة العربية الفصحى ورواجها.

اللغة العربية في إيران

دخلت اللغة العربية في إيران منذ الفتح الإسلامي لهذه البلاد الإسلامية الأطراف، وأخذت تنمو على مرّ السنين بنمو عدد المسلمين فيها، حتى وصلت إلى الذروة باعتناق الأغلبية الساحقة من الإيرانيين الإسلام، فأضحت مفردات العربية تكون أكثر من نصف مفردات اللغة الفارسية.

وقد أولى الإيرانيون المسلمون قاطبة اللغة العربية أهمية قصوى، لاعتقادهم أنها لغة القرآن والدين، فبرز بين ظهرائهم خلال التاريخ الإسلامي أساطين، برعوا في كافة العلوم، ومنها آداب اللغة العربية، مثل سييويه، قطب مدرسة البصرة والكسائي، قطب مدرسة الكوفة وغيرها، ولا يزالون مثابرين على تعهّد هذه اللغة إلى اليوم.

وازداد تعلقهم بها بعد انبثاق الثورة الإسلامية في هذه الديار، وعدت العربية اللغة الثانية بعد الفارسية، وفرض تعليمها في المدارس المتوسطة والإعدادية، استناداً إلى الأصل السادس عشر من القانون الأساسي للجمهورية الإسلامية في إيران. ثم أعقبت هذا التحول العظيم

ثورة ثقافية في جميع الأصعدة، فنشطت حركة التحقيق والتأليف باللغة العربية، وانتعشت الترجمة من العربية إلى الفارسية، وأخذت إيران تشارك الأقطار العربية لأول مرة في معارض الكتاب العربي، وتنافس المحققين العرب في المؤتمرات الأدبية، ومنها هذا المؤتمر المبارك؛ حيث اشترك فيه بضعة اختصاصيين بالعربية من الإيرانيين، وأدلوا دلاءهم مع إخوانهم العرب.

وبلغ الإقبال غايته عند إعلان قائد الثورة الإسلامية الراحل، الامام الخميني عليه السلام ضرورة تعلم العربية المعاصرة والنطق بها، ضمن وصاياه العشر لحرس الثورة الإسلامية، فلبّت جموع الشعب على اختلاف طبقاته نداءه، وتوجهت نحو مراكز التعليم والمعاهد.

ولم يأل خلفه، القائد الجديد للثورة الإسلامية السيد علي خامنئي (دام ظله) جهداً في هذا المضمار؛ فسار على خطى سلفه، وشجّع الإيرانيين على تعلّم العربية؛ حيث قال منوهاً بها: «هي لغة قرآننا وديننا، كما هي اللغة التي نستطيع أن نكلم بها مليار مسلم من العرب وغيرهم». وأوعز إلى السلطات العليا في البلاد في وجوب التقارب من البلدان الإسلامية عامّة، والأقطار العربية خاصّة، وأصدر أمره بتأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، وشهدت إيران في ولايته أكبر مؤتمر للقيمة الإسلامية المنعقد بطهران في عام (١٩٩٧م)، ثم تلتها مؤتمرات ولقاءات على مستوى رفيع، كما أعادت إيران علاقاتها التي قطعت أثناء الحرب الإيرانية - العراقية مع بعض الدول العربية.

فضلاً عن ذلك، فإن التلفاز الإيراني خصص بمنح ساعات في فترتي الظهيرة والمساء يومياً لبث البرامج المختلفة باللغة العربية، كما أن هناك

إذاعة مستقلة باللغة العربية، تبث برامجها بموجات مختلفة، منذ الصباح الباكر حتى منتصف الليل. ناهيك عن الصحف والمجلات العربية الصادرة عن دور الصحافة الإيرانية والعربية.

طرق تعليم اللغة العربية في إيران

كان الإقبال المنقطع النظير لتعلّم العربية في إيران خلال الحقبة الأخيرة حافزاً لمعلمي هذه اللغة والمختصين بها إلى ابتكار طرق جديدة للتعليم، وتطوير وسائل الإيضاح، وتنمية القدرات الفردية، ورفع المستوى اللغوي في وسط المعلمين. وقد اثمرت جهود هذه الشريحة المتفانية في خدمة لغة القرآن وتعليمها للأفراد والجماعات، في نطاق الجامعات والمراكز التعليمية والمدارس العلمية والمؤسسات الثورية؛ فتخرج جم غفير في فنون مختلفة، وهم يتكلمون اللغة العربية الفصحى بطلاقة، ثم أصبح منهم معلّمون في المدارس الثانوية، وأساتذة في المعاهد والجامعات، ومترجمون ينقلون علوم العربية إلى الفارسية، وعاملون في السفارات الإيرانية في الأقطار العربية والإسلامية، ومذيعون وخبراء في الإذاعتين المرئية والمسموعة، ودعاة يبلغون رسالة الإسلام وشريعته الغراء للأمم والشعوب في كافة أقطار الأرض، وأهم الطرق المتبعة في تعليم العربية الآن في إيران هي:

١- الطريقة القديمة:

ترتكز هذه الطريقة على تعليم الدارس قواعد الصرف والنحو بالفارسية، وتجعل كتاب «جامع المقدمات»^(١) وشرح السيوطي (٩١١هـ)،

(١) يضم كتباً عديدة في شتى العلوم، منها كتاب «الفوائد الصمدية» للشيخ البهائي العابلي (١٠٣٠).

لألفية ابن مالك (٦٧٢ هـ)، و«مغني اللهيب» لابن هشام (٧٦١ هـ)، و«المطول» وشرحه للتقازاني (٧٩١ هـ)، منهجاً لتدريس الصرف والنمو وحروف المعاني والبلاغة.

وتمتاز هذه الطريقة بجعل الدارس مضطراً بتركيب الجمل والعبارات، ومدركاً لأوزان المفردات، وما يطرأ عليها من قلب وإبدال وإعلال وبناء وإعراب. ولكن يؤخذ عليها أنها لا تكسب الدارس مهارة النطق والتكلم بالعربية، فيبقى كأنه مبصر أبكم، أو عالم عي.

ولا زالت هذه الطريقة تنتهج إلى اليوم في الحوزات العلمية المنتشرة في أرجاء إيران، ويبدو أن الإدارة العليا للحوزة قد فطنت إلى هذا الخل؛ فعملت جادة على تلافيه، ووضعت مناهج جديدة إلى جانب المناهج القديمة، وجندت المعلمين الناطقين بالعربية، لتعليم طلبة علوم الشريعة الإسلامية التكلم بالعربية.

٢- الطريقة الحديثة:

قوام هذه الطريقة النطق والتكلم بالعربية، دون الاعتماد على قواعد الصرف والنحو، كالطريقة القديمة، فهما متناقضتان، ويعدّ المعلم محور هذه الطريقة، فهو يملئ على الدارس ما يرتئيه من ألفاظ وعبارات، ويسدّد كلامه، ويصحح أخطاءه، وغالباً ما يستعين بكتاب أو نصوص يغلب عليها طابع الحوار والتحدث.

ولا تخلو هذه الطريقة من مثالب وعيوب، رغم سرعة تأثيرها الإيجابي في نطق المتعلم، فهي تشيع اللحن في كلامه، إذا كان لا يحسن قواعد الصرف والنحو، وتتخلل كلامه العامية، إن كان المعلم لا يتقن

الفصحى جيداً، ولا يمكن التغلب على هذه العيوب، إلا باجتماع ثلاثة عناصر، وهي: معلّم عليم، وطالب كليم، ونص قويم.

وكانت تتبع هذه الطريقة في المؤسسات الثورية إبان الثورة الإسلامية، ولا تزال تتبع اليوم في المراكز التعليمية الأهلية ذات الطابع التجاري.

٣- الطريقة الملفقة:

تجمع هذه الطريقة مزايا الطريقتين المتقدمتين؛ إذ تكسب المتعلّم مهارات كلامية، وتجعله ملماً بقواعد الصرف والنحو، فالطالب يدرّس القواعد أولاً، ثم يعلم المحادثة ثانياً، أو بالعكس.

وقد ألفت طبق هذه الطريقة كتب كثيرة، تحوي نصوصاً للحوار في شتى المواضيع، وقواعد مبسطة في مسائل مهمة من النحو والصرف. وشاعت هذه الطريقة في الآونة الأخيرة في الجامعات والمعاهد التعليمية ومراكز الخدمة العامة، ومنها مكتب الاعلام الاسلامي في مدينة «قم» وسائر فروعه المنتشرة في المحافظات.

لغة المتعلّم الإيراني

تحتضن إيران منذ القدم أقواماً شتى، كالفرس والعرب والأتراك والأكراد وغيرها، وأكبر هذه الأقوام وأقدمها في هذه البلاد الفرس، وباسمهم سمّيت إيران باسم بلاد فارس، ويتكلمون اللغة الفارسية، وهي اللغة الرسمية التي تتكلم بها سائر القوميات أيضاً، إضافة إلى لغاتها الأصلية.

وسنخصّ اللغة الفارسية بالحديث هنا، لأنها تزدان بكثرة المفردات العربية، ثم نعرّج على دراسة العربية التي ينطق بها العرب في إيران.

أولاً: اللغة الفارسية:

تنتمي اللغة الفارسية إلى فصيلة اللغات الهند وأوربية التي يغلب على مفرداتها التركيب والإصاق، فبعض مفرداتها يتكون من كلمة، مثل: مرد، أي رجل، وبعضها يتكون من كلمتين، مثل: همسر، أي زوج، فالأولى (هم) تعني معاً، والثانية (سر) تعني رأساً، وبعضها يتكون من ثلاث كلمات، مثل: آبگرمکن، أي سخان، فالأولى (آب) تعني ماء، والثانية (گرم) تعني ساخناً، والثالثة (کن) تعني الفاعلية.

وليس في الفارسية تذكير وتأنيث، ولا حرف تعريف، ولا إعراب، ولا مثني وجموع مختلفة كالعربية، وليس فيها صيغة مبالغة، بل تستعمل فيها الصيغ العربية التالية: (فَعَّال) و (فَعِيل) و (فَعَالَة) و (فَعَلَ) و (فَعُول)، كما ليس لمفرداتها أوزان خاصة بها.

ولكن رغم هذا البون الشاسع بين اللغتين، فإن أغلب مفردات الفارسية هي كلمات عربية فصيحة، كما ذكرت آنفاً، وليست هناك إحصائية تبين مقدار الكلمات العربية المستعملة في الفارسية، سوى بعض الآراء التي تعتمد على الحدس والتخمين، وينحصر تقديرها بين (٣٠٪) إلى (٧٠٪). بيد أنني أحصيت الكلمات العربية طبق معجم فارسي معتبر فوجدتها تكون أكثر من (٥٠٪) بقليل^(١) بالنسبة إلى كلمات اللغة الفارسية، ومنها المفردات المركبة من كلمتين: عربية وفارسية، مثل: عاميانه، أي عامي. ومما يلفت النظر أن جميع الكلمات العربية التي تتخلل اللغة الفارسية هي ألفاظ فصيحة، وما رأيت خلال استقراي لهذه الكلمات لفظاً واحداً،

(١) قمت بهذه الإحصائية طبق معجم «فرهنگ عمید»، وهو يضم (٢٢٢٤٠) كلمة، منها (١١٣٢٨) كلمة عربية، أي أنها تكون (٥٠,٧٪) من مجموع الكلمات.

ينتمي إلى لهجة من اللهجات غير الفصيحة، وهذا الأمر يمهّد أرضية مناسبة لتعليم الفصحى بمعزل عن اللهجات، فيزيل العقبات التي تعتور طريق العملية التعليمية.

ولكنّ الإيرانيين استعملوا هذه الكلمات حسب أصولها اللغوية القديمة، ولا زالوا يستعملونها إلى يومنا الحاضر، رغم أن العرب قد استعملوها فيما بعد بمعانٍ أخرى، نتيجة التطوّر اللغوي الذي طرأ عليها. وبعد استقصاء هذه المفردات وجدتها على خمسة أنواع^(١):

الأول: كلمات عربية، أميت استعمالها الأصلي، ويستعملها العرب في هذا العصر بمعانٍ أخرى، مثل: ازدواج، أي الزواج، حيث تستعمل اليوم بمعنى الثنائي؛ يقال: فلان ازدواجي الأطوار، ومشكلة ازدواجية اللغة. الثاني: كلمات عربية مركّبة في ألفاظ فارسية، توافق معناها قبل التركيب أو تخالفه في كلتا اللغتين، وتستعمل في المعاني التالية:

الاسم، مثل: ذرّه بين، أي مجهر.

اسم الفاعل، مثل: حادثه جو، أي مغامر.

اسم المفعول، مثل: قحط زده، أي المصاب بالقحط والجفاف.

اسم التفضيل، مثل: عالم تر، أي أعلم.

اسم المكان، مثل، أدب كده، أي دار التأديب.

اسم الزمان، مثل سحرگاه، أي السحر.

اسم الآلة، مثل: كمان حلاجي، أي المندف.

(١) انكفأت منذ أيام إلى حصر هذه الكلمات في جداول، بغية وضع مترادفات لها وفق الاستعمال العصري، ريثما أ طرحها في «مؤتمر تعليم العربية الأول» الذي سيعقد في طهران خلال شهر تموز المقبل.

اسم التصغير، مثل: كتابچه، أي كتيب، مصغر كتاب.

المصدر، مثل: سلام كردن، أي السلام.

المصدر الصناعي، مثل إنسانيت، أي الإنسانية.

الفعل الماضي، مثل: فهميد، أي فهم.

الفعل المضارع، مثل: مطالعه می کند، أي يطالع.

فعل الأمر، مثل: عبور كن، أي اعبر.

كما يكون هذا التركيب على ضروب، منها:

١- تركيب إضافة، مثل: آب حیات، أي ماء الحياة.

٢- تركيب وصف، مثل: سردماغ، أي نشيط.

٣- تركيب عطف، مثل: آب وهوا، أي الأحوال الجوية .

٤- تركيب نفي، مثل: نا بالغ، أي غير بالغ.

الثالث: كلمات عربية مولدة في إيران:

أ- توليد معنوي، مثل: دماغ، بمعنى الأنف عندهم، ولم يؤثر عن العرب بهذا المعنى.

ب - توليد لفظي، مثل: مراحم، بمعنى اسم الفاعل من (رحم)، ولم تأت (المراحمة) في السماع.

الرابع: كلمات عربية مستعملة بخلاف أصلها:

أ - معنى، مثل: إبل، بمعنى البعير عندهم، وهو جمع باتفاق.

ب - إملاء، مثل: قفس، بمعنى قفص، بالصاد.

الخامس: كلمات مجهولة الأصل، مثل: زلاييه، وهو نوع من الحلوى في الجوفة سائل شكري، وهو إما عربي، وأصله (ذو لعابيه)، والهاء زائد في

الفارسية، أو سرياني، وأصله (زلبويا)^(١). وإضافة إلى ذلك فإن الحروف العربية تستعمل كلها في الفارسية، ولكن بتغيير لفظ بعضها، فالإيرانيون ينطقون الحاء (هـ)، والذال والصاد والظاء (زاي)، والصاد (سيناً)، والطاء (تاء)، والعين (همزة). والواو المتحرك (فاء)، كلفظ حرف (٧) الانجليزي. كما تستعمل في اللغة الفارسية أربعة أحرف أخرى. وهي (پ)، ويلفظ كحرف (p) الانجليزي، و (چ)، ويلفظ كلفظ الحرفين الإنجليزيين (ch) في كلمة (Teacher)، و (ژ)، ويلفظ كحرف (j) الإنجليزي. و (گ)، ويلفظ كحرف (g) الإنجليزي في كلمة (garden).

ثانياً: اللغة العربية:

ينبغي أن نسلط الضوء على العرب الذين يسكنون إيران أولاً، ونقف على الأماكن التي ترعرعوا فيها ثانياً لكي نستشف اللهجات الشائعة بينهم.

إن العرب في إيران ينتمون إلى الأوساط التالية:

١- الأهوازيون: وهم مواطنون إيرانيون يتركزون في محافظة «خوزستان» الواقعة في جنوب إيران، وانتشر قسم منهم في أنحاء مختلفة من البلاد خلال العقد الماضي.

٢- الإيرانيون القادمون من بعض الأقطار العربية: وينحدر أغلبهم من أصل فارسي، إلا أنهم ولدوا ونشأوا في أقطار عربية مجاورة، وخصوصاً العراق والبحرين.

٣- الجاليات العربية: ويتكون أغلبها من العراقيين الذين هاجروا أو

(١) انظر المعجم المقارن للدكتور محمد جواد مشكور.

هجروا من العراق بعد اندلاع الثورة الاسلامية في إيران. وتتوزع في «طهران» العاصمة و «قم» و «مشهد» مركز محافظة خراسان.

أما اللغة العربية التي تتكلم بها الأوساط الثلاثة أعلاه، فهي تضم لهجتين شائعتين في إيران، هما:

الاولى: لهجات العرب الإيرانيين، وهم على ثلاثة أقسام:

أ - الأهوازيون: وهم قبائل عربية كثيرة، تنتمي إلى ربيعة، وبطون عديدة، تعزى إلى بني أسد^(١)، وهي تلهج اليوم بأمشاج من اللهجات العربية، فضلاً عن ألفاظ ومفردات فارسية تشوبها.

وأهم ما يميز لهجتهم عن سواهم هو قلبهم الجيم (ياء)، وهي لغة مشهورة في بني تميم^(٢)، ولا تزال شائعة إلى اليوم في دول الخليج، يقولون: «وايد»، أي واجد بمعنى كثير، كما يحذون حذو أجدادهم من أسد وربيعة في كسرتاء الفعل المضارع ونونه؛ تعلم ولعب، وهي لهجة قديمة كانت شائعة في قيس وتميم أيضاً^(٣).

وقد تأثرت لهجة الأهوازيين باللغة الفارسية، فعلمت بها ألفاظ فارسية كثيرة، كما تأثرت بلهجات عربية لقبائل جاورت الأهواز في محافظتي العمارة والبصرة من العراق، وفي البصرة قبائل عدنانية وقحطانية، فمن الاولى قبيلة تميم من مضرب ومن الثانية قبيلة الأزد^(٤).

ب - العرب الإيرانيون القادمون من البحرين: وهم ينحدرون من اصول فارسية - ويلهجون - كأهل البحرين - اليوم بلهجات عربية ولغات

(١) معجم البلدان (١ / ٢٨٤).

(٢) الإبدال (١ / ٢٦٠) والصاح (٣ / ١٠٦٢).

(٣) اللسان (١٥ / ٤٠٢).

(٤) معجم البلدان (١ / ٤٣١).

أجنبية كثيرة وقد نجم عن تبلبل الألسنة في البحرين نمو لهجات مستقلة، حتى غدت كل قرية أو مدينة، فيها تتكلم بلهجة تختص بها، فالمواطن هناك يدل على موطنه بلهجته.

ويبدو أن اللهجات العربية تنتشر في بادية البحرين وريفها، إذ نزلتها قديماً طوائف عربية كثيرة من عبد القيس وبكر بن وائل وتميم^(١)، وتنتشر اللغات الأعجمية كالفارسية والأردو والإنجليزية في مدنها الرئيسية، لتوفر فرص العمل فيها للأيدي العاملة القادمة من إيران والهند، ولإدارة شؤون البلاد من قبل الفرس سابقاً والإنجليز لاحقاً من مراكز المدن، لا سيما العاصمة.

ورغم شيوع كثير من مفردات اللغتين: الهندية والإنجليزية في لهجات البحرين، إلا أن أثر اللغة الفارسية أعظم فيها وأوضح، لكثرة الوافدين إليها من الفرس، ولطول مكوثهم فيها. فمعالم اللغة الفارسية ظاهرة للعيان في كل مكان من البحرين، كأسماء الأماكن والمدن، ومنها اسم مدينة «سماهيح» التابعة للمحرق، فهو معرب (سه ماهي)، ويعني بالفارسية ثلاث سمكات، ولفظ «دمستان»، وهي منطقة واقعة في الجنوب الغربي من «المنامة»، عاصمة البحرين.

ولم يسلم اسم العاصمة أيضاً من العجمة، فأصل «منامة» على رأي الشيخ محمد علي العصفور (رحمه الله) هو (منعمة)^(٢)، مثل (مرغدة) وزناً ومعنى، لرفاهة العيش فيها.

(١) المصدر السابق (١ / ٣٤٧).

(٢) ذكر ذلك في كتابه «تاريخ البحرين»، ولا يزال مخطوطة، فعلى هذا، أبدلت عين هذا اللفظ همزة بلسان الفرس، ثم سهّلت الهمزة - أي قلبت ألفاً - بلسان العرب، فصارت «منامة»، كما هي «الأمّة» و«الامة».

ويبدل بعض سكان البحرين الجيم (ياء) كسائر سكان دول الخليج، وهي لغة لبني تميم، كما ذكرنا آنفاً، كما يبدلون الذال (دالاً)، فيقولون مثلاً: «هاداوه»، أي ما هذا؟ وهي لهجة غير معروفة عند العرب، غير أن أبا عمر الشيباني ذكر قول العرب: رجل دحداح وذحذاح، أي قصير، ثم عدل إلى الدال، وعضد الأزهرى عدوله^(١). وقال الفراء في قوله تعالى: (فهل من مدّكر): ومدّكر في الأصل «مدّكر» على «مفتعل»، فصيّرت الذال وتاء (الافتعال) دالاً مشددة^(٢).

ومما يجد ذكره هنا هو أن قلب الذال (دالاً) مطّرد في اللغة السريانية، ولعل السريانيين قد اختلطوا في غابر الأيام بأهل البحرين عبر التجارة أو الاستيطان، فأثروا في لهجتهم، وهناك بوادر من هذا القبيل في لهجة أهل «سترا»^(٣) من البحرين، تعضد هذا التوقع، فهؤلاء يستعملون بعض ضمائر المؤنث عند خطاب المذكر، كما يفعل أهل سوريا والاسكندرونة من تركيا اليوم، فيقولون في «أنت»: «أَتِ، وفي «أنتم» «أُنن»، وهي لغة سريانية معروفة.

ج - العرب الإيرانيون القادمون من العراق:

وهم أولاد وأحفاد إيرانيين - أغلبهم من الفرس - نزلوا العراق، وترعرعوا فيه، ولما رجعوا إلى موطن أجدادهم، تشبّثوا باللغة العربية، واستعملوها أداة للتخاطب بينهم في محافلهم ودورهم، وأخذوا يعلمونها أولادهم الذين ولدوا في إيران.

(١) اللسان (٢/ ٤٣٤).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٩٠).

(٣) ذكرها ياقوت في معجم البلدان (٣/ ١٨٨) بلفظ «الستار».

ومعظم كلام هؤلاء مزيج من اللهجة العراقية واللغة الفارسية، فطفقوا يعربون المفردات الفارسية، ويصبّونها في قالب عربي، كما يفعل الأهوازيون، كقولهم: «شَنَص»، أي حظ، وأصله في الفارسية (شانس)، فألحقوه بوزن (فَعْل)، لعدم وجود وزن (فاعِل) - بسكون العين - في العربية.

إلاَّ أنَّ أهم ما يميز لهجة هؤلاء عن سائر اللهجات هو ترجمة نفس العبارات الفارسية إلى العربية، فهم يقولون مثلاً: إلزم كِدَامه: مقلوب «قُدَامه»، أي اردعه.

الثانية: اللهجة العراقية:

يشكل العراقيون أغلب من يقيم في هذا المهجر من العرب، وهم إمّا عرب أقحاح، لجأوا إلى إيران عقيب ثورتها الإسلامية، لأسباب سياسية، وأما عرب ينحدرون من أصول إيرانية قديمة، أبعدوا عن مواطنهم لأسباب عرقية.

ويتكلم هؤلاء - كما يتكلم العراقيون داخل العراق - بخليط من لهجات ولغات شتى، وهي:

١ - لهجات قبائل عربية: وهي:

أ - قبائل شمالية (عدنانية): سكنت العراق قبل الاسلام وبعده، منها قبائل ربيعة، مثل: بني أسد، وقد سكنوا غربي الكوفة^(١)، وعنزة، وسكنت عين التمر^(٢)، وبكر بن وائل وتغلب، فسكنت الأولى أطراف سواد العراق

(١) صفة جزيرة العرب للهمداني (١٣٣).

(٢) قلائد النعمان للقلقشندي (٧٠).

فالأبلة فهيت^(١)، والثانية الجزيرة^(٢).

وأما قبائل مضر، فسكنت بين دجلة والفرات^(٣)، ومنها تميم، فقد سكنت جنوب العراق^(٤)، ولا سيّما البصرة^(٥)، كما سكنت الغرى أيضاً^(٦).
ب - قبائل جنوبية (قحطانية): وهي قبائل كثيرة من الأزد وكهلان، سكنت أماكن مختلفة من شمال العراق إلى جنوبه، إذ نزلت شيبان قرب الموصل وحديثه وديار بكر^(٧)، ونزلت قضاة في الجزيرة^(٨)، ونزلت كلب السماوة^(٩)، كما انتشرت سائر القبائل اليمنية في وسط العراق وجنوبه، كمذحج وطيء من كهلان، وخزاعة وهمدان وأنمار من الأزد^(١٠).

٢ - لغات أعجمية: وهي:

أ - لغات أقوام سامية:

سكن العراق قديماً قوم من النبط قرب الكوفة، كما سكنه قوم من الآراميين والعبريين، فعلمت لهجات القبائل العربية بألفاظ من اللغة النبطية^(١١)، وعلقت لهجات القبائل التي كانت تسكن بادية العراق بألفاظ آرامية وعبرية^(١٢).

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٩).

(٢) المصدر السابق (١٧٠).

(٣) معجم البلدان (٣ / ٣١٤).

(٤) صفة جزيرة العرب (٣٧).

(٥) معجم البلدان (١ / ٤٣١).

(٦) نهاية الإرب للقلقشندي (١٦١).

(٧) صفة جزيرة العرب (١٢٣).

(٨) معجم البلدان (٣ / ٣١٤).

(٩) صفة جزيرة العرب (١٢٩).

(١٠) معجم البلدان (١ / ٤٣١).

(١١) البيان والتبيين (١ / ٢٠).

(١٢) اللهجات العربية (٣٩).

ومن الألفاظ السامية التي يتداولها العراقيون بكثرة لفظ (آني)، أي «أنا»، وهو لفظ عبري^(١)، ولفظ (باريا)، لحصير يصنع من القصب، وهو لفظ آرامي^(٢)، ولفظ (عكربا)، أي عقرب، وهو لفظ سرياني^(٣).

ب - اللغة الفارسية:

يتأخم العراق بلاد فارس شرقاً، وكانت بين الشعبين علاقات اجتماعية وسياسية ودينية منذ صدر الإسلام. ولما أصبح العراق داراً للخلافة، ومعهداً للعلم، تقاطرت إليه قوافل العلماء ورواد المعرفة من كافة أنحاء العالم الإسلامي، ومنهم الإيرانيون، وبلغت هجرة الإيرانيين أوجهاً إلى العراق بعد القرن الثامن الهجري؛ إذ تشييعت الأغلبية الساحقة منهم، فنزلوا مدنه المقدسة، وهي النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، حيث تضم مراقد أئمة أهل البيت (عليه السلام).

وتكاد المفردات الفارسية تستوعب جميع لهجات العراق، وتنتشر في ريفه ومدنه على السواء، وتطرق الأسماع بكثرة في المدن المقدسة لدى الشيعة، وخصوصاً مدينة كربلاء المقدسة، وأشهر هذه المفردات لفظ (يسواش)، أي مهلاً، و(شلغم)، أي اللّفت، و(تسكرب)، أي تبلى، و(السرجين)، أي روث البقر.

ج - اللغة التركية:

لقد عقلت اللهجة العراقية بالمفردات التركية عندما هيمن الأتراك على العراق، وأخذ العراقيون يلهجون بألفاظ تركية، كما هي الحال بالنسبة

(١) قاموس عبري - فارسي لسليمان حليم.

(٢) المعجم المقارن.

(٣) قاموس سرياني - عربي، لويس كوستاز.

إلى سائر العرب الذين كانوا يخضعون لحكم الأتراك.

ومن الألفاظ التركية الشائعة في اللهجة العراقية. (جرك)، وهو نوع من المعجنات، و(قريوله) أي السرير، و(قنفه) أي الأريكة، و(الصراي) أي قصر الوالي.

د - اللغة الإنجليزية:

بدأت المفردات الإنجليزية تغزو اللهجات العربية إبان فترة الاحتلال البريطاني للدول العربية التي خضعت لسلطانها، ومنها العراق، وتسلت هذه المفردات في اللهجات العربية عبر مجال الصناعات والمخترعات، كوسائل النقل الحديثة ووسائل الإنتاج والأدوات المنزلية وسائر المجالات الأخرى.

فكلمة (rail) - مثلاً - أضحت تضاهي كلمة (قطار) في جميع أنحاء العراق، ومنها القرى والأرياف، ولا يعرف العراقي لفظاً يؤدي معنى معاون سائق السيارة، إلا لفظ (سِكِن)، وهو معرب لفظ (scound)، ناهيك من أجزاء السيارة وآلاتها، كالكابحة والفاصلة والمحسنة وفارق السرعة وغيرها، فهو يجهلها تماماً.

خصائص اللهجة العراقية المعاصرة

١ - القلب:

أ - قلب كاف المخاطب جيماً، كما في (أبوج): مقلوب أبوك، وهي لغة يمنية^(١).

ب - قلب فاء الكلمة إذا كانت همزة واواً، مثل: وج، في (أج)، وهي لغة

(١) اللسان (١٢ / ٤٢٤).

يمنية أيضاً^(١).

ج - قلب القاف كافاً، مثل: قال وكال، أو جيماً، مثل: كان وجان، وهما لغتان يمينتان^(٢).

د - قلب الهمزة ألفاً إذا كان قبلها فتحة، مثل: رأس وراس، أو واواً إذا كانت قبلها ضمة، مثل: شؤم وشوم، أو ياء إذا كان قبلها كسرة، مثل: ذئب وذيب، وهو التسهيل^(٣) بعينه.

هـ - قلب واود الفعل المعتل إلى ياء، كما في شكوت وشكيت. وحمل عليه الفعل المضعف المسند إلى ضمير، مثل: شددت وشديت، وهو ملحق بلغة دربي يدبي، من (درب)^(٤).

و - قلب السين (زايًا) أحياناً، مثل: لسق ولزق، أو (صاداً)، مثل: مصدر ومزور، وهما لغتان لربيعية^(٥).

٢ - تحريك عين الاسم من (فعل)، بتثليث الفاء، مثل: بُخِلَ وبُخُل، وصَدُرَ وصَدْر، وكَلَبَ وكَلْب، وجَبُرَ وجِبْر، وهي لغة لبني عقيل^(٦).

٣ - اختلاس الألف المقصور من الفعل الماضي للمفرد والمفردة، والمضارع والأمر للمفرد، مثل: بَقِيَ، وبَقَتْ، وَيَبْقَى وابق. والألف الممدود من الاسم على وزن (فعلاء) و(فعال)، فيصيران (فعله) و(فعه)، مثل: حمراء وحمرة، وسماء وسمه. وحذف همزة (فعلاء) شائع في اللغة السريانية، واختلاس الألف المقصور يحاكي لغة تميم في قولهم: استحي

(١) المصباح (١٩/١).

(٢) اللسان (١٤٢/٥).

(٣) الكتاب (١٦٤/٢) والابدال (٥٤٥/٢).

(٤) اللسان (٣٧٥/١).

(٥) المصباح (١٣٢٣/٤).

(٦) المحتسب (٣٠).

يستحي^(١)، واختلاس الألف الممدود يحاكي لغة قضاة في قولهم: أنا
وآن^(٢)، كلتا اللغتين شائعة في اللهجة العراقية.

٤ - صياغة (فَعْلَانَه) مؤنثاً لوزن (فعلان)، مثل: شبعانة ونعسانة،
وهي لغة لبني أسد^(٣).

٥ - النزوع إلى تشديد الكلمات في الأفعال، مثل: حَمَلَ بمعنى حَمَل، وفي
الأسماء،

مثل: آمين، أي أمين، وهي لغة نسبها ابن السكيت إلى العامة^(٤)، وفي
الضمائر، مثل:

هُوَ وَهْيَ، وهي لغة فيها^(٥).

٦ - كسر حروف المضارعة، مثل: يَدْرِي وَتَكْتَبُ وَنَلْعَبُ، وهي لغة
قيس وتميم وأسد وربيعة^(٦).

٧ - كسر حركة المضاف إلى الاسم المحلّى بأل، مثل: كتابِ المعلم،
وهي طريقة ملحقة بلغة الإتياع، مثل: «الحمد لله»، إذا أتبعَت الدال (لام) لفظ
الجلالة المكسور، فكسرت، وهي قراءة فيها^(٧).

٨ - التلفيق بين الكلمات، مثل: (هُمْدَاك)، أي هَمَك دَاؤُك، وهي لغة
حارث بن كعب، فهم يقولون في (ركبت على الفرس): رَكَبْتُ عَلْفَرَس^(٨).

(١) التهذيب (٦ / ٣٢٤).

(٢) المصدر السابق (١٥ / ٥٦٩).

(٣) اللسان (٤ / ٣٧٢).

(٤) إصلاح المنطق (١٧٩).

(٥) اللسان (١٥ / ٤٧٨).

(٦) المصدر السابق (١٥ / ٤٠٢).

(٧) الكشف (١ / ٥١).

(٨) اللهجات في التراث (٥٦٨).

ويقال أيضاً: مسالخير، أي مساء الخير، وهي لهجة عربية قديمة لأهل عمان والشحر، وتسمى اللخلخانية^(١)، وكذا ورد في اللغة السريانية، فيقال فيها: ماشاء الله^(٢).

٩ - اشتقاق (انفعل) من بعض الأفعال بمعنى المبني للمجهول، مثل: انكتب، أي كُتِبَ، وهذه الطريق، قريبة من لغة يمنية؛ يقال: انطيت، في (أعطيت)، والأمر منه: أنطِه، والمصدر، الإنطاء، واسم المفعول: مُنْطَى، واسم الفاعل: مُنْطِي^(٣)، وكلاهما شائع في اللهجة العراقية.

١٠ - اشتقاق اسم المفعول من الفعل الأجوف على وزن (مفعول)؛ يقال: مبيوع ومديون، كما في (مكتوب)، و(مقتول) في الفعل الصحيح، وهي لغة لبني تميم^(٤).

كان هذا أهم ما اختلفت به اللهجة العراقية عن سائر أخواتها، وربما وافقت إحداها في خصيصة أو أكثر، ولا غرو في ذلك، لأنها انشعبت جميعاً من دوحة واحدة، إلا أن اللهجة العراقية في المهجر - مثل إيران - استوعبت ما يتراطن به الناس، واستخفت ما يروق لها من ألفاظ، فأضحت كلغة الأمسار التي شاعت إبان الفتوحات الإسلامية.

الثنائية اللغوية (Diglossoz)

إن العربي في إيران يلهج - كما بينا - بلهجة عراقية أو بحرينية أو أهوازية، فتزدري لغته الثنائية عند النطق بالفصحى، كما يعاني من

(١) المزهر (١/ ٢٢٣).

(٢) قاموس سرياني - عربي، لويس كوستاز.

(٣) اللسان (١٥ / ٢٣٣).

(٤) اللغات العربية في القراءات القرآنية (٣٩).

الازدواجية أيضاً، لتمكنه من النطق بالفارسية، كأقران من الأتراك والأكراد وغيرهم الذين يعيشون في إيران. فهو ينزع إلى ترجمة العبارات والتركيبات الفارسية إلى العربية، لعدم اطلاعه على ما أثر من كلام العرب، فيبقى متشبثاً بعاميته، إن أتقن الفصحى، إذ تظهر على لسانه، من حين إلى آخر.

الازدواجية اللغوية^(١) (Bilinguisme)

إن ظروف اللغة العربية في إيران فريدة من نوعها في العالم الإسلامي، فالمتعلم الفارسي يحيط بمفردات عربية كثيرة، ورثها من لغته الأم، وهذه المفردات لم تخضع لظاهرة التطور التي طرأت في اللغة العربية خلال مدة تزيد على ألف عام، فأصبح الناطق بالفارسية كمن يملك آلافاً من الأوراق النقدية غير النافقة، لعفو الزمان عليها، فيميل حين التحدث بالعربية إلى استعمال الكلمات العربية القديمة في كلامه، ويترجم - كما يفعل مواطنه العربي - العبارات الفارسية إلى العربية، ظناً منه أنها مستعملة في العربية إلى الآن.

ولعل المتعلم الفارسي - أي من ينطق بالفارسية فقط - أوعى من المتعلم العربي في فهم دقائق العربية وقواعدها، لاعتماده على القياس، فهو على طرفي نقيض مع العربي الذي ينظر إلى لغته بمنظار عام، ويصرف عن التفصيل والتطويل، ويشهد لذلك ما جرى بين سيبويه الفارسي والأصمعي العربي من نقاش، فأدحض الأول حجة الثاني

(١) نعني بها تكلم فرد ما أو جماعة بلهجة عامية وأخرى فصيحة في آن واحد.

بشهادة يونس^(١).

ورغم أن الفارسي يلحن في كلامه حين التكلم بالعربية، إلا أنه لا تشوب كلامه لهجة عربية، كما هو شأن العربي اليوم؛ فيحسبه السامع لبنانياً، يتكلم الفصحى، فهو يحذو حذوه في ترقيق الحروف وقلب بعضها.

ولكن المتعلم الإيراني يشينُ كلامه أثناء العملية التعليمية مايلي:

- ١ - تلفظ بعض الحروف العربية بصورة سقيمة^(٢).
- ٢ - تعدية بعض الأفعال وإلزام بعضها تأثراً باللغة الفارسية.
- ٣ - استعمال لفظ (مع) بدل (الباء) غالباً، فيقول في (جئت بالسيارة): جئت مع السيارة.
- ٤ - إضافة أداة التعريف (ال) إلى بعض الكلمات، أو حذفها منها في بعض المواضع، كالإضافة والموصوف، فمثال الإضافة: الإدارة المدرسية، ومثال الحذف: أقطار العربية.
- ٥ - الخلط بين التذكير والتأنيث، وخصوصاً عند استعمال الضمائر وياء النسبة، مثل: هو تدرس، والمملكة الأردني.
- ٦ - جعل الفعل آخر الكلام في العبارة الفعلية تأثراً بالفارسية.
- ٧ - تأخير أدوات الاستفهام في الجمل الاستفهامية.
- ٨ - إضافة أداة التعريف (ال) إلى بعض الأعلام التي لا تحلى بها عادة، أو حذفها مما يقبلها، مثل: المحمّد، وقاهرة.
- ٩ - لفظ بعض الحروف بصورة مرقّقة، وهي: الباء والراء والكاف.

(١) طبقات النحويين للزبيدي (١٨٥).

(٢) أتينا على ذكر كيفية تلفظها في الصفحة (١٧).

١٠- استعمال الكلمات العربية القديمة، الشائعة في الفارسية في اللغة المعاصرة.

١١- إلحاق الضمير بالصفة، كما في الفارسية، ففي (بيتنا الجديد) يقول: بيت جدينا.

محاولة لتخفيف وطأة المعضلتين «الثنائية والازدواجية في اللغة»: تبين فيما سبق أنّ أهمّ ما يعترض طريق تعلّم الفصحى وتعليمها، ويقف عقبة كؤود دون تقدمها في البلدان العربية والإسلامية، هما: الثنائية اللغوية التي تسود المجتمعات العربية في الأقطار العربية وفي المهجر، والازدواجية اللغوية التي تكتنف لهجات العرب المقيمين في المهجر، وتشين كلام من يعيش في أحد الأقطار العربية من المواطنين - كالبربر في مراكش والأكراد في سوريا والأترك في العراق - والجاليات المختلفة، وكذا متعلّم اللغة العربية في البلدان غير العربية كإيران.

ومما يجدر ذكره، هو أنّ كلتا المشكلتين قد عاصرت الفصحى منذ قديم الزمان، واحتوشتها على مرّ العصور، ولا تزال كذلك إلى يومنا هذا. إلّا أنّ الثنائية أقدم من الازدواجية في ملازمتها للفصحى، وأشدّ نكاية لها، إذ نمت على حسابها، وضيق عليها. ولكن هذا لا يعني أنّهما على طرفي نقيض، بل بينهما تفاضل وتنافس، كما يحصل ذلك بين الشقيقتين أو التربين، فيمكن في هذه الحال جمع شتاتهما، وتضييق الهوة بينهما، وهذا ما نأمله ونصبو إليه.

وأقدّم هنا بعض ما عنّ بفكري إلى زملائي المعلمين والمختصّين بهذا الأمر، راجياً أن يحرز رضاهم، هو حصيلة عشرين عاماً تقريباً، قضيتها

في خدمة لغة القرآن في ميادين التعليم والتحقيق والتأليف والتصحيح والترجمة.

السبل المقترحة لكبح جماح ثنائية اللغة:

- ١ - السموّ بالعامية إلى مستوى الفصحى، ويتم ذلك عبر معرفة أصول مفرداتها، ومن ثمّ تقويمها طبق ما جاء في الفصحى، ونشرها عبر وسائل الإعلام، كقول أهل البحرين: «تُمبا»، وأصله (تبغي).
- ٢ - انتقاء ما تداولته الألسن من المفردات الفصيحة المشهورة، كإطلاق العراقي على البطيخ الأحمر (رقي)، والسعودي (حجب)، والمصري (بطيخ)، والسوري واللبناني (بطيخ أحمر).
- ٣ - القضاء على الأمية، وذلك عن طريق فرض التعليم على كلّ من لا يحسن القراءة والكتابة من الصغار والكبار لكلا الجنسين.
- ٤ - إدخال التقنية الحديثة في جهاز التعليم، كاستعمال الأقلام التعليمية في مختبرات اللغة، ووسائل الإيضاح المختلفة في قاعة الدرس.
- ٥ - إجبار معلّم اللغة العربية على التكلّم بالفصحى أثناء الدس في كافّة المراحل الدراسية.
- ٦ - حتّ الطالب على التكلّم بالفصحى في المرحلة الابتدائية، وإجباره على ذلك في سائر المراحل.
- ٧ - إقامة مؤتمرات أدبية في كافّة الأقطار العربية على غرار مؤتمر الشعراء، كإقامة مؤتمر للكتاب والمترجمين والمصحّحين ومعلّمي العربية بصورة دورية.
- ٨ - عقد محافل سنوية للغويين العرب، لتدارس الطرق الكفيلة لإشاعة

الفصحى، والحدّ من اللهجات المحلية.

٩ - إصدار مجلّات وصحف متخصصة، تعنى بطرق تعليم العربية، وتوجيه معلّميها نحو النهج الأمثل.

١٠ - تأسيس نوادر أدبية، يجتمع فيها الادباء ورؤّاد اللغة، كالنوادي الرياضية.

١١ - عقد اتفاقيات ثقافية مع البلدان الأجنبية، لإيفاد معلّمين وأساتذة للعربية.

التخفيف من شدّة ازدواجية اللغة

١ - وضع منهج يومي، يضمن للمتعلم الاستمرار في النطق بالعربية، وخصوصاً بعد التخرّج؛ ليكون بمنجاة من خضمّ لغته الأمّ، كمشاهدة الأفلام العربية - ولا سيّما التعليمية - بواسطة جهاز الإرسال (الفديو)، والاستماع إلى الأشرطة والأسطوانات العربية بواسطة المسجّل والحاكي.

٢ - مطالعة الصحف والمجلّات العربية بصورة مستمرة.

٣ - الاستماع إلى البرامج العربية عبر الإذاعات الناطقة باللغة العربية الفصحى.

٤ - السعي إلى ترجمة كتاب عربي إلى اللغة الأمّ أولاً، ثمّ ترجمة كتاب من لغة أجنبية إلى اللغة العربية ثانياً؛ لكي يبقى المتعلّم منشداً إلى العربية من خلال مراجعته المعاجم والنصوص العربية.

٥ - ارتياد التجمّعات العربية، والتحدّث مع أفرادها باللغة العربية الفصحى.

- ٦- الاشتغال بتعليم اللغة العربية.
- ٧- العمل كدليل للسيّاح العرب الذين يفدون إلى بلاد المتعلّم.
- ٨- السفر إلى الأقطار العربية للسياحة أو الدراسة أو التجارة.
- ٩- الاتّصال بأيّ عربي، يسكن أحد الأقطار العربية عن طريق المراسلة.
- ١٠- مراجعة الأساتذة العرب في الأمور العلمية واللغوية.
- ١١- تأسيس محافل لغوية ومؤسسات تعليمية، تتصدى لإشاعة العربية الفصحى، بواسطة نشر المطبوعات وإقامة المهرجانات في شتّى المناسبات.
- ١٢- اقتناء كتب عربية، كالمعاجم والقصص، عن طريق الاستعارة أو الشراء.



الكوفة بين الولاء والابتلاء

«حقائق مغيّبة»

✽ صبيح إلياس (العراق)

الكوفة في عهد الإمام علي عليه السلام



قال الإمام علي عليه السلام:

«لا تسبّوا أهل الكوفة، فوالله إنّ فيها لمصابيح الهدى وأوتاد ذكر ومتاعاً الى حين، والله ليدقق الله بهم جناح الكفر».

بقيت العلاقة بين الإمام علي عليه السلام وأهل العراق عرضة لتحليلات واتهامات غير منصفة، بل ومتحيّزة في أكثر الأحيان وفيما يلي بعض الملاحظات في هذا الخصوص:

١ - لقد كانت مراكز القرار في الوطن الإسلامي في فترة خلافته عليه السلام هي: (الكوفة والبصرة والشام والحجاز)، والسبب في ذلك هو وجود

الصحابه وقادة الفتح والجيش العربيه الفاتحه في هذه الأقاليم الأربعة وبكثره، وقتلهم فيما عداها من الأقاليم. (فالناس كما وصفهم أحد الصحابة آنذاك أربع فرق: علي بظهر الكوفة، وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية في الشام، وفرقة الحجاز لاغناء بها ولا يقاتل بها عدو)^(١)، وبملاحظة ذلك تكون الكوفة هي الاقليم الوحيد الذي وضع نفسه تحت تصرف الإمام، وقاتل معه بصدق وبشجاعة وبلا ملل أو كلل حتى كانت الفتنة التي فرقت الناس.

٢- إن الإمام علياً عليه السلام الذي اختار الكوفة دون غيرها من الأمصار مستقراً له وعاصمة لحكمه، واختار أهلها من دون الناس جنداً له، هو أعرف من غيره بمواطن النصره ومرابط الولاء، ولو كان في العالم الإسلامي آنذاك مصر آخر يعيش فيه الولاء لخط الإمامة أكثر من الكوفة لذهب إليه.

إن من ينظر الى واقع العالم الإسلامي آنذاك سيجد أن الكوفة ورغم كل ما فيها فإنها كانت الخيار الأول والأخير والوحيد للإمام عليه السلام، ونساءل عمّن كان مؤهلاً غيرها لتحمل تبعات وقفة الحق تلك، ثم من يملك الدليل الذي يثبت أن ذهابه عليه السلام الى غير الكوفة كان سيحقق النتائج المطلوبة؟

٣- إن كان أهل العراق قد قصّروا في وقفهم مع الإمام عليه السلام؛ فإن غيرهم قد وقف ضده، وآخرين كانوا يقفون على التلّ، فأيّهم الأرجح في الميزان، ولماذا يخصّ أهل العراق بالشتيمة؟

ثم إن كل ما قد أثير حول أهل العراق لم يكن إلا بعد خديعة رفع المصاحف ومأساة التحكيم، وما تبعها من تداعيات أدت في النهاية الى

(١) عبد الخير الخيواني، من أنصار أمير المؤمنين عليه السلام، أعيان الشيعة ج ٣ ص ٣٤ ح ٢ دار التعارف.

تصدع الجبهة العراقية وانشقاق الخوارج، وقد اتسع الخرق خاصة بعد أن قضى الإمام عليه السلام على الجزء الأكبر منهم في معركة النهروان؛ فامتلات النفوس بالأحقاد والإحن.

وفي ذلك كتب أحد رجال معاوية المتخفين في الكوفة الى سيده يخبره بما وصلت إليه الحال في جبهة الإمام، وهو عمارة بن عقبة بن أبي معيط -كتب يقول: «أما بعد فإنّ علياً خرج عليه قرأء أصحابه ونسآكهم، فخرج إليهم فقتلهم، وقد فسد عليه جنده وأهل مصره، ووقعت بينهم العداوة، وتفرقوا أشدّ الفرقة، وأحببت إعلامك والسلام»^(١).

٤- إنّ أهل العراق لم يعيشوا مع الإمام علي عليه السلام فترة حضانة وتوجيه كافية لكي يطلب منهم أن يكونوا كأهل الشام مثلاً، الذين تولّى معاوية لعشرين عاماً تعبئتهم وإعدادهم، وغسل أدمغتهم ومن دون منافس يعكر عليه الأجواء؛ حتى أن أبواب الشام قد أغلقت بوجه الصحابة ومنعوا من دخولها مخافة أن تتغيّر آراء أهل الشام واهواؤهم إذا ما اختلطوا بهم وعرفوا الحقائق المستورة؛ وبذلك أصبح أهل الشام لا يعرفون غير معاوية ولا يفهمون من الإسلام إلّا ما يقوله معاوية، وقد استمرت سياسة عزل أهل الشّام عن محيطهم الإسلامي حتى أواخر حياة معاوية؛ حيث أوصى قبيل وفاته بضرورة منع اختلاط أهل الشام بغيرهم: (وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام الى بلادهم فإنّهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيّرت أخلاقهم)^(٢).

(١) مصادر نهج البلاغة، عبد الزهراء الخطيب ص ٤٢٥.

(٢) الكامل لابن الأثير: ص ٣٦٨ ح ٣.

ويحدثنا التاريخ أن معاوية بدأ منذ أيام الخليفة الثاني عمر يثبت الأمر لنفسه في الشام، ويسير في ذلك سيرة من يريد أن يجعل الشام عاصمة ملكه القادم، وقد نجح في ذلك حتى أصبحت طاعة أهل الشام مضرب المثل في ذلك العصر، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا بأن الشام أصبحت في عهد عثمان هي العاصمة الحقيقية لدولة الإسلام الناشئة، ويصح أن نقول: بأن معاوية صار آنذاك الخليفة الفعلي؛ بدليل أن جميع من كان ينفيهم عثمان أو ينفيهم ولاته في الأمصار المختلفة يساقون إلى معاوية، فأبوذر وثوار البصرة والكوفة سيقوا إلى معاوية ليرى رأيهم فيه^(١)، لقد كان هناك شبه اتفاق بين القوم على تثبيت الأمر لبني أمية في الشام، وجعلها قاعدة أمنية لقريش وعزلها عن باقي أقاليم العالم الإسلامي، وهما هو الإمام يخاطب عثمان أثناء الفتنة قائلاً: «إن معاوية يقطع الأمور دونك وأنت تعلمها فيقول للناس هذا أمر عثمان فيبلغك ولا تغير على معاوية»^(٢).

وهكذا أصبح معاوية هو المدبر الفعلي لشؤون السياسة الإسلامية في عهد عثمان، فكل من يدعو إلى رأي جديد خطراً كان أم غير خطر يساق إلى معاوية ليرى رأيهم فيه^(٣).

وبعبارة واضحة: (إن الإمام علي عليه السلام قد استلم الحكم، وهناك حكومة خفية تدير الأمور من خلف الستار، وتمسك بكل خيوط المسرح السياسي في تلك الحقبة، ولها قاعدتها الأمنية وجيشها المخلص الكثيف العدد والعدد)، ويبدو أن ما حصل في السقيفة قد أسس لإبعاد العلويين

(١) وغطاء السلاطين، علي الوردي: ص ١٣٨.

(٢) سيرة الأئمة، عادل الأديب ص ٦٠.

(٣) وغطاء السلاطين، علي الوردي: ص ١٣٨.

عن الحكم والى الأبد، ولم يكن التمكين لمعاوية في الشام إلا خطوة في هذا الاتجاه بل الخطوة الأهم والأخطر وهو ما يذكرنا ويعيدنا قسراً الى نظرية (المؤامرة) في التاريخ.

أمّا أهل العراق فقد تولّى الإمام عليه السلام ولايتهم وهم فرق وتيارات وفئات سياسية مختلفة وقد عادت من جديد قيم الجاهلية من العصبية القبليّة والإقبال على لذائذ الدنيا والتهالك على جمع الأموال واستطاب الناس حياة الترف والدعة.

فكان على الإمام عليه السلام أن يخوض حربين في وقت واحد: حرباً داخلية لتقويم الانحراف وتوحيد الصفوف، وحرباً خارجية لوأد الفتنة - ولم تكن الأعوام الأربعة التي قضاها عليه السلام بينهم وكلّها حروب وفتن لم تكن تسمح لهم بأن يأخذوا حقّهم من التربية العلوية والتعبئة السياسية، ومن الإعداد وإصلاح النفوس وتوحيد الصفوف.

أمّا أهم محاور الحرب الداخلية التي كان يخوضها الإمام وأهم المعوقات التي أفسدت عليه النصر الذي كان قاب قوسين أو أدنى فنستطيع أن نوجزها بما يلي:

أ - ضمور حالة الوعي الرسالي عند الناس الى الدرجة التي جعلتهم يفقدون القدرة على التفاعل مع خطاب الإمام السياسي الذي كان يطالبهم بخوض الحرب الهجومية دفاعاً عن الإسلام وإحياء الرسالة الإسلامية. وهو ما يتطلّب وعياً عالياً واستعداداً للتضحية من أجل المثل العليا والمبادئ الحقّة، بينما كان أهل الشام يخوضون حرباً دفاعية، وهو أمر حسّي يمكن التفاعل معه بسهولة ويسر.. وهكذا لم تكن الأطروحتان متكافئتين من حيث درجة الجهد المطلوب، ومن حيث درجة الدفع

والتحريك، فالأطروحة الأولى تريد من الجيش أن يخرج من بيته مهاجراً يغزو في سبيل الله، والأخرى تريد من الجيش أن يبقى في بيته وأن يحافظ على استقلال بلده في أرضه^(١).

ب - كان لمعاوية المستقر في الشام أذرع كثيرة داخل العراق، وقد استفاد منها بصورة متقنة في حربه مع الإمام، كما أنه قد استعمل أسلوب الرشوة وشراء الرجال للتأثير على جبهة الإمام، أي أن جبهة الإمام كانت مخترقة، بينما كانت جبهة معاوية مركز جذب لمرضى النفوس وضعيفي الإيمان وطلاب الدنيا الذين نفرهم من الإمام كلمة الحق (التي لم تبق له خلاً) كما صرح بذلك ﷺ وقربهم إلى معاوية المال الحرام الذي كان يغدقه عليهم والوعود المغرية بالإمرة والولاية والأراضي، وقيم الجاهلية التي أحياها في نفوسهم - هذا فضلاً عن استعماله لأساليب الغدر والمكر مما كان بعيداً جداً عن سلوك أمير المؤمنين وهو القائل: «والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر». لقد كان الإمام ﷺ يترفع عن استخدام الكثير من أساليب الغدر والمكر المتعارفة في الحرب، فكان كمن يقاتل بيد واحدة.

ج - الإصلاحات الإدارية، إذ قام الإمام ﷺ بجملة من الإصلاحات كان أهمها عزل الولاة والأمراء المنصبين من قبل الخليفة الثالث عثمان؛ فانتقلوا إلى جبهة معاوية بكل ما يملكونه من مال ونفوذ وتأثير وإمكانات حصلوا عليها بحكم توليهم لأمر الناس فترات طويلة.

د - الإصلاحات المالية: حيث أمر الإمام ﷺ بمصادرة جميع الإقطاعيات والأموال التي أعطاها عثمان بغير وجه حق، إضافة إلى

(١) الأئمة الاثنى عشر، دراسة تحليلة، عادل الأديب ص ٧٤ - ٧٥ بتصرف.

قيامه ﷺ بتقسيم العطاءات بصورة متساوية على الناس من غير مراعاة للاعتبارات التي كان معمولاً بها قبله، ولقد تسببت هذه الإصلاحات في إعراض الكثير من وجهاء القوم وزعماء القبائل عن نصره الإمام؛ حتى تحولوا إلى طابور خامس كان يمعن تمزيقاً في جبهة الإمام الداخلية.

بينما كان الأمر على العكس في جبهة معاوية، حيث كان تصبّ في خزائن بني أمية وعلى مدى سنين طويلة، أموال وغنائم الفتوحات الإسلامية، التي كانت فوق حدود الخيال، وكلّ هذا قد وظّف في الحرب ضدّ الشرعية، فصرفت الأموال لشراء الضمائر والذمم وبناء الجيوش وتحصين الجبهة الشامية واختراق الجبهة العراقية.

ولا يخفى أن التشكيلات العسكرية في ذلك الزمان كانت متكوّنة من القبائل، وكان لزعماء تلك القبائل تأثير كبير في توجيه قبائلهم بالاتجاه الذي يرونه، وكان كثيراً من زعماء هذه القبائل وأشرف الناس قد تأثروا سلباً بسياسة الإمام ﷺ العادلة في توزيع الأموال وفي سحبه لامتيازاتهم الكبيرة التي كانت في زمن عثمان، وقد حاول بعضهم مساومة الإمام ﷺ فأرسلوا إليه الوليد بن أبي معيط الذي قال له:

(يا أبا الحسن، إنك قد وترتنا جميعاً ونحن اخوتك ونظراؤك من بني عبدمناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال أيام عثمان، وإن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام...)»^(١).

هـ - لقد كانت الكوفة مقرّاً للكثير من الصحابة، حيث سكن فيها بعد تمصيرها (١٤٨) صحابياً^(٢) وقد وقف عدد مهم من هؤلاء على الحياد

(١) نهج البلاغة ج ١ ص ١٤٠.

(٢) تاريخ الكوفة، حسين البراقبي ص ٣٨٢.

كسعد بن أبي وقاص وغيره، بل إن بعضهم كان يثبّط الناس عن المشاركة في الحرب، وكانوا يشيعون روح الاعتزال والجلوس على التل - من أمثال «أبي موسى الأشعري»؛ ممّا أثار البلبلة وأوجد حالة من الشك شوّشت الرؤية على بعض الناس وخلطت عليهم الأمور.

إنّ المسلمين وبالتدريج وخضوعاً للأمر الواقع، وبحكم السياسة الحاكمة على يد الخلفاء الثلاثة، بدأوا يعاملون عليّاً على أساس أنّه (صحابي جليل لا أكثر) وبحكم هذا التقييم كان يوجد كثير من الصحابة ممّن كانوا يرون أنهم لا يقلّون عن الإمام (عليه السلام)، أو على أحسن تقدير أنّ الفارق بينه وبينهم فارق تافه.. وهذا الوضع لم يكن موجوداً في المجتمع الشامي الذي لم يكن يعرف غير معاوية بن أبي سفيان، فنظرة أهل الشام ورجالهم إلى معاوية تختلف عن نظرة أهل المدينة والعراق إلى الإمام (عليه السلام)، وهذه النظرة المختلفة هي التي أوجدت باستمرار في حياة الإمام (عليه السلام) تناقضاً وكثيراً من الآراء والاجتهادات المتضاربة وامتناعاً في كثير من الأحيان عن قبول رأي الإمام (عليه السلام)، بينما كان أهل الشام يتلقون أوامر معاوية بالتسليم والطاعة التامة^(١).

لقد بذر هؤلاء الصحابة بذرة الشك في جبهة الإمام (عليه السلام)، فهم كانوا على قدر كبير من الورع والتقوى في نظر الناس والمتلبسين بلباس الأتقياء العقائديين المثاليين، كانوا يوحون إلى الجماهير بأنّ المعركة ليست صحيحة وأنها فتنة، (القاعد فيها خير من القائم والنائم فيها خير من القاعد، والماشي فيها خير من الساعي)^(٢).

(١) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨ - ٧٩.

(٢) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨ - ٧٩.

وهكذا نمت وترعرت بذرة الشك تلك؛ لتثمر فيما بعد (الخوارج) الذين أفضلوا خطط الإمام علي^(١)، ثم قتلوه وكادوا أن يفتكوا بالإمام الحسن^(٢) بعد أن أحدثوا البلبلة في معسكره^(٣)، ثم اشتركوا في دعوة الحسين^(٤) إلى الكوفة ليساهموا في قتله وسبي عياله.

٥- وإن كان الإمام^(٥) قد قسى على بعض أهل العراق في بعض خطبه، فإنما كان يستثير حميتهم ويستنهض همهم، وإن كان قد عانى حقاً ن عدم اطاعتهم له؛ فإنها معاناة وآلام وصرخات كل الأنبياء والمصلحين عبر التاريخ، وليس الأمر خاصاً بأهل العراق فأنصار الحق دائماً قليلون؛ لأن نصرته مكلفة ومن يتولى الحق فعليه أن يستعد للبلاء، وقد قالها سلام الله عليه في إحدى خطبه:

«أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلّة أهله»^(٦).

٦- تؤكد المصادر التاريخية أن أكثر أهل الكوفة كانوا على مذهب جمهور المسلمين في ولائهم السياسي بما في ذلك الموالي الذين كانوا يشكّلون نسبة عالية من سكّان الكوفة، ولم يكن شيعة علي آنذاك يمثلون أكثر من السبع أو الثمن من مجموع أهل الكوفة، وكانوا بالخصوص قبائل همدان وكندة ومذحج وكلّها من قبائل اليمن^(٧).

(١) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨-٧٩.

(٢) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨-٧٩.

(٣) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨-٧٩.

(٤) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨-٧٩.

(٥) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨-٧٩.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٩.

(٧) لاحظ ماسينيون خطط الكوفة ص ٦٢ بتصرّف.

٧- إنَّ مكانة الإمام^(١) في نفوس الناس آنذاك لم تكن بالقدسية التي نعرفها نحن اليوم، لقد كان الإمام في نظر الناس - هو الصحابي الجليل والخليفة الشرعي المنتخب ولذلك فإنَّهم ما كانوا يجدون كبير إثم في مخالفته والاعتراض عليه، وكان^(٢) يسمح لهم بهذه المعارضة والمخالفة ويقول:

«فلا تكلموني بما تكلم به الجبابة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل الباردة، ولا تخاطبوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استتقالاً في حق قيل لي ولا التمساً إعظام لنفسي، ولا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل؛ فإني لست بنفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني - فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا»^(٣).

وكان بذلك يعلم الناس أن لا يشعروا بالانسحاق أمام الحاكم، ويمارسوا دورهم في مراقبته ومحاسبته والاعتراض عليه، ومن دون خوف. ولطالما عانى معاوية ومن تبعه من الخلفاء من آثار هذه التربية العلوية حتى قالها معاوية يوماً:

يا أهل العراق، لقد لمظكم ابن أبي طالب الجرأة على السلطان وبطيء ما تفتطمون.

إنَّ الشيعة في ذلك الزمان لم يكونوا شيعة بالمعنى الخاص الذي نعرفه اليوم، بل كانوا شيعة بالمعنى العام، فهم أنصار الإمام علي عليه السلام

(١) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨ - ٧٩.

(٢) الأئمة اثني عشر، عادل الأديب، ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢١٤.

وحزبه السياسي وتياره الجماهيري المستضعف^(١).

وفي الواقع فإنّ الأمويين قد استطاعوا من خلال جمهرة من الفقهاء إعطاء (المشروعية الفقهية) لسلطة القوة فأصبح (فقه الطاعة) لسلطة الظلم هو البديل عن (فقه الثورة) بادعاء خوف الوقوع في الفتنة الداخلية وهكذا استطاعوا تخدير معظم انحاء العالم الإسلامي وقتل روح الثورة في أبنائه لفترات زمنية متمادية، ولم يشذ عن ذلك سوى العراق الذي فشلت كل الأساليب الارهابية والتضليلية في ترويضه وخداعه وتخديره، وبقي صداداً دائماً يؤرق الطغاة ويقض مضاجعهم.

إنّ روح الثورة ومفاهيم العدالة الاجتماعية ومسائلة الحُكّام التي زرع بذورها الإمام علي عليه السلام في أرض العراق هي التي حصّنت هذه الأمة، وجعلتها عصية على التطويع والخداع بعد أن وضعت لها النموذج الأمثل والمثل الأعلى، فأصبحت القلوب خالية إلا من حب علي وعدل علي وروح علي ومن سار على درب علي الى يوم الناس هذا.

وعلى كلّ حال ومع كلّ هذه الظروف والمؤثرات فقد كان أهل العراق رجاله الأشداء في الجمل وصفين والنهروان، بل إنهم قد نفروا إليه ليجاهدوا تحت رايته حتى قبل أن يحطّ رحاله بين ظهرانيتهم عندما كان في الطريق من الحجاز الى البصرة متوجّهاً لحرب أصحاب الجمل.

٨- ثمّ ألم تكن معاناته عليه السلام في العراق أهون بكثير من معاناته في الحجاز؛ حيث لم يبق من عشرات الآلاف التي بايعته إلا رجال بعدد أصابع اليد، ولم يكن قد مضى على البيعة ووفاة النبي إلا أشهر معدودات؟ بينما وجد عليه السلام في العراق وبعد عشرين عاماً من الدعاية

(١) تعدد أدوار ووحدة هدف، الشهيد محمد باقر الصدر، ص ٧٧ بتصرف.

المضادة لخط أهل البيت عليهم السلام وجد عشرات الآلاف من الرجال والأنصار الذين خاض بهم حروبه القاسية مع الناكثين والقاسطين والمارقين، ورفع بهم راية للحق ما كانت لترتفع بغيرهم في ذلك الزمان.

٩- إنَّ ما نسب إلى الإمام عليه السلام في ذمَّ أهل العراق بحاجة إلى التثبيت والتدقيق لأنه من المعروف أن بعض ما نسب إليه هو من المراسيل، ثم أنه يعارض بكلمات له عليه السلام تصف أهل الكوفة وقبائل العراق التي قاتلت معه بأروع الصفات، وتضعهم في مكانة يحسدهم عليها الآخرون، وكمثال على ذلك ما ورد بحقهم في بعض الخطب والرسائل والكلمات ومنها: «يا أهل الكوفة، إنكم من أكرم المسلمين وأقصدكم تقويماً، واعدلهم سعة وأفضلهم سهماً في الإسلام وأجودهم في العرب منكباً ونصاباً، وأنتم أشدَّ العرب ودأً للنبي عليه السلام وأهل بيته وإِنَّمَا جُنْتُكُمْ ثَقَّةً بعد الله بكم للذي بذلتم من أنفسكم»^(١) «إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب»^(٢) «يا أهل الكوفة، جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن ما يجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته فقد سمعتم وأطعتم ودعيتم فأجبتم»^(٣) «ما أشدَّ بلايا الكوفة! لا تسبوا أهل الكوفة. فوالله إنَّ فيها لمصابيح الهدى وأوتاد ذكر ومتاعاً إلى حين، والله ليدقق الله بهم جناح الكفر، لا تنتخبوا أبداً غير مكة حرم الله والمدينة حرم رسول الله، والكوفة حرمي وما من مؤمن إلا وهو من أهل الكوفة أو هو اه لينزع إليها»^(٤). «الكوفة جمجمة الإسلام وكنز الإيمان وسيف الله ورمحه، يضعه حيث أحب، والذي نفس على بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما

(١) أعيان الشيعة، العاملي ج ٣ ص ٣٥ عن الإرشاد للمفيد.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٣٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٤٠.

(٤) فضل الكوفة وأهلها، محمد بن علي العلوي الحسني الكوفي ص ٧٠.

انتظر بالحجاز»^(١)

«الكوفة قبة الإسلام وسيف الله ورمحه يضعه حيث يشاء»^(٢).

«كأنّي بك يا كوفان تُمدّين مدّ الأديم العكاظي؛ تعركين بالنوازل وتركبين بالزلازل، وإنّي لأعلم أنّه ما أراد بك جبار سوءاً إلا ابتلاه بشاغل ورماه بقاتل»^(٣)

«وليس أهل الشام بأحرص على الدّنيا من أهل العراق على الآخرة»^(٤)

«وانتم (لهاميم العرب) و (يافيع الشرف) و (الأنف المقدم) و (السنام الأعظم)»^(٥).

«أنتم الأنصار على الحقّ والإخوان في الدين والجنن يوم البأس والبطانة دون الناس، بكم أضرب المدبر وأرجو طاعة المقبل»^(٦).

أمّا رأيهِ ﷺ في قبائل العراق التي قاتلت تحت رايته وهي ربيعة وهمدان ومضر ومذحج وطى والأزد وغيرها.. فكان يردّد دائماً:

«(فخر طويل لك يا ربيعة) (يا ربيعة أنتم درعي ورمحي)».

«يا معشر همدان، أنتم درعي ورمحي، يا همدان، ما نصرتم إلا الله ولا أحببتم غيره».

وقد أثر عنه قوله: «ولو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان: ادخلي بسلام»^(٧).

١٠ - إنّ من يطالع وقائع حرب صفين وأهوالها وطول مدّتها؛ ليأخذ

(١) فضل الكوفة وأهلها، محمد بن علي العلوي الحسني الكوفي ص ٧٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٤٧.

(٤) نهج البلاغة، الرسالة ٢٥٥.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٦.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة ١١٧.

(٧) نهج البلاغة ج ٣ ص ١٤٤ - ١٦٥.

العجب من بطولات وتضحيات أهل العراق، وهم يدافعون عن الإسلام الأصيل وخطّ الإمامة ويفدون به بالغالي والنفيس؛ حتى قال قاتل القوم: الله الله في النساء والأطفال، من لبني الأصفر بعدكم أيها الناس، بعد أن أشرف الجيشان على الفناء، وكانت طلائعهم بقيادة مالك الأشتر قاب قوسين أو أدنى من النصر لولا الفتنة وخيانة بعض الزعماء من طلاب الدنيا الذين سبّبوا بخيانتهم وتقاعسهم حالة من البلبلة والفرقة، أثّرت على جبهة الإمام وأدّت الى النتائج التي سجّلها التاريخ.. نعم إنّ ملحمة صفين هي سفر للمجد والخلود، وتاج مفاخر أهل العراق، ولولا الفتنة لغير العراقيون وجه التاريخ في صفين.

١١- وأخيراً ولنفترض أننا سلّمنا بكلّ ما يقوله الرواة ومؤرّخو السلاطين -نقول: وهل كان أكثر أهل العراق آنذاك إلّا جنود الفتح الإسلامي الذين استوطنوه بعد الفتح، وهم من عرب الحجاز واليمن فإن كان هناك من سبّة فهي لكلّ العرب، وليست خاصة بأهل العراق إذ لم يكن قد تبلور في ذلك الزمان كيان خاص بهم، ولم تحدّد لهم معالم وسمات واضحة ومميّزة كما هو اليوم.

١٢- إنّ من ينظر الى الطريقة التي تعامل بها الإمام (عليه السلام) في موضوع الحكم والسياسة والحرب ليجزم بأنّه (عليه السلام) كان يريد أن يثبّت قيماً ومبادئ تبقى من بعده نماذج تقتدي بها الأجيال.. لقد كان (عليه السلام) يؤسس لأشياء أكبر من حجم الزمان والمكان في تلك الحقبة التاريخية، ولم يكن منهجه (عليه السلام) أبداً منهج من يعتبر أن الحكم هو الهدف النهائي.. ولقد دفع أهل العراق ثمن هذه السياسة، وتحملوا كلّ المسؤولية عن ذلك في نظر المؤرخين، في حين إنهم كانوا أتباع رجل إلهي ما كان همّه الانتصار وحياسة

وسائله بقدر ما كان همّه تثبيت المبادئ والقيم ووضع المقاساة المثلى للحاكم الإسلامي وللحكم الإسلامي، وهو العارف بموعد قيام دولة الحقّ في آخر الزمان والمنتظر لسيف المرادي الذي يخضّب هذه من تلك.

لقد مضى عثمان وخلف الدولة الأموية قائمة بالفعل بفضل ما مكّن لها في الأرض وبخاصة في الشام، وبفضل ما مكّن للمبادئ الأموية المجافية لروح الإسلام من إقامة الملك الوراثي والاستئثار بالمغانم والأموال والمنافع، ممّا أحدث خلخلة في الروح الإسلامي العام. وجاء عليّ ليرد التصرّور الإسلامي للحكم إلى نفوس الناس، وسار في طريقه يرد صورته كما صاغها النبي ﷺ.

إنّ الذين يرون في معاوية دهاءً وبراعة لا يرونها في عليّ، ويعزّون إليهما غلبة معاوية في النهاية إنّما يخطئون تقدير الظروف، كما يخطئون فهم عليّ وواجبه، لقد كان واجب عليّ الأوّل والأخير أن يرد للتقاليد الإسلامية قوتها وأن يرد إلى الدين روحه، وأن يجلّوا الغاشية التي غشت هذا الروح على أيدي بني أمية، ولو جرى وسائل بني أمية في المعركة لبطلت مهمته الحقيقية، ولما كان لظفره بالخلافة خالصة من قيمة في حياة هذا الدين، إنّ عليّاً إمّا أن يكون عليّاً أو فلتذهب الخلافة عنه بل فلتذهب حياته معها^(١).

لقد عجز الإمام ﷺ عن تحقيق أهدافه الآنية، وبهذا فهو خاسر في نظر أولئك الذين يحترفون السياسة ولا يفهمون غيرها. أمّا في نظر الذين يعتبرون التاريخ معركة مبادئ فـ (عليّ) هو لا منتصر الأكبر، لقد كان

(١) العدالة الاجتماعية، سيد قطب ص ٢١٧.

بإستطاعته ﷺ أن يستعمل الكثير من الأساليب المتعارفة عند أهل السياسة كاستعمال منهج التغيير التدريجي للولاة وللقوانين، وإقرار الناس على ما تحت أيديهم من أملاك وعقارات وأموال حتى تستقر الأمور وتسلس له قيادها.

ولكنه ﷺ كان يرى رأياً آخر، وكان يقول: «ما ظفر من ظفر الإثم به، والغالب بالشر مغلوب»^(١) ويقول: «اتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟»^(٢).

والخلاصة أن الإمام ﷺ قد استلم مجتمعاً منحرفاً وغير متجانس، وكان عليه أن يقوم بإصلاح هذا المجتمع وتوحيد فئاته وتياراته، وأن يخوض به الحرب ومن غير فاصلة أو استراحة.. وقد واجه ﷺ عدواً خبيثاً ماكراً مستقراً وموحداً استغل نقاط الضعف في جبهة الإمام ووظفها لصالحه.

أما أهل العراق فقد تسلطت الأضواء عليهم باعتبارهم السبب الرئيسي والوحيد لكل ما حدث، والمنصف يعلم أن مسلسل الأسباب قد ابتدأ بالسقيفة، ولم يكن ما حدث بعدها إلا تحصيلاً للحاصل، ونتيجة طبيعية لعوامل الانحراف التي نخرت المجتمع المسلم واعادته الى أحضان الجاهلية من جديد.

وصدق من قال: (النصر كلنا أبأوه، أما الهزيمة فلا أبأ لها)^(٣).

(١) نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٣١.

(٢) نهج البلاغة ج ١ ص ١٨٢.

(٣) نابليون بونابرت، امبراطور فرنسا.

الإمام الحسين عليه السلام وأهل الكوفة

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الكوفة تحبنا ونحبها أهل البيت».

لقد دأب المؤرخون على اتهام أهل العراق بأنهم هم الذين دعوا الإمام الحسين عليه السلام لينصروه، ثم أنهم عدوا عليه فقتلوه، وفي الحقيقة فإن هذه التهمة لا تقل عن سابقاتها تحيزاً وتحاملاً، وافتقاراً للموضوعية والإنصاف، وأدناه بعض الأدلة على ذلك:

١- إن دعوة أهل العراق للإمام الحسين عليه السلام دون غيرهم من الشعوب الإسلامية نقطة تسجل لصالحهم، وهم الذين خبروا حال الحكم الأموي والتفاف الشاميين حوله، ولم ينسوا عجزهم عن القضاء عليه وهو يحكم الشام فقط، فكيف يطمعون بالقضاء عليه وهو يحكم ما بين الهند وشمال أفريقيا، وهم أضعف بكثير عما كانوا عليه في السابق؟

٢- إن استجابته عليه السلام ما كانت لتتم لولا يأسه من تجاوب باقي أقاليم العالم الإسلامي مع حركته، رغم بقاءه لأكثر من أربعة أشهر في مكة المكرمة، منتظراً غضبة المسلمين لدينهم وكرامتهم، بعد رفضه البيعة ليزيد، (ولا مجيب غير أهل العراق).

٣- لقد كانت الكوفة في زمن الإمام الحسين عليه السلام خليطاً من الشعوب والديانات والقبائل والمذاهب السياسية، ولم يكن الشيعة يمثلون آنذاك سوى أقلية ضعيفة ومرصودة من الجميع.

من الناحية القومية

كان يعيش في الكوفة أقوام من الفرس والروم والترك والأكراد، وأكثرهم من بقايا الجيش الفارسي المهزوم ومن أسرى الحروب،

وكانوا يشكّلون حوالي نصف سكان الكوفة أو أكثر، وكان منهم شرطة ابن زياد وجهازه الأمني، وقد بلغ من استفحال أمر هؤلاء الموالي أن نسبت الكوفة إليهم فقالوا: (الكوفة الحمراء) باعتبار أن أكثر هؤلاء الموالي هم من الشعوب الآرية التي تميل ألوان بشرتهم إلى اللون الأحمر.

ومن الناحية الدينية

كان يسكن في الكوفة بضعة آلاف من اليهود والنصارى، وكانت بأيديهم مصانع السلاح ومصادر المال والذهب، وكانوا يملّون السلطات في سعيها لقمع حركة مسلم بن عقيل، ولإغراء الناس بالأموال وتثبيطهم عن نصرته الحسين عليه السلام.

وسياسياً

كان في الكوفة أحزاب كثيرة (كالأمويين - الحزب الحاكم - والزيبريين والخوارج)، وكانت بيد الأمويين كل مراكز القوة والتأثير السياسية والاجتماعية والأمنية.

وقبلياً

كانت أكثر قبائل العراق موالية للأمويين، وكانت الأموال تصرف بسخاء لشراء زعماء تلك القبائل.

كلّ هذا سهّل على ابن زياد الانفراد بالأقلية الشيعية وشلّ حركتها ومنعها من نصرته الحسين عليه السلام.

ومن هذا الخليط غير المتجانس تكوّن الجيش الذي قاتل الحسين عليه السلام.

في كربلاء، وهو ما يفسّر كثيراً من المواقف التي حدثت في ساحة المعركة، لقد كان القوم يقولون للحسين عليه السلام: (اتّما نحاربك بغضاً لك ولأبيك) وهو كلام حاقّد موتور، وليس كلام محبّ مجبور على الوقوف مع الجيش الأموي، وكان الإمام عليه السلام على علم بهويّة هذا الجيش؛ فكان يخاطبهم بـ (يا شيعة آل أبي سفيان) نعم، لقد اشتركت الكوفة بكلّ مكوّناتها التي مرّ ذكرها في قتل الحسين عليه السلام ولم يتخلّف عن ذلك سوى الشيعة الذين قمعوا وبمنتهى القسوة، ومع هذا لم يجد التاريخ الظالم أحداً يعلّق برقبته تلك الجريمة الشنعاء سوى شيعة الإمام وأنصاره.

فَقَتَلَتِ الإمام الحسين عليه السلام ومن أجل أن يبعدوا التهمة عن أنفسهم، اتهموا شيعة الإمام من أهل الكوفة بأنّهم هم الذين قتلوه.

إنّ هذا الخليط غير المتجانس في المجتمع الكوفي كان من الأسباب الرئيسية التي أدّت الى الحيلولة بين شيعة الكوفة ونصرة الحسين عليه السلام. ويتجلّى ذلك من خلال عدّة اعتبارات:

أ - إنّ مجتمعاً خليطاً كهذا تكون فيه عمليّة تجميع القوى وتوحيد الصفوف أمراً هو أقرب الى المستحيل، بينما تسهل فيه عمليّة التفرقة والتفكيك والهدم.

ب - إنّ سلاح الإشاعة يكون أكثر تأثيراً وتدميراً للمعنويات في مثل هذا المجتمع الخليط.

ج - إنّ الذين بايعوا مسلم بن عقيل ليس كلّ أهل الكوفة، بل الأقلّيّة الشيعيّة فقط، ولذلك وعندما دخل ابن زياد الى الكوفة انضمّ إليه باقي الفئات من غير الشيعة طمعاً أو خوفاً، وهكذا فقد سخرهم ابن زياد لرصد الشيعة ومحاربتهم ومنعهم من نصرة الحسين عليه السلام.

٤ - لقد استعمل ابن زياد مختلف أساليب الترغيب والترهيب مع مجتمع، يعيش منذ عقدين من الزمن اجواءً إرهابية بوليسية، وقمعاً شرساً ومستمراً، وتجويعاً وإذلالاً؛ فاشترى من يمكن شراؤه من الوجهاء وكبار القوم والاشراف، وحاول من خلالهم شراء الآخرين وهو ما تكشفه وصيته لهم: «أشرفوا على الناس فمَنُوا أهل الطاعة بالزيادة والكرامة، وخَوَّفُوا أهل المعصية بالحرمان والعقوبة، وأعلموهم وصول الجنود من الشام»^(١).

وقد اصطفَّ معه كثيرون من الفئات الأخرى الناقمة على الشيعة، ثم أشاع بأن جيوشاً شامية كثيفة تقترب من الكوفة ممَّا أثار على معنويات الناس؛ حيث وجدوا أنفسهم على وشك الاصطدام وجهاً لوجه مع جيوش الشام، وقبل أن يعدّوا للأمر عدّته، خاصّة وأنّهم قد عانوا الكثير من جيوش الشام التي تنتهك كل المقدّسات من قتل وسبي واغتصاب وسرقة وإذلال. وتضرب بكلّ قيم وأصول الحرب في الإسلام عرض الحائط. وهو ما أثبتته الأحداث فيما بعد عندما استباح هذا الجيش المدينة المنورة، وفضلاً عن ذلك فقد قام ابن زياد باعتقال أعداد كبيرة من شيعة الكوفة وأطرافها قبل وصول الحسين عليه السلام - أي بمصطلحنا الحديث اعتقل القيادات والكوادر المفصليّة المهمّة ووجوه القوم، واستعمل القسوة والإرهاب لإخافة الناس، فأصبحوا كالجسد المشلول بلا رأس ولا أطراف.

٥ - كما أنّ طول فترة المعاناة وكثرة ما قدّم الناس من التضحيات وضعف الوعي الرسالي عند الكثير منهم، كل هذا ولّد في نفوسهم

(١) مقاتل الطالبين، الاصفهاني ص ٦٧.

الإحباط؛ فأصبحوا في حالة من اليأس من إمكانية نجاح أي حركة أو ثورة، وهكذا وجدنا بعضهم يثبّط البعض الآخر ويثنيه عن الزج بنفسه في معركة خاسرة ليس وراءها إلا الفشل والندم والتضحيات - وطبعاً كلّ هذا قد تغيّر بعد استشهاد الحسين (عليه السلام)، لأنّ هول الصدمة قد قلب كلّ الموازين رأساً على عقب، وجعل الناس يسترخصون أرواحهم في سبيل هدم أركان هذه الدولة الباغية.

٦ - لقد حيل بين أهل الكوفة وبين الحسين (عليه السلام) بمختلف الأساليب، ومن ضمنها محاصرة الكوفة وقطع كل الطرق والمسالك منها وإليها؛ وذلك لمنع أي تسلل ولقطع الطريق على كل من يفكر بنصرة الحسين (عليه السلام).

٧ - إنّ ما وصلنا من روايات لا يعطينا صورة واضحة عمّا حدث في الكوفة في الفترة التي سبقت وصول الحسين (عليه السلام)، كما إنّ هذه الروايات بحاجة الى تمحيص وتدقيق... ثم إنّ هناك لكثير من الحلقات المفقودة التي ما لم نجدها لا نستطيع أن نفهم حقيقة ما جرى في الكوفة آنذاك من مثل: (عدم قيام مسلم بن عقيل بالقضاء على ابن زياد قبل أن يثبّت نفسه، وقد مكّنه الله منه في بيت هاني بن عروة، فإن لم يكن يرى مشروعية قتله، فلماذا لم يبادر الى وضع القيد في يديه وحبسه الى حين الانتهاء من تنفيذ خطة الثورة؟ ثمّ ما سرّ بقاء أربعة آلاف مقاتل يحيطون بقصر الامارة من الصباح حتى المساء؟ فما الذي منعهم من دخوله في أول ساعة، وماذا كانوا ينتظرون وليس في القص سوى (٥٠) نفراً كما تنقل الروايات؟) (ومن هم الرجال الثلاثون الذين بقوا معه، ولماذا تفرقوا عنه؟ هل كان تفرقهم بأمره بعد أن تبين له فشل الحركة وخشية تعرّض الجميع للإبادة، أم كان جبناً وخوفاً من الانتقام؟! (ثم أيُعقل أنّه لا يوجد في

الكوفة رجل واحد يملك الشجاعة للبقاء مع مسلم؟) (وما سرّ انفضاض الناس من حول مسلم بن عقيل وبصورة لا تكاد تصدق، على فرض صحّة ما روي؟! (وما سرّ عدم تحرّك عشيرة هاني بن عروة لاستنقاذه من يدي ابن زياد؟) وغير ذلك من الحلقات المفقودة.

يقول السيد الشهيد محمّد الصدر^(١): (إنّ مقتضى كلام الخطباء الحسينيين عن مسلم بن عقيل... أنّه جمع الناس في أحد الأيّام كجيش محارب وزوّدهم بالأسلحة وأمر عليهم الأمراء والقوّاد، واجتمعت إليه الكوفة برمتها حتى إذا كان المساء نفسه تفرّقوا عنه حتى بقي وحده يتلدد في أزقة الكوفة، فلمّا كان الصباح نفسه تألّبوا جميعاً ضده وقاتلوه حتى أن النساء والأطفال كانوا يرمونه من السطوح بالحجارة، وهذه خريطة ذهنية غير معقولة^(٢)).

إنّ الرواة دأبوا - وبصورة يبدو أنها مدروسة ومحسوبة وموجّهة - على الغمز من قناة أهل الكوفة لغايات وغايات، فهم دائماً يتحدثون عن الألوف المؤلّفة، التي بايعت مسلماً، والألوف المؤلّفة التي حاصرت دار الامارة، والألوف المؤلّفة من عشيرة هاني بن عروة الذين أحاطوا بقصر الامارة، وآلاف الأشخاص الذين أرسلوا الرسائل، وهذا التضخيم والمبالغة اسلوب ماهر وخبيث يقصد منه الإيحاء للآخرين بأن عناصر القوة كانت كاملة وكافية، وأنّ أهل الكوفة ورغم كلّ ما يملكونه من هذه العناصر فإنّهم قد خانوا وغدروا وجبنوا عن نصره الحقّ وهم قادرون. والآن ماهي حقيقة ما جرى لمسلم بن عقيل وحركته قبل وصول الإمام الحسين^(عليه السلام)، هل كان هناك خلل في اسلوب قيادته للناس في هذه

(١) أضواء على ثورة الحسين^(عليه السلام)، السيد محمّد الصدر^(رحمته الله) ص ١٨٢.

المواجهة المصيرية والفاصلة؟ هل يتحمّل مسلم بن عقيل بعض المسؤولية فيما حصل؟

فمع تبدل المعطيات وانقلاب والمواقف، يتساءل الباحث فيما لو كان لموفد الحسين دور في الإخفاق الذي انتهت إليه مهمته على ذلك النحو المأساوي المدمّر للثورة الشيعية في الكوفة، وعلى المدى الأبعد من ارتباطها بالحسين. وإذا كنّا لا نملك من الأخبار لمناقشة هذا الأمر؛ فإنّه من مسلمات القول أن الدور الذي تولاه الموفد الحسيني كان من أخطر أدوار الثورة وأكثرها دقّة^(١).

وأيضاً هل كانت رغبات الناس - وهم يدعون الإمام لينصروه - أكبر من حجم ارادتهم وأكبر من امكانياتهم، وهم يواجهون القمع الأموي؟ هل كانت أساليب القمع والارهاب أكبر وأقوى من حنكة القيادة ومن امكانيات الناس؟ هل هذا كلّّه كان مجتمعاً؟ هل هناك أسباب غير منظورة؟ كلّ هذا لم يتعرّض له المؤرخون إلّا بصورة مشوّهة ومبتورة.

٨ - لقد قام الأمويون - وطيلة فترة حكمهم للعراق وعلى مدى عقدين من الزمان - بتجربة مختلف الأساليب لقتل الشخصية الشيعية العراقية المعارضة والمتمسّكة بخطّ أهل البيت؛ فأمعنوا في أهل العراق قتلاً وتجويعاً وتشريداً وارهاباً.

يقول الإمام الباقر^(عليه السلام) عن تلك الفترة: «وقتلنا شيعتنا بكلّ بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظلّة، وكلّ من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبید الله بن زياد قاتل

(١) اتجاهات المعارضة في الكوفة، إبراهيم بيضون ص ٤٩.

الحسين عليه السلام...» (١).

نعم، لقد كان أشدّ الناس بلاء حينئذٍ أهل الكوفة لكثرة ما بها من شيعة علي عليه السلام، فاستعمل معاوية عليهم زياد بن سمية، وضمّ إليه البصرة؛ فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم (٢).

ولم يكتفِ معاوية بذلك حتى قام بتهجير أكثر من خمسين ألفاً من أهل الكوفة إلى خراسان للقضاء على المعارضة الشيعية المستمرة والمتجددة... وقد أنزل من الكوفيين وأسّره، وكانوا أعظم الثّوار تشيعاً خمسين ألفاً في خراسان؛ وبذلك حطّم قوّة المعارضة في الكوفة (٣)، ومع هذا فإنّه كان يتوقّع انتفاض الكوفة على خليفته يزيد فيما بعد، فأعدّ للأمر عدّته، وكتب عهداً قبيل وفاته يقضي بتعيين ابن زياد والياً على الكوفة إضافة لولايته على البصرة، وهو المعروف بقساوته وبطشه وحقه على أهل البيت عليه السلام وشيعتهم، وقد أودع ذلك العهد عند مستشاره (سرجون الرومي) على أن يبرزه ليزيد كوصيّة واجبة التنفيذ في حال تمرّد أهل العراق وخروجهم على الحكم الأموي بعد وفاته.

ثم أردف ذلك بوصيّة ليزيد يحذّره فيها من أهل العراق، وينصحه فيما بأن يعين لهم في كل يوم والياً إذا ما طلبوا ذلك تجنباً لثورتهم وتمردهم.

(١) ثورة الحسين، شمس الدين ص ٧٧.

(٢) المصدر السابق ص ٧٠.

(٣) المصدر السابق ص ٧٤.

ومع كل هذا

فأهل العراق وبدلاً من أن يذعنوا ويسالموا الحاكم الظالم فإنهم يرسلون الإمام الحسين عليه السلام ليقودهم في ثورة لا يمكن وصفها بكل المقاييس إلا بأنها ثورة استشهادية، علماً بأنها ليست بالمرة الأولى التي يدعون فيها الإمام الحسين عليه السلام لقيادتهم؛ فهم حين ضرب معاوية باتفاقية الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام عرض الحائط هبوا إليه عليه السلام يدعونه لرفع راية الثورة والمواجهة من جديد، ولكنّه عليه السلام لم يجبهم الى ذلك، فذهبوا الى الإمام الحسين عليه السلام وطالبوه بنفس الشيء وكان جوابه لهم: «صدق أبو محمد، فليكن كل رجل منكم حليماً من أحلاس بيته مادام هذا الإنسان حياً. فإنّ هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم»^(١).

ولم يقل لهم: إنكم أهل غدر ولا نستطيع الثقة بكم، بل حتى أنه لم يقل لهم سنرى وننظر، بل قال نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم، وهذا هو منتهى الثقة والتقدير؛ حيث يجعلهم الإمام شركاء له في اتخاذ القرار المناسب وهو المعصوم المفترض الطاعة.

وقد تكررت هذه الدعوات والوفود على مدى عشرين عاماً وفي كل مناسبة وعند كل أزمة.

٩ - لقد عزّز الأمويون قوتهم الذاتية في الكوفة، لا سيّما وأن هذه الأخيرة كانت دائماً بؤرة المعارضة الأكثر خطورة في المشرق الإسلامي، وكان هذا الواقع مصدر قلق للسلطة منذ قيامها، معبرة عن ذلك باختيار شخصيات غير عادية لأهل العراق، ولم تكن تلك الشخصيات قادرة على القيام بمهامها العسيرة دون قوّة رادعة من

(١) الأخبار الطوال، الدينوري ص ٢٢١.

القبائل العراقية الموالية للنظام، ولا تننسى في هذا السبيل أن القوة المقاتلة (الجيش) في العهد السفياني من الدولة، كانت لا تزال منصرفة بثقلها نحو هذا الدور (الأمني) بعد انطفاء وهج الدور الجهادي التوسعي الذي مارسه في العهد الراشدي^(١).. أي أنه كان يوجد في الكوفة حامية عسكرية قوية وجهاز أمني عتيد^(٢)، إضافة إلى وجود قوات شامية على حدود العراق مستعدة للدخول بسرعة للقضاء على أي محاولة للتمرد، وقل حصل ذلك مراراً فيما بعد. إنَّ من السذاجة أن نتصوّر أن الأمويين قد تركوا الكوفة من غير عيون وإرصاد وقوات جاهزة للطوارئ، وهي عاصمة المعارضة وقاعدة أهل البيت، ومن السذاجة أيضاً أن نتصوّر أن الحكم الأموي الذي كان يرصد حركة الإمام الحسين عليه السلام وبكل دقة وتتبع، أن يبقى ساكناً ولا يأخذ للأمر أهبطه، بل على العكس من ذلك فإن سير الأحداث يؤكد بأن الحكم الأموي كان يخطّط لاستدراج الحسين عليه السلام إلى العراق للإجهاز عليه باعتباره خارجاً على الخليفة، بدليل الرسالة التي أرسلها يزيد إلى ابن زياد بعد وصول رأسي مسلم وهاني إلى دمشق، حيث يقول فيها: (بلغني أنّ الحسين بن علي قد فصل عن مكة متوجهاً إلى ما قبلك، فأدرك العيون عليه وضع الإرصاد على الطريق وقم أفضل القيام، واكتب إليّ الخبر كلّ يوم)^(٣).

وبعبارة أوضح: إنّ حركة الإمام الحسين عليه السلام وبسبب الظروف الضاغطة والاستثنائية كانت خالية من عنصر المفاجأة، والمباغطة الذي

(١) اتجاهات المعارضة في الكوفة، إبراهيم بيضون ص ٤٥-٤٦.

(٢) لقد كان للأمويين شبكة واسعة من العيون والشرطة والمخبرين والعرفاء والجنود المرتزقة الذين كانوا يحصون على الناس أنفاسهم.

(٣) الأخبار الطوال، الدينوري ص ٢٤٢.

يعتبر من أهم عوامل النصر في الحروب والثورات، بل إنها كانت مكشوفة في أكثر تفاصيلها للأمويين، وهو ما سهّل عليهم محاصرتها والقضاء عليها بعد أن أعدوا لها كلّ مستلزمات الإجهاض والتصفية.

١٠ - أمّا موضوع رسائل أهل العراق الى الإمام الحسين عليه السلام فهو أمر غير واضح المعالم، ولم يحدّثنا التاريخ بصورة دقيقة عن عدد هذه الرسائل وعن أصحابها، وكلّ ما نعرفه أخبار مجملة تذكر وجود رسائل الى الإمام من أهل العراق، وأنّ الإمام عليه السلام قد عرض خرجين مملوئين بالرسائل على الجيش الأموي وهو يحاجّهم في أسباب قدومه. ولدينا نص يرويه بعض المؤرخين لواقعة كربلاء وخلاصته:

أنّ بعضاً ممّن التحق بالإمام الحسين عليه السلام وهم نافع بن هلال الجملي والعائذي وعمر بن خالد الصيداوي ومولاه، وقد وصف أولئك موضوع الرسائل للإمام الحسين عليه السلام فقالوا في جانب من كلامهم: (يا ابن رسول الله، أمّا أشرف الناس فقد عظمت رشوتهم وملئت غرائرهم، وما كتبوا إليك إلّا ليتخذوك سوقاً ومكسباً وهم غداً عليك إلباً واحداً)^(١) أي أنهم سعوا لكي يظهروا بمظهر المعارض للسلطة؛ فكتبوا الإمام لكي يفهموا السلطة بأهميتهم، من ناحية أخرى فإنّهم كانوا يجارون الناس في توجهاتهم خوفاً من احتمال انتصار الحسين عليه السلام وتغيير المعادلات السياسية التي كانت مضطربة في ذلك الوقت، وكان هناك أيضاً من يبغض الجانبين معاً: الحسين والأمويين، ويريد أن يوقع بينهما مثل الخوارج. هناك النفعيون الذين يغازلون الطرفين معاً وهم مع كلّ ربح يميلون، ومن الناس من راسله وهو يريد به الخديعة والغدر، وقد راسله

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ص ٥٥٣ ح ٢.

الكثيرون من أهل الكوفة، من عامة الناس بتأثير حمى المراسلة ولغلبة العقل الجمعي عليهم.

ومن غير الكتب التي أرسلت من أمثال هؤلاء هناك كتب أرسلت للإمام من حزبه السري في الكوفة وشيعته المخلصين، والذين كانوا يرسلونه باستمرار، وقد ضمنوا ولاء الناس له ولأهل البيت عليهم السلام وكان هؤلاء على علم مسبق بدوافع الجهات الأخرى في المراسلة، ولذلك فقد أعدوا للأمر عدته، وهيأوا الأجواء المناسبة لحركة مسلم بن عقيل، وحشدوا له الأنصار وكانوا يخفونه بينهم بعد قدوم ابن زياد، والتفاف الكثير من المنافقين حوله من الذين سبق وأن راسلوا الإمام الحسين عليه السلام، وتعهدوا له بالنصرة كشبث بن ربعي الخارجي وحجار بن أبجر النصراني الذي دخل الإسلام على يد ابن زياد وغيرهم.

إن كان الشيعية الموالون للإمام الحسين عليه السلام في الكوفة حزباً سرياً، وكان يتعاطف معه الكثيرون من أهل الكوفة وخاصة المستضعفون منهم، وقد تمكّن أنصار الإمام عليه السلام من إحداث تيار من المساندة له عليه السلام قبل دخول ابن زياد إلى الكوفة، ذلك الدخول التي قلب موازين الصراع بشرائه للإشراف ووجهاء القوم، واستعماله العنف والإرهاب والخديعة وأخذه المبادرة بالهجوم على المعارضة.

١١ - ومن الضروري أن نبين هنا أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد تمرد على الحكم الأموي عندما رفض البيعة ليزيد، وخرج إلى مكة المكرمة، وكان عليه السلام يقول لعبدالله بن عمر بعد أن طالبه بعدم المسير إلى العراق: هيهات يا ابن عمر، إنّ القوم لا يتركونني وإن أصابوني، وإن لم يصيبوني فلا

يزالون حتى أبايع وأنا كاره أو يقتلونني»^(١).

وقوله: «والله لو كنت في بطن صخرة، أو في حجر هامة لاستخرجوني منها وقتلونني»^(٢). وقد سافر عليه السلام إلى مكة ليضع الأمة الإسلامية أمام مسؤولياتها^(٣). ولكن لم يستجب له، وبعد أربعة أشهر من الانتظار سوى أهل العراق، فما كانت حركته عليه السلام استجابة لأهل العراق بقدر ما كان تحرك أهل العراق استجابة وتفاعلاً مع حركته عليه السلام، ولم يغادر مكة المكرمة إلا بعد أن تأكد من وجود مؤامرة أموية لقتله فيها^(٤)، وأن العناصر المكلفه بهذه المهمة قد دخلت إلى المدينة المقدسة، ثم رحل عليه السلام إلى العراق وكان ما كان من الأحداث التي ختمت باستشهاده عليه السلام.

١٢ - وما إن انتهت معركة الطف باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه؛ حتى اشتعلت الأرض بثورات العراقيين بدءاً بثورة التوابين الاستشهادية وثورة المختار، فمروراً بثورة ابن المغيرة وابن الأشعث وزيد بن علي وأبي السرايا وعمر بن يحيى الطالبي، وانتهاء بالثورة العباسية التي ما كان سيكتب لها لانجاح لو لم تعتمد على إحياء وتراكمات وتداعيات ثورة الحسين عليه السلام، وما تلاها من ثورات وانتفاضات كان للكوفة فيها حصّة الأسد، وقد أصبحت الكوفة فيما بعد عاصمة للخلافة العباسية، وهو أمر له دلالات ومعاني.

يقول المؤلف الهندي (خودابخش): إن الكوفة كانت (مركز المؤامرة

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ص ٣٠٨.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام ص ٢٩٠.

(٣) مبعوث الحسين عليه السلام ص ٧٦.

(٤) يروى أن ثلاثين جاسوساً قد اندسوا بين الحجاج لغرض قتله عليه السلام ولو تأخر قليلاً في مكة لقتل غيلة، ولذهب دمه هدراً ومن غير فائدة.. لقد علم عليه السلام بصدور الأوامر بقتله ولو تعلّق بأستار الكعبة.

العباسية) ولكن العباسيين تخوفوا من ولاء أهل الكوفة للعلويين؛ ولذلك نقلوا عاصمتهم فيما بعد الى مكان آخر غيرها، وهكذا عشرات من الثورات وآلاف من الشهداء والأبطال، ونهر من الدم لم يتوقف عن الجريان ونداء للثورة والثأر لم يصمت أبداً.

فهل هناك أمة في التاريخ أدمنت الثورة والتضحية كأهل العراق؟ وهل تاريخ ثورات الشيعة إلا تاريخ العراق وأهل العراق؟ ونقول: إن الكثير من الحقائق قد طمست، لأنّ التاريخ يكتبه المنتصرون، وعلينا الآن أن نفكر في عادة كتابته على أسس موضوعية وعلمية سليمة؛ كي لا تضيع الحقيقة وتشوّه معالم التاريخ.

١٣- وأخيراً لو كان اللعن والتقريع والمنصب على أهل العراق يشملهم جميعاً وبكل فئاتهم وميولهم لهان الخطب؛ لأنّ هؤلاء يمثلون كلّ التيارات السياسية والعقائدية الموجودة في العالم الإسلامي آنذاك، والتقصير سيكون هنا تقصير أمة، يمتدّ وجودها من الهند الى شمال افريقيا ممثلة في أهل العراق، وعليهم جميعاً ينطبق الدعاء المأثور: (اللهم العن أمة شايعت وبايعت وتابعت على قتله أو سمعت بذلك فرضيت به).

أمّا أن يكون اللعن والتقريع المنصب على أهل العراق يخص الشيعة منهم فقط فهذا ما لا يرضاه عاقل.

ويلح علينا السؤال: لماذا سلبت من عبارة (أهل العراق) كلّ مكوناتها الأخرى التي اشتركت في هذه الجريمة التاريخية من أمويين وزبيريين وخوارج وموالي ونصارى ويهود؟ ولم يبق إلا الشيعة لتعلّق برقابهم كلّ الأسباب والنتائج وبهذه الصورة المجحفة، وكأنّ أهل العراق في ذلك الزمان كانوا جميعاً من الشيعة.

إنَّ قتل الحسين عليه السلام هو في المحصلة النهائية مسؤولية كل العالم الإسلامي الذي يعتبر أهل العراق في ذلك الزمان جزءاً من نسيجه الطبيعي، إذا ما استثنينا (شيعة الكوفة) الذين كانوا يتميزون بولائهم لأهل البيت عليهم السلام.

نعم، (إنَّ الكوفة قتلت الحسين، ولكن من هي هذ الكوفة القاتلة أنها قطعاً كوفة الأمويين والخوارج واليهود والنصارى والموالي، وليست في كل الأحوال كوفة الشيعة أو شيعة الكوفة)؛ ونتيجة ذلك فإنَّ المقصود من كل ما قيل في أهل الكوفة وأهل العراق. لا يعني إلا أعداء آل البيت عليهم السلام وشيعتهم في كوفة ذلك الزمان.

وبعبارة أخرى فإنَّ جدالنا مع أصحاب الروايات القادحة في أهل الكوفة سيكون من ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: صحة أسانيد تلك الروايات.

الاتجاه الثاني: سلامة نصوص تلك الروايات من الزيادة والنقصان.

الاتجاه الثالث: توجيه تلك الروايات، والبحث عن المقصود

الحقيقي منها.

فلو سلّمنا لهم جدلاً بسلامة أسانيد تلك الروايات وصحّتها وسلامة النصوص من التحريف، وهو أمر دونه خطر القتاد، ولكن نقول (جدلاً): يبقى أمامنا بعد ذلك كلّ توجيه هذه الروايات، وهو أمر ليس من السهل تجاوزه؛ لأنَّ تلك الروايات تخترن في ثناياها الكثير من المعاني والدلالات التي يمكن تفسيرها بعدة أوجه، إضافة إلى أنَّ المنطق والعقل والبحث العلمي الرصين لكّها لا تنسجم مع توجيه هذه الروايات في اتهام شيعة الكوفة بتلك التهم الشنيعة، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نقول:

أولاً: إنّ ما حدث للإمام الحسين عليه السلام في العراق كان من الممكن أن يحدث له في أي بلد آخر، والأمر ليس خاصاً بأهل العراق بل هو رهين الظروف والمؤثرات الخارجية الضاغطة، وعدم تكامل شروط النجاح والانتصار، فدوافع عدم النصرة والمحاربة كانت دوافع سياسية ومصليحية محضة، وليس لها علاقة من قريب أو بعيد بالطبيعة السايكلوجية (النفسية) أو البايولوجية (الخليّة) لأهل العراق. وأنّهم أهل غدر وخيانة و... الخ.

بل ونستطيع أن نزعّم بأن الإمام عليه السلام لو قتل في أي بلد إسلامي آخر لما كان لاستشهاده من الآثار والتداعيات بقدر ما حصل في العراق؛ لأنّ الخزين الثوري في هذه المنطقة لا يمكن أن يماثله أي خزين ثوري في العالم الإسلامي، وقد رأينا كيف حمل أهل العراق فيما بعد رايات الثورة والتحدي والثأر التي ما انتهت إلّا بإسقاط الدولة الأموية الباغية.

ثانياً: إنّ المقصود من كل الروايات والأدعية القادحة في أهل الكوفة هو جميع الفئات عدا (الشيعة)، والتاريخ أعجز من أن يذكر لنا اسم شيعي واحد اشترك في قتال الإمام الحسين عليه السلام، نعم قد يكون البعض ممّن قاتل مع الإمام علي عليه السلام في الجمل وصفين كالشمر وشبث بن ربعي وقيس بن الأشعث وغيرهم، ولكن هؤلاء قد أصبحوا من الخوارج وكفّروا الإمام علياً عليه السلام؛ ولذلك لا يمكن اعتبارهم من الشيعة.

وفي تصورنا أن التفريق بين شيعة الكوفة وأهل الكوفة هو أمر مهم وضروري جداً لفهم حقيقة ما جرى في تلك الأحداث المصيرية، بل هو الحلقة المفقودة في كلّ البحوث التي تعرّضت لهذا الموضوع.

وخلصه الأمر

إنَّ شِيعَةَ الكوفة كانوا أبرياء من تهمة الغدر والخذلان والخيانة، وإنَّ باقي أهل الكوفة من غير الشيعة هم الذين ساهموا بطريقة وأخرى في حرب الإمام الحسين عليه السلام، وحالوا بينه وبين شيعته، ولأسباب نفعية وسياسية، ليس لها أي علاقة بطبيعتهم السايكلوجية أو البايولوجية، وإنَّ ما حدث للإمام عليه السلام في العراق كان من الممكن أن يحدث له في أي بلد يحطّ فيه رحاله.

فشِيعَةُ العراق أبرياء من تهمة الاشتراك في قتل الحسين عليه السلام. وأهل العراق عموماً أبرياء ممّا يشاء عنهم بأنَّهم قد جُبلوا على الغدر والخيانة. أمّا حالة التقلّب في المواقف عند بعض أهل الكوفة من الشيعة وغيرهم فهو نتيجة طبيعية لحالة الظلم والإرهاب الطويلة السائدة في المجتمع، وما تولّده في نفوس بعض الناس من تداعيات وتصدعات وانهييارات تكون حصيلتها وجود شخصيات من هذا النوع المنافق المتلون الذي يسعى وراء مصالحه فحسب، وهذه النتيجة من الممكن أن نجدها وبشكل مضاعف في أي مجتمع يتعرّض لما تعرّض له المجمع العراقي من ارهاب وظلم واضطهاد قل نظيره.



رئيس المبلّغين آية الله السيد سعيد اختر الرضوي

✽ اعداد: معاونية الثقافية
للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام

هو العلامة المحقق، رئيس المبلّغين السيّد سعيد اختر
الرضوي (١٣٤٥-١٤٢٣ هـ ق / ١٩٢٧-٢٠٠٢ ميلادي).



ولادته ودراسته

ولد آية الله رئيس المبلّغين العلامة المحقق الحاج السيد سعيد اختر
الرضوي نجل المرحوم استاذ العلماء مولانا الحكيم الحاج السيد
أبي الحسن في الأول من شهر رجب سنة ١٣٤١ هـ ق المصادف للخامس

من كانون الثاني من سنة ١٩٢٧ م في «عشرى خورد» في منطقة
(سيوان) Siwan من ولاية بهار (Bihar) في الهند.

ويعد من الجيل الخامس في سلسلة علماء أسرته، وكان اجداد السيد
اختر الرضوي الاربعة بلا فصل من العلماء المعروفين الى جانب أبيه،
وكان أشهرهم مولانا السيد محمد مهدي (المتوفى ١٩٢٩م) صاحب
الكتاب المعروف بلوائح الاحزان في (مجلدين)؛ حيث لا يزال هذا الكتاب
يطبع وينشر في الهند وباكستان .

شرع العلامة الرضوي دراسته في بيت آبائه واجداده في مدينة گوپال پور
في منطقة سيوان، ثم انتقل في الثامن من عمره الى پاتنا (Patna) حيث كان ابوه
معاوناً للمدرسة «العباسية» هناك. «انكب المرحوم العلامة الرضوي على
الدراسة في تلك المدرسة بإشراف أبيه وسائر العلماء».

وفي سنة ١٩٤٢ م دخل «جامعة العلوم الجوادية» في بنارس التي
كانت احدى الحوزات العلمية الثلاث المعروفة في الهند، وحينما كان في
بنارس كان يشارك في امتحانات المراحل المتقدمة في علم اللغة
بفروعها العربية والفارسية والاوردية. والتي كانت تدار بإشراف هيئة
«الله آباد» العلمية، والرتب العلمية التي كانت تعرف بشهادة الدبلوم
تمنح للمشاركين في امتحانات هذه اللغات الثلاث، كانت تحمل هذه
العناوين على نحو الترتيب «الفاضل، المنشئ والقابل»، وقد اجتاز
المرحوم العلامة جميع هذه الامتحانات بدرجة ممتاز.

وفي سنة ١٩٤٦ م وفي التاسع عشر من عمره تخرج من جامعة العلوم
الجوادية بدرجة ممتاز، وأهديت له أعلى درجات العلوم الإلهية المسمى
«بفخر الأفاضل» .

اساتذته

- ١- والده: استاذ العلماء، الحكيم السيد أبو الحسن الرضوي -في پاتنا .
- ٢- مولانا السيد فرهت حسين -في پاتنا .
- ٣- مولانا السيد غلام مصطفى -في پاتنا .
- ٤- مولانا السيد مختار أحمد -في پاتنا .
- ٥- مولانا الشيخ كاظم حسين -في بنارس .
- ٦- حجة الإسلام والمسلمين السيد ظفر الحسن الرضوي -في بنارس .

- ٧- حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا الزنگپوري -في بنارس .

وبالاستفادة من محضر هؤلاء العلماء، درس العلامة الرضوي متوناً مختلفة من جملتها اللغة، والأدب العربي، والمنطق، والفلسفة، والفقه، والاصول، والإلهيات، والحديث .

والجدير بالذكر أن المرحوم العلامة بعد سنوات من النشاطات في المجالات التعليمية والتبليغية، وفي الوقت الذي كان يمارس تدريس اللغة في الثانوية، كان يشترك في امتحانات الفصل النهائي لجامعة عليگار الإسلامية، بصفته طالبا جامعيا كبير السن، حائزا على شهادته الدراسية، بدرجة ممتاز ايضا.

نشاطاته الدينية والاجتماعية

كان يسعى منذ فترة شبابه وبشكل فعال من اجل الارتقاء بالمستوى العلمي، والوعي الديني، والثقافي، والاجتماعي في مجتمعه .

وفي سنة ١٩٤٨م وفي السنة الحادية والعشرين من عمره، حلّ محل أبيه حيث أصبح إماماً دينياً في «هالار» (Hallaur) في منطقة «بستي» (Basti) الهندية، وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٩٥١م.

ومنذ سنة ١٩٥٢ وحتى سنة ١٩٥٩م تصدى لإمامة صلاة الجمعة في «حسين گنج» في منطقة «سيوان»، وفي نفس الوقت كان يمارس مهنة التدريس في اللغة الاوردية، والفارسية، في ثانوية «حسين گنج».

وخلال هذه السنوات كلها كان المرحوم العلامة يمضي جميع تعطيلاته، وأوقات فراغه في القيام بالنشاطات الجماعية والاجتماعية، من قبيل النشاطات المؤدية الى تحقيق اهداف «رابطة وظيفه السادات والمؤمنين» و«رابطة ترقى الاوردو».

وقد سعت رابطة وظيفه السادات والمؤمنين، بإعطائها حصة دراسية لطلاب الشيعة في المراحل الجامعية العالية، الى الارتقاء بمستوى العلم والثقافة في وسط شباب الشيعة، في حين كان هدف رابطة ترقى الاوردو هو الارتقاء بمستوى اللغة الاوردية في وسط المسلمين الهنود.

إن بعضاً من شباب شيعة ذلك اليوم -والذين يتصدون لأعمال ومناصب جيدة في الوقت الحاضر- كانوا يحظون برعاية ومساعدة العلامة من الناحية الاخلاقية والتربوية، وكذلك من الناحية المالية؛ حتى تيسر لهم مواصلة دراساتهم العالية. وحين إقامة العلامة في هالار «Hallaur» كان له دوره الكبير في بناء المساجد فيها.

وفي عقد الخمسينات الميلادية كان عضواً في هيئة أمناء مسجد گوپال پور وإماماً له، وحينما أقدمت الدولة الهندية على مصادرة الأراضي الزراعية الواسعة، وحوض تربية الاسماك الكبير، والتي كانت

من موقوفات المسجد وإمامه، ومصدرا ماليا لضمان حفظ تلك الموقوفات، عارض المرحوم من خلال المحكمة هذا القرار، ووقف ضده حتى تمكن من استرجاع تلك الموقوفات، وجعلها في خدمة المسلمين . وفي أواخر الأربعينات، وفي الخمسينات الميلادية نشط العلامة في كتابة المقالات والكتب المختلفة باللغة الاوردية، في موضوعات اسلامية مختلفة، ومنذ شهر حزيران ١٩٤٩م وحتى حزيران الثاني من سنة ١٩٥٠م، كانت تنشر سلسلة مقالاته تحت عنوان (الإسلام وادارة البيت) في شهرية «واعظ» في مدينة «لاكناو»، وقد شكّلت المقالات الإثنتا عشر المذكورة، والتي طبعت خلال سنة واحدة في تلك المجلة الشهرية اساساً لكتابه باللغة الانجليزية تحت عنوان (الحياة العائلية في الإسلام)، (نشر هذا الكتاب سنة ١٩٧١م)، وتم نشر نسخة من هذا الكتاب باللغة الاوردية سنة ١٩٩٧م .

وفي سنة ١٣٤٧ هـ ق أشار أحد أعضاء الهيئة التحريرية لإحدى المجلات الشهرية المرتبطة بأهل السنة وتحت عنوان «الرضوان»، والتي كانت تنشر في لاهور، اثار تساؤلات وإشكالات حول مذهب التشيع. وعلى اثره طلب عدد من الشيعة من العلامة المرحوم الإجابة عليه، فأقدم بدوره على الإجابة عليه على شكل مقالة تحت عنوان «الجواب الحاسم لمدير مجلة الرضوان»، وطبعت هذه المقالة في ١٢ عددا على التوالي في شهرية «الجواد» بين سنة ١٩٥٥م الى ١٩٥٨م .

وقد حظيت المقالة الثانية من سلسلة مقالات العلامة التي كانت حول موضوع «البداء»، والذي يعدّ من المسائل الكلامية المعقدة، حظيت باهتمام كبير لدى العلماء، حتى أنّ «الاديب الاعظم مولانا ظفر حسن»

المدير المسؤول لمجلة «النور» في كراچی اقدم على نشرها على شكل «حوار» تحت عنوان «حوار العلامة الرضوي مع زوجته في مسألة البداء» في سنة ١٩٥٥م. وضم مولانا ظفر حسن الى مقالته مذكرة، أظهر فيها أنه لم ير ولم يقرأ مقالة في موضوع البداء باللغة الاوردية أوضح مما كتبه العلامة فيه .

وقد تم طبع سلسلة مقالات الإثني عشر التي كتبها العلامة في ٤٤٤ صفحة على شكل كتاب تحت عنوان «إتمام الحجة» في سنة ١٩٨٦م . والذي ذكر حتى الآن يمثل قسماً من نشاطات المرحوم العلامة الرضوي العلمية والاجتماعية قبل هجرته الى افريقيا .

تبليغه في أفريقيا

في شهر كانون الأول من سنة ١٩٥٩ سافر الى تانزانيا، وأقام في مدينة ليندي، وقدم خدمات الى المجتمع من ١٩٥٩ - ١٩٦٢ بصفته عالماً هناك. كما كان مصدر خدمات في مدينة أروشا من سنة ١٩٦٣ وحتى ١٩٦٤، وفي دار السلام من ١٩٦٥ وحتى ١٩٦٩. وبعد مضي اسبوع من وصوله الى افريقيا شرع بتعلم اللغة السواحيلية، ودراسة الأوضاع والظروف المحلية من أجل المبادرة الى تبليغ الإسلام الأصيل وسط الناس المحليين في تلك الديار.

وفي تلك الأيام التي هاجر فيها العلامة الى افريقيا، لم يكن في جميع افريقيا حتى شخص واحد من الشيعة الاثني عشرية من اصل افريقي، وأن المجتمع الشيعي، وعلماءهم أيضاً لم يولوا اي اهتمام بوظيفتهم تجاه نشر وتوسيع تعاليم ورسالة اهل البيت (عليه السلام) في أوساط مجتمعهم.

في سنة ١٩٦٢ قام بإعداد برنامج للتبليغ ثم قام بارساله الى الأمانة العامة للمجلس الاعلى لرابطة علماء الشيعة الاثني عشرية والذي كان مستقراً في اروشا آنذاك. وفي نهاية المطاف سنة ١٩٦٣ وضعت خطة المرحوم العلامة في التبليغ تحت البحث والدراسة، وفي تلك الأثناء لم تكن خطة العلامة بالنحو الذي طرحها هو قابلة للتطبيق، ولكنها نفذت كخطة تجريبية.

كما أن العلامة وفي سنة ١٩٦٣ قام بزيارة كل الجماعات والجمعيات الموجودة في شرق افريقيا مؤكداً على تقوية وتقويم نظامها التعليمي المدرسي. وفي خلال سفر العلامة هذا الى دول شرق افريقيا كان يسعى من اجل تقوية وتوحيد المناهج الدراسية والتعليمية لجميع المدارس.

وفي سنة ١٩٦٤ أعدت الأمانة العامة لرابطة العلماء مذكرة على أساس خطة العلامة التبليغية، والتي أدرجت في قائمة أعمال مؤتمر «اتحاد جماعة العلماء الاثني عشرية في افريقيا» والذي كان يعقد في كل ثلاث سنوات في مدينة تانكا؛ وبهذه الطريقة تأسست هيئة بلال للمبشرين المسلمين. ومنذ ذلك اليوم صرف العلامة الرضوي جميع أوقات فراغه في النشاطات التبليغية، وفي سنة ١٩٦٨ أصبحت الهيئة المذكورة رسمية في تانزانيا، وحينما اتسعت نشاطات هذه الهيئة طلب المرحوم آية الله السيد محسن الحكيم في النجف الأشرف من المجلس الاعلى لرابطة علماء الشيعة الاثني عشرية في افريقيا إعفاء العلامة من المسؤوليات المناطة به في الهيئة، ولذا كانت نفقات «مولانا» تسدد بعد ذلك من قبل المرحوم آية الله الحكيم، وبعده من قبل المرحوم آية الله السيد الخوئي.

المكاسب «المنجزات» العالمية لهيئة بلال

وكانت نتيجة مساعي الهيئة هي انتماء عشرات الآلاف من الأفارقة الى مذهب التشيع، وقد اتسعت تدريجياً دائرة نشاطات هيئة بلال، وبطرق مختلفة كالتعليم، وإصدار النشرات، ودورات التعليم الكتابية، وشملت تلك النشاطات دولاً أخرى كتايلند، واندونزيا، واليابان، وكذلك بعض الدول الاوربية، وأمريكا وجزر كارائيب .

وكان احد التأثيرات المباشرة لدورات هيئة بلال الكتابية الإسلامية هو وجود مجتمع شيعي، حيوي ومزدهر الآن في دولة غويان (في امريكا الجنوبية) بقيادة «لطيف علي». وكان السيد لطيف علي موفقاً في نشر وتوسيع رسالة التشيع حتى في دولة ترينيداد وتوباغونيز. ويصف السيد لطيف علي الذي دخل مذهب التشيع سنة ١٩٧٢، يصف أسباب الرشد والتوسع الشيعيين في «غويان» كالاتي :

«العلامة الرضوي الذي لا يجد التعب طريقاً اليه، من خلال القلم، ولطيف علي من خلال نشر ما تعلمه من العلامة» .

ولهيئة بلال مركز تربوي (حوزة علمية) للوعاظ في دار السلام، والذي يضم قسماً داخلياً واسعاً كبيراً، ولهذا المركز أيضاً روضة للأطفال، ومدارس ابتدائية ومتوسطة وثانوية، ومدارس قرآنية، ومعهد لتربية المعلمين. ومن النشاطات الأخرى لهيئة بلال هو العمل في مجال مشاريع خيرية مختلفة للشيعية الافارقة في تانزانيا . والهيئة المذكورة تقيم ثلاث دورات تعليمية كتابية والتي من خلالها اشرق نور التشيع على كل زاوية من زوايا تلك البلاد.

وقد أقدمت هيئة بلال على نشر أكثر من مئة كتاب باللغة الانجليزية

والسواحيلية والتي يشمل القسم الاكبر منها كتب العلامة مع ترجمتها .
وهناك هيئة بلال أخرى للمبلغين المسلمين أيضاً في كينيا، تأسست
تزامناً مع تأسيس هيئة بلال في تانزانيا، وهناك فروع أخرى لهيئة البلال
في دول بروندي، ماداغاسكار، كنگو، رواندا، وموزانبيك. وقد تأسست
منظمات أخرى بأسماء وعناوين مماثلة في دول سنغال، نيجيرية، غنا،
السويد، وأمريكا، مستلهمة من هيئة بلال للمبلغين المسلمين في تانزانيا.

إقامته الطويلة في «الهند» و «الغرب»

في سنة ١٩٧٨ عاد العلامة الرضوي الى الهند، مبدأ بترجمة تفسير
الميزان للمرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي الى اللغة
الانجليزية، وقد تم حتى الآن نشر عشرة مجلدات من هذه الترجمة.
وبالإضافة الى عمله العلمي المذكور أعلاه، كان المرحوم العلامة
مصدراً لكثير من أعمال الخير، منها إعادة وبناء «المعبد» و «مراقده
الأولياء» وتعمير وترميم مسجد گوپال پور. وكان سفر المرحوم
العلامة ولأول مرة الى كل من انكلترا وأمريكا سنة ١٩٨١م. إلا أن الهدف
من سفره الى هذه الدول وان كان لأجل التبليغ في شهر رمضان المبارك،
لكنه طلب بالإضافة الى ذلك من المكتب المركزي لرابطة وظيفه السادات
والمؤمنين، قائمة بأسماء للشيعة، الذين اقترضوا مبالغ من الرابطة لأجل
مواصلة دراساتهم الجامعية العالية، مع تمتعهم بوضع مالي جيد في
أمريكا، لكنهم مع ذلك لم يسددوا قروضهم، وكان قصد العلامة من عمله
هذا هو استرجاع القروض المدفوعة الى أولئك الشيعة، بغية توفير
امكانية المساعدة الى الطلبة الجامعيين المؤهلين من الشيعة.

في شهر كانون الأول من سنة ١٩٨٢ سافر العلامة الى لندن إثر دعوة وجهت إليه من مؤسسة الإمام صاحب الزمان عليه السلام. فأقدم هناك على تأسيس «الاتحاد الإسلامي العالمي لأهل البيت عليه السلام» وذلك بالتعاون مع المرحوم حجة الاسلام والمسلمين السيد مهدي الحكيم عليه السلام، وكان العلامة نفسه يعد أحد أعضاء الهيئة التأسيسية لذلك الاتحاد، وكان رئيساً للجنة كتابة مسودة النظام الداخلي لاتحاد أهل البيت عليه السلام في لندن، هذا بالإضافة الى توليه رئاسة «المؤتمر المرتبط بالقانون الأساسي». وقد عقد هذا المؤتمر في شهر آب سنة ١٩٨٣، والذي شارك فيه ولأول مرة في تاريخ الشيعة ٨٠ هيئة من ٣٠ دولة من دول العالم. وتم انتخاب المرحوم العلامة الرضوي في ذلك المؤتمر رئيساً للاتحاد ولمدة سنتين.

وخلال السنتين ١٩٨٢ و ١٩٨٣ قام بزيارة جميع المراكز الأصلية الشيعية في أمريكا وكندا، وألقى كلمة في أول سياحة صيفية في مدينة تورونتو.

عودته الى تانزانيا

في سنة ١٩٨٥ عاد العلامة الرضوي الى تانزانيا بهدف زيارة قصيرة لها، إلا أن وضع هيئة بلال في تانزانيا أجبره على الإقامة مدة أطول من أجل مراقبة وتقوية نشاطات الهيئة، وعليه قرر في سنة ١٩٨٦ أن تكون دار السلام محل إقامة له، موزعاً وقته بين دول ثلاث هي تانزانيا والهند وكندا.

وفي أواخر الثمانينات دعي للمساعدة على تأسيس وإقامة اول حوزة

في شمال امريكا باسم «حوزة ولي العصر عليه السلام العلمية» في Medina في ولاية نيويورك الامريكية. وبتأسيس المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام في سنة ١٩٩١ في طهران انتخب العلامة الرضوي كعضو في أعضاء لجنة المجلس الاعلى لذلك المنجم. كما كان مؤسساً ورئيساً لمجمع أهل البيت في تانزانيا.

وفي سنة ١٩٩٦ قام العلامة بتأسيس «مؤسسة بلال الخيرية» في مدينة غوपाल پور في الهند. وقد كان الغرض من تأسيس هذه المؤسسة هو إضفاء الرسمية على النشاطات الخيرية التي مورست خلال عدة عقود من قبل العلامة نفسه أو عن طريقه، وقد قدّم اتحاد افريقيا، ومؤسسة الإيمان في بمبئي، وكذلك أفراد مؤمنون من دول مختلفة منها كندا، مساعدات لأجل تقوية مؤسسة بلال الخيرية في الهند. وقد تم حتى الآن بناء أكثر من ٢٥ مسجداً وحسينية بشكل كامل، أو هي في طريق الإكمال، بالإضافة الى بناء أكثر من ٣٩ دار سكن لفاقدي السكن.

وقامت مؤسسة بلال الخيرية ببناء مؤسسة اخرى باسم مؤسسة المهدي عليه السلام في غوपाल پور، والتي تضم بنفسها مدرسة المهدي عليه السلام المتوسطة في اللغة الانجليزية، ومؤسسة تعليم تكنولوجيا المعلومات.

إن جميع هذه النشاطات، علاوة على النشاطات الخيرية العادية التي تشمل تأمين الملابس، والمواد الغذائية، ومساعدات نفقات الزواج والعلاج، يتم تقديمها الى الاخوة المؤمنين المعوزين في تلك المنطقة من الهند. كما أن مؤسسة بلال الخيرية تتولى ادارة ورئاسة مجاميع طب العيون في مناطق مختلفة من ولاية بهار (Bihar) الهندية.

تأليفاته واصداراته

منذ سنة ١٩٤٩ وحتى سنة ٢٠٠٢ ألف المرحوم العلامة ١٢٥ كتاباً تقريباً. بأحجام مختلفة وفي مسائل متنوعة، بدءاً من الكلام والإلهيات حتى الفقه التطبيقي ومقارنة الأديان، ومن الأحكام والأخلاق حتى التاريخ. ومن التفسير حتى الحديث، ومن الأشعار باللغة الأوردية حتى دراسة آثار وحياة علماء الاسلام.

ومن بين هذه الآثار ١٨٥ أثراً باللغة الانجليزية و ٣٢ باللغة الاوردية و ١٢ باللغة العربية و ١٧ باللغة السواحيلية؛ حيث تم طبع ٩٨ من الآثار و ٦ منها أيضاً على طريق الطبع.

وعند ارتحاله كان مشغولاً بتأليف ثلاثة كتب باللغة الانجليزية والعربية والاردوية، وقد تمت ترجمة بعض كتبه الى ٢٢ لغة مختلفة، وبعض هذه اللغات عبارة عن اليابانية، والكجراتية، والاندونزية، والتايلندية، والبرمية، والأردوية، والهندية، والسندية، والكشميرية والفارسية والسواحيلية، والهائية (لغة الشعب في أطراف نيجيريا والسودان). والثونائية، والإيطالية، والفرنسية، والسويدية، والتركية، والبوسنية، والعربية، والهولندية.

ويمكن معرفة مقامه العلمي من خلال الكتاب الدراسي الثاني المؤلف من قبله تحت عنوان «الله من منظار الإسلام»؛ حيث ألفه لدورة التعليم الكتابية الاسلامية، والذي تم طبعه في سنة ١٩٧١، ويبحث هذا الكتاب عن موضوع وجود الله وتوحيد ذاته.

إن مقارنة هذا الكتاب بالمجلد الخامس من كتاب «اصول الفلسفة ومنهج الواقعية» للعلامة المرحوم الطباطبائي الذي نشر في سنة ١٩٧٥

مع شرح مفصل للشهيد مرتضى مطهري، تكشف عن فضل المرحوم العلامة ومعرفة وعلمه الواسع وتسلطه على صعيد علم الكلام والعلوم العقلية الإسلامية.

إن أساس البحث في الكتابين المذكورين أعلاه متشابه بشكل كبير، مع وجود فارق مهم هنا وهو كون شرح المرحوم الشهيد المطهري بصياغة ولغة فلسفية معقدة (وهو غير مألوف ومفهوم لعامة الناس) متضمناً توضيح كيفية ظهور وتطور الأبحاث الفلسفية عبر التاريخ، في حين إن كتاب «الله من منظار الاسلام» الذي ألفه المرحوم العلامة الرضوي تضمن بيان نفس المفاهيم والمسائل الفلسفية المعقدة بصياغة بسيطة جداً وخالية عن الألفاظ الغامضة الفنية والكلامية بالشكل الذي لا يشعر القارئ أبداً بأنه وضع في واد مليئ بالمصطلحات الفلسفية الاختصاصية، وهذا يدل على حسن عمل المرحوم العلامة الرضوي. وفي سنة ١٩٧٢ أقدمت نشرية «مشهد روضة القدس» (المجلد ٩ العدد ١ - ٢) التي تصدرها روضة الإمام الرضا المقدسة في مدينة مشهد، أقدمت على نشر الترجمة الفارسية لبعض من فصول كتاب «النبوة» للعلامة الرضوي.

وفي المقدمة التي كتبت لهذه الترجمة، يكتب المدير المسؤول عن النشرية «تضمنت فصولاً مختلفة من كتاب «النبوة» مباحث وموضوعات مفيدة جداً وعميقة مشروحة بلغة بسيطة، مما زاد من فائدة الكتاب وجعله مورداً للاهتمام الكبير، وعلى هذا قمنا بتقديم ترجمة عدة فصول من هذا الكتاب المفيد والقيّم لأجل استفادة القراء منها».

وقد تم نشر كتاب المرحوم العلامة الرضوي الذي كتبه في موضوع

إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تحت عنوان «الإمامة وخلافة النبي صلى الله عليه وآله». وتم طبعه مرات عديدة من قبل «منظمة الخدمات الاسلامية العالمية» ووزعت آلاف النسخ منه في جميع أنحاء العالم . وقد بين الدكتور خليل الطباطبائي مرة للمرحوم العلامة الرضوي من ان كتاب الإمامة وسائر كتبه التي ألفها في اصول الدين على الرغم من كونها بأحجام مختصرة، إلا أنها تتناول جميع المسائل المهمة الإسلامية منها والعقائدية، وعلى هذا يجب ترجمة هذه الكتب الى اللغة العربية، وجعلها في متناول الأيدي.

وكان الدكتور الطباطبائي يعتقد أن الكتب الموجودة باللغة العربية في ما يتعلق بالمسائل المذكورة اما أنها تجاوزت حدها في الايجاز، او تجاوزت حدها في التفصيل ؛ ولذا ارتأى المرحوم العلامة أن من واجبه ترجمة كتاب الإمامة الى اللغة العربية، والتي تم نشرها من قبل الدكتور الطباطبائي ومؤسسة الإمام الحسين عليه السلام في بيروت سنة ١٩٩٩.

كما أن المرحوم العلامة الرضوي قد تعاون في قم مع المحقق والعلامة المرحوم آية الله السيد عبد العزيز الطباطبائي في مجال التصحيح وإعادة النظر في كتاب «الذريعة الى تصانيف الشيعة» (التراث الكبير في ٢٠ مجلدًا للمرحوم آغا بزرك الطهراني في مجال التعريف بالكتب الشيعية). وقد قام العلامة الرضوي بدراسة جميع مجلدات كتاب «الذريعة»، وفي نهاية الأمر كتب مُلحقه الخاص لهذا الكتاب باللغة العربية. وقد حصل على إجازة حوالي عشرين عالماً ومراجع كبار في النجف وقم في خصوص نقل الرواية، والقضاء، والنظر في الامور المختلفة .

كان العلامة الرضوي خبيراً لغوياً، وأديباً، ومنظماً للأشعار باللغة الأردوية. وكان العلامة يؤلف ويتحدث ويلقي محاضرات باللغة الأردوية والعربية والانجليزية والسواحيلية والفارسية، الى جانب امتلاكه لمعلومات على صعيد اللغات الهندية والغجراتية. وكان للعلامة مضافاً الى أسفاره المكررة الى جنوب وشرق افريقيا، اسفار الى ما يقارب ٤٥ دولة مختلفة في آسيا وافريقيا واوربا وشمال امريكا.

سفره الأخير

في يوم الخميس الثامن من ربيع الثاني سنة ١٤٢٣ هـ ق المصادف لـ ٢٠ من كانون الثاني سنة ٢٠٠٢، كان العلامة الرضوي وكعاداته كل يوم قد جلس خلف منضدة عمله في غرفة منامه، وانشغل بترجمة المجلد الثالث عشر من تفسير الميزان، فاصيب بسكتة شديدة صباحاً وفي الساعة ٧/٤٥ تقريباً. وعلى إثرها دعي بطبيب واسعاف فوري، وفي الاسعاف أصيب بنزيف دماغي شديد فاغمي عليه. وفي عصر ذلك اليوم تقريباً كان يبدو أن وضعه الصحي يميل نحو التحسن. إلا أنه ومع الاسف الشديد وبعد أذان المغرب بقليل ارتحل الى عالم البقاء بكمال الطمأنينة في الساعة ٧/٤٠ بعد الظهر.

وقد أقيمت مراسم تشييع جثمان العلامة الطاهر يوم السبت. وأسفر صباح يوم السبت عن وجهه لكثير من اهالي مركز مدينة دارالسلام بتلاوة سورة «يس» التي كانت تسمع من المكبرة الصوتية لمسجد الشيعة، وكان هذا النداء ينبيء عن وقوع حادث مُفجّع، مثل يوم عاشوراء تماماً الذي يستيقظ فيه كل أحد من نومه مستقبلاً ليوم صعب وعصيب؛

بحيث لا تبدو على وجه أحداية علامة للسرور في ذلك اليوم.
وحقاً كان ذلك اليوم يوماً حزيناً، مليئاً بالأسى. فإن موت عالم بمثابة موت عالم. وفي الحقيقة أن فقدان العلامة كان خسارة للعالم. وكان ذلك اليوم هو اليوم الذي واريننا فيه التراب وإلى الأبد أعظم وأعرف شخصية في مجتمعنا وهو العلامة السيد سعيد اختر الرضوي. ذلك اليوم الذي كان يبدو أن كل احد يسعى لربط حزنه القلبي بالعلامة أو بلحظات عاشها معه من خلال ذكريات لقاءاته، أو من خلال أبحاثه، وبعض النسوة لم يستطعن منع أنفسهن من البكاء والنوح على العلامة بعد زيارتهن لجثمانه وآخر توديعهن له. ثم إن إحدى السيدات التي كانت متأثرة جداً كانت تقول إن العلامة هو الذي أجرى صيغة عقد الزواج لها.
واقامت صلاة الجنازة عليه من قبل نجله حجة الاسلام السيد محمد الرضوي، وبحضور جمع كثير من الناس، ومن بين ذلك الجمع الكثير مسؤولو اتحاد افريقيا الرسميين، ومسؤولو السفارة الإيرانية الرسميون، وممثلون من جمعيات وجماعات مختلفة في شرق افريقيا وممثلون من هيئة بلال للمبلغين في زنگبار وكينيا، وما يقارب من ١٥ عالماً من علماء الشيعة، وكذلك بحضور العلماء والرؤساء الدينيين من سائر المجتمعات.

وبعد ذلك قام العالم المقيم في دار السلام، وهو حجة الاسلام موسى رضا، قام بقراءة مجلس عزاء قصير أظهر فيه أنه غير قادر على التعبير عن مدى حزنه بهذه المصيبة وتعازيه من خلال الكلمات إلى أبناء العلامة والمجتمع المسلم، كما قال الشيخ موسى رضا إن دنيا العلم والفضيلة وحدها هي التي تعرف ما وقع من الخسارة التي لا تقبل الجبران والفراغ

الذي لا يمكن ملؤه. وعندما خاطب المرحوم العلامة قائلًا له: إن هذا الحشد العظيم من شرائح وأقوام ومجتمعات ومواقع اجتماعية مختلفة، اجتمع في مثل هذا الصباح وفي المسجد ليودعوك، لم يبق احد ولا قلب مسلم إلا وتأثر بهذا الخطاب وتغير حاله .

وقد بدأت مراسم تشييع الجنازة بحملها من قبل العلماء، وبعده حمل المؤمنون التابوت على اكتافهم متجهين نحو المقبرة (في الظروف العادية يتم حمل التابوت الى المقبرة بسيارة خاصة) . وكانت هناك طليعة من الشيعة تتقدم موكب التشييع، رافعة صورة كبيرة. للمرحوم العلامة، وعلى طرفي تلك الطليعة تتحرك طليعتان اخريان من رايتين سوداءتين كبيرتين. وكانت شرطة المرور توقف السيارات الكثيرة التي خرجت في صباح السبت المزدهم، حتى تُفتح الطريق لموكب التشييع، ومما كان يلاحظ هو التحاق عدد من غير المسلمين بموكب التشييع في وسط الطريق.

ان حضور جمع كثير من المسلمين السود بين المشيعين كان دليلاً على إنجاز العلامة الكبير. فقد بدأ من الصفر، ولكنه نجح في كسب الآلاف من الناس المحليين في افريقيا الى أتباع أهل البيت عليه السلام وكان صراخ المشيعين ونداؤهم بـ «لا إله إلا الله» في طريق المقبرة مفعجاً الى درجة تعجز أية عين أن تمسك جريان دموعها .

ومما كان يلاحظ هو مشاركة جمع من النساء السود بالوقار والسكينة مع المشيعين. والكثير ممن شاركوا في التشييع كانوا يظهرون للمراسلين «Samachar» أنه من الصعب عليهم أن يصدقوا بأن عالماً كهذا في لباس الزهد والتقوى قد تركهم وحيداً، وحرّمهم من المصدر

العظيم للعلم والمعرفة. وكان الكثير من الأخوات المسلمات يذكرن
ذكريات دروس العلامة قبل عدة سنوات في تعليم «المسائل والأحكام»
وكيف كن يطمئن ويؤمن بكلماته .

وحينما خرج ذلك الجمع العظيم من المشيعين بالأبهة الخاصة من
مسجد الشيعة ليسيروا نحو المقبرة، جلب ذلك أنظار المارة
والحاضرين من الناس في الشارع نحو المشيعين؛ حتى أن الجميع قد
توقف عن العمل لمشاهدة مراسم تشييع تلك الجنازة، حيث أدركوا أن
هذا ليس تشييع جنازة عادياً. وقد أبدى الكثير من الشيعة احترامهم لهذه
الشخصية العظيمة من خلال غلق محلاتهم وتعطيل عملهم، ومشاركتهم
في مراسم التشييع .

وأخيراً وصل الجمع الى المقبرة، فسكن في مدخل مسجدتها والى الأبد
ألمع نجم للتبليغ في عالم التشيع .



حول المؤتمر السادس عشر للوحدة الإسلامية تحت عنوان: «العالمية الإسلامية والعولمة»

✽ إعداد: الشيخ محمد علي التفسيرى

الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بمناسبة مولد الرسول الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام،
عقد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية مؤتمره السنوي، وهو المؤتمر السادس عشر للوحدة الإسلامية، في الفترة ما بين (١٤ - ١٧) ربيع الأول ١٤٢٤ هـ الموافق (١٦ - ١٩) مايو ٢٠٠٣ م، وموضوعه هذا العام هو (العالمية الإسلامية والعولمة)، لما يمر به العالم والأمة الإسلامية بالخصوص من تحديات هائلة في هذا المجال. وقد حضره جمع غفير ضمّ العلماء والمفكرين من شتى أنحاء



العالم الإسلامي.

وقد افتتح المؤتمر سماحة آية الله الشيخ الهاشمي الرفسنجاني بكلمة ضافية، تناول فيها الموضوع من جوانبه المتعددة.

كما حظي المؤتمر بلقاء الإمام الخامنئي قائد الجمهورية الإسلامية الإيرانية، واستمعوا الى كلمته التوجيهية القيّمة.

وقد تدارس المؤتمر الموضوع في أبعاده الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في جلساتهم العامة، ومنها جلسة عقدت خصيصاً لدراسة قضايا العالم الإسلامي، وفي مقدمتها قضية المسلمين الأولى (القضية الفلسطينية)، وكذلك (قضية الاحتلال الأميركي -الانجليزي للعراق)، كما بحثوا الأمر في لجان تخصصية علمية أربع. وفي ختام المؤتمر توصل المؤتمر الى ما يلي:

أولاً: في مجال العالمية الإسلامية

١- أنَّ الإسلام وهو الرسالة التوحيدية الإلهية الخاتمة والخالدة، يدعو اتباعه الى منطق الحوار والتواصل الفكري والتآلف القلبي، والعمل على تحقيق وحدة المجتمع الإنساني.

٢- ولما كانت الرسالة الإسلامية الخالدة رسالة منسجمة مع الفطرة الإنسانية -وهي العنصر الأصيل الذي يشترك فيه جميع أفراد البشر- فانها تعتمد منطق الاقناع وحرية الاختيار العقيدي، لتنفذ الى واقع النفس الإنسانية وتحقق الايمان الكامل بها، كما تعتمد في نظامها الاجتماعي منطق العدالة -وهو المطلوب المشترك لكل الإنسانية- ليجعلها محور التآلف والتعاون المشترك لها.

كما اتصفت بالمرونة اللازمة التي تستوعب مختلف العصور،

وانماط التنوع الثقافي والاجتماعي في اطارها القيمي العام، وتجب عن كل متطلبات المسيرة الإنسانية العادلة والحاجات المعنوية بشكل كامل.

٣ - يملك الإسلام نظرة ايجابية لمستقبل العالم، ويدعم الاتجاه العالمي نحو التقارب الإنساني والفطري ونظام الحق والعدالة، ويؤكد انتصار الحق على الباطل في النهاية.

ثانياً: الاتجاه الإنساني والتقني نحو العالمية

١ - أنّ التقدم التقني للمعلومات والعلاقات، الممهد للتطورات الأساسية للعلاقات الإنسانية في أبعادها المختلفة، ظاهرة ايجابية تستطيع من خلال تأكيدها على العدالة والحرية والقيم الأخلاقية، أن توجد حركة انسانية مشتركة، وتنمية حقيقية شاملة للمجتمع الإنساني.

٢ - أنّ اتساع العلاقة بين أسواق السلع والعمالة ورأس المال، ونمو التجارة والاستثمار العالمي، وتوفر أنماط واسعة من التعاون العلمي والتقني، يجب ألا تدخل في اطار الاحتكار، وان تأخذ بعين الاعتبار الخصوصيات التي تتطلبها عملية التنمية للأقطار النامية، وهي بذلك توفر فرصاً وتحديات جديدة للبلدان الإسلامية، لتحلّ موقعها اللائق بها في منظومة الاقتصاد العالمي، بفضل تعاونها الشامل واعتمادها سياسات منسقة ومتكاملة.

٣ - أنّ رفع مستوى التوعية المتبادلة لدى شعوب العالم في الموضوعات المختلفة، وتصعيد الرغبة في اشباع الحاجات المعنوية والأخلاقية، من قبل المثقفين والشرائح الاجتماعية المتنوعة، سيوفران القاعدة الصالحة لتنمية شعور مشترك، واستجابات فعّالة في الوعي الإنساني العام، بما يحقق رفضاً لعوالم الظلم والفساد، وتمهيداً لسيطرة القيم الأخلاقية العامة.

ثالثاً: العولمة المادية Materialistic Globalization

١- أنَّ النظرة المصلحية الضيقة، والنزعة المادية الجشعة، والاستغلال النفعي اللا أخلاقي، لتحقيق التسلط السياسي الاقتصادي، وفرض النمط الثقافي الأحادي على الآخر، تعوّق المسيرة الإنسانية العالمية نحو الوحدة والكمال، وأن الفلسفة المادية المنهزمة التي تهبط بالهوية الإنسانية السامية إلى الحضيض، عبر تحويل النسبي القيمي إلى مطلق، تعمل على اختلاط الحق بالباطل، والتعامل مع القيم الأخلاقية والحقوق الإنسانية على أساس من منطق القوة، فهي تفقد الصلاحية والاعتبار المنطقي والعلمي، الضروريين لهداية المسيرة الإنسانية العالمية، وهو الأمر الذي يجب الوقوف بوجهه لكي تبقى المسيرة الإنسانية في خطها المستقيم.

٢- من الخصائص السيئة للعولمة المادية اتساع الظلم في العالم، والفوارق في الدخل بين الأقطار الفقيرة والغنية، والطبقات المحرومة والمرفهة، وعدم منح الفرص المتكافئة والمساعدة لنمو الأقطار النامية، وفرض السياسات التمييزية، وتشديد الاحتكارات التقنية والعلمية.

٣- أنَّ العولمة المادية بدلاً من تقبل المشاركة والتنوع الثقافي، تعمل على فرض ثقافتها المادية، وإضعاف القيم الأخلاقية، ومحو الهويات الثقافية للشعوب، وفرض التسوية الثقافية من خلال استثمار الانحصار الاعلامي، وأن اتساع الرفض العالمي للعولمة المادية دفاعاً عن الثقافات المحلية، يعبر عن الفشل الذريع لهذا الهجوم الثقافي، لأن العولمة المادية ترفض المشاركة والتنوع الثقافي، وتعمل على فرض ثقافتها المادية، وإضعاف القيم الأخلاقية، ومحو الهويات الثقافية للشعوب، وفرض التسوية الثقافية من خلال استثمار الاحتكار الاعلامي.

٤ - أنَّ العولمة المادية تسير باتجاه فرض النفوذ السياسي للقوى العظمى ونفي السيادة الوطنية، وإنَّ التسلط العولمي سواء كان من خلال الشركات المتعددة الجنسية غير المسؤولة بالنسبة للمصالح العامة، أو كان من خلال احتكار عدد من القوى الكبرى، هذا التسلط يحجم كل مبادئ الحرية والديمقراطية، وبالتالي سيبقى محكوماً بالفشل لنقضه الحقوق التي قررها الله - تعالى - للبشرية، مثله مثل كل الامبراطوريات العالمية المستبدة في تاريخ الإنسان.

رابعاً: ضرورة المواجهة

رغم أنَّ التطورات التقنية فرضت اتساع ظاهرة العولمة في العلاقات الإنسانية، إلَّا أنَّ القبول بالعولمة المادية ليس أمراً لا مفرَّ منه. في حين تستطيع كل الشعوب المشاركة في صياغة الماهية العالمية والابداع فيها، فإنَّ المسيرة الحالية تحتاج الى تصحيح، وعلى المجتمعات - وخصوصاً الإسلامية - ومثقفها ورجالها المسؤولين أن يعملوا على التصحيح المطلوب، بالاستعانة بما تملك من امكانات ثقافية غنية.

خامساً: أساليب العمل الاقتصادي

١ - أنَّ الأقطار الإسلامية تستطيع من خلال رفع مستوى التعاون الاقتصادي المتعدد الجوانب فيما بينها، والاستفادة من امكانات التعاون الاقليمي في اطار القوانين الدولية، أن تحقق استعداداً أكبر لاستغلال الفرص ومقاومة تحديات العولمة المادية، بالتخطيط الجاد والمرحلي لتأسيس السوق الإسلامية المشتركة، الذي تمَّت الموافقة عليه قبل خمس سنوات في مؤتمر القمة الثامن بطهران.

٢- أنَّ التعاون التام بين النظام المصرفي فيها وتجمع الرساميل الإسلامية، لهما دورهما في دعم المشاريع التنموية المشتركة، لكي تتم السيطرة على نقص الرساميل في مجال التنمية الاقتصادية للأقطار الإسلامية.

٣- أنَّ التعاون العلمي والتقني بين الجامعات والمراكز البحثية في الأقطار الإسلامية، وتخصيص الأرصدة المالية للبحوث والتنمية لتنفيذ المشاريع الاقتصادية المشتركة، والتعاون في اعداد الكوادر والكفاءات اللازمة، وتأسيس مراكز للمعلومات، وتركيز العلاقة بين النخب والكوادر، ذلك كلّ ضروري لتعزيز التنمية المستدامة.

سادساً: أساليب العمل الثقافي

١- عرض ونشر الصورة الإسلامية للثقافة العالمية المشتركة واجب العلماء والمفكرين المسلمين، وان تدوين الاعلان الأخلاقي العالمي على أساس من التعاليم الإنسانية للأنبياء الإلهيين، يشكّل محوراً مشتركاً لكل المتدينين والساعين نحو المعنويات، في سبيل قيام اتجاه انساني سليم.

٢- أنَّ التأكيد على العناصر الثقافية الغنية للحضارة الإسلامية، وتقوية عناصر الهوية الواحدة للأمة الإسلامية، والسعي لوحدها، تقوّي من قدرة الجيل الشاب المتطلع الى التعرف على هويته المستقلة.

٣- أنَّ التعريف بحقيقة الصور المغرضة والمشوّهة المعروضة عن الإسلام، واحلال الصورة الواقعية والإنسانية للتعليمات الإلهية محلّها، وبالتالي عرض (العالمية الإسلامية)، من الضروري أنّها تتطلب التعاون بين وكالات الأنباء، ووسائل الاعلام الإسلامية المسموعة والمرئية والمقروءة، بالتعاون الوثيق والعمل الجاد لايجاد شبكات إسلامية

مستقلة لتحقيق هذا الغرض.

٤ - العمل على الاستفادة الصحيحة والأخلاقية من تقنية المعلومات والاتصالات الحديثة، والتخطيط للاستفادة منها في مجال التربية والتعليم العام والجامعي للأقطار الإسلامية، وتوفير الأرض الصالحة للاستفادة العلمية والتجارية السليمة من الإنترنت.

٥ - يستطيع الكتاب والمحققون والفنانون أن يسهموا في رفع مستوى الوعي والمعرفة، لدى جيل الشباب المسلم عبر عرض النماذج الإسلامية الثقافية الرائعة، وإنتاج الآثار الغنية بشتى أنواعها. وينبغي أن يزامن تطور التخطيط التأكيد على الاصاله الثقافية والتاريخية، واعتبارها من أولويات مهمات الحكومات الإسلامية.

٦ - أن من واجب العلماء والمفكرين المسلمين اليوم، بذل أقصى الجهود للتوعية بالتحديات الفكرية في العالم، من قبيل: العولمة، والتخلف الاقتصادي، والعلمانية، وحقوق الإنسان، والموقف من الارهاب، والسيادة الشعبية في اطار القيم الدينية، والتعريف بأساليب العمل الإسلامي تجاهها، وان اتساع التعاون الفكري واقامة المؤتمرات الدولية يمكنهما تسريع وتعميق الحركة المنتجة للفكر الإسلامي.

٧ - أن الحوار بين الثقافات والتواصل الفكري بين الأديان، والتقريب بين المذاهب الإسلامية، يعدّان تحركاً واعداً يسهم في تحقيق (العالمية الإنسانية)، ويفضح التحرك المتمحور حول ادعاء صراع الحضارات، واحياء الحروب باسم الدين والنزاعات الطائفية.

٨ - أن التوسع في استخدام الانترنت يشكّل حالة جديدة لتبادل المعلومات وتواصل الثقافات، ولكي نضمن الحرية والمساواة في الاستفادة من ذلك، والخلاص من الاحتكار والتعدي على خصوصيات

الأفراد وحقوقهم الشخصية، بل الاعتداء على الأخلاقية الإنسانية، ومن اللازم أن يتم توافق عالمي لتعريف ورسم وتنفيذ برنامج الحقوق والأخلاق في الانترنت، ويمكن أن تكون مقترحات المفكرين المسلمين خطوة على هذا الطريق.

٩- أن مواجهة (العولمة المادية) لا تقتصر على المفكرين المسلمين، فالكثير من الحركات القومية والاجتماعية والفكرية عملت على الوقوف بوجه آثارها السلبية، وأن التعاون المبدئي مع المعارضين الذين يدعون الى عالمية إنسانية، يمكنه أن يترك أثره في التفهم الأوسع لرسالة الإسلام العالمية.

سابعاً: أساليب العمل السياسي

١- أن فرض نظام القطب الواحد في السياسة العالمية، يعد حركة رجعية تتنافى مع العالمية الإنسانية.

وكذلك فإنّ الموقف المنحاز في العلاقات الدولية، الذي بلغ بعداً جديداً عبر الاعتماد على القوة العسكرية، التي تركت آثارها السلبية على دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، على أساس احترام حق السيادة للشعوب، الأمر الذي يشكّل خطراً محققاً على حقوق الإنسان والعالمية الإنسانية، وإن طرح فكرة الحرب الاستباقية لتبرير أي مغامرة عسكرية، يمثل مؤشراً الى خطر حقيقي يهدد الأخلاق والحقوق الإنسانية.

٢- أن الارهاب بكافة أشكاله - بما في ذلك ارهاب الدولة - مدين إسلامياً؛ لأنه يشكّل اعتداءً على الحرية والحقوق الإنسانية، والصور المغرضة التي تنسب أساليب الارهابيين الاجرامية الى الإسلام، وهو دين السلام والحرية، تشكّل كذباً كبيراً تبرر الاقدام على ضرب الحرية

والاعتداء على الحقوق الإنسانية للمسلمين، مما يتطلب مواجهة كل الأساليب الارهابية المبررة للارهاب.

٣- أن كفاح الشعوب لتحقيق استقلالها، وتقرير مصيرها، ومقاومة الظلم والاحتلال، أمر مشروع تقرّه الأديان الإلهية، والأعراف والقوانين الدولية.

٤- أن العمل على صيانة حقوق الأقليات الإسلامية التي تقع ضحية الارهاب الاعلامي ضد الإسلام، وتتعرض حقوقها المدنية للاعتداء الفردي والاجتماعي، أمر ضروري.

٥- يجب العمل الجاد على إثارة الضمير العالمي ضد الجرائم التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني عقوداً من الزمن، على يد العصابات الصهيونية المدعومة من قبل أميركا وباقي القوى الشيطانية، كما يجب تقديم كل أنماط الدعم لهذا الشعب المناضل وجهاد مقاومته وانتفاضته المباركة.

٦- أن الشعب العراقي المسلم الذي عانى طويلاً من نظام صدام الفاسد المعادي للإسلام، يستحق اليوم أن يتمتع بحقوقه الأساسية في الاستقلال وتقرير المصير، واختيار حكومته المنسجمة مع قيمه ومبادئه الإسلامية، بعيداً عن أية سلطة أو احتلال غاشم.

٧- أن صمود الجمهورية الإسلامية الإيرانية بوجه التآمر وأنواع الحصار خلال ٢٤ عاماً، وتأكيداً على مواقفها العادلة، يشكّلان نموذجاً للمواقف المبدئية التي يمكنها أن تمثل قدوة تحتذى، للوقوف بوجه الاعتداء على هوية الأمة واستقلالها.

٨- أن المؤتمرين يقدّرون الجهود العظيمة والمخلصة للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية والقائمين عليه، والتي تعد

خطوة ايجابية كبرى على طريق توحيد الأمة وتحقيق العالمية الإسلامية، وأن المؤتمر يشكر الجمهورية الإسلامية الإيرانية ومؤسسها الراحل وقيادتها الحكيمة على دعمها المتواصل، ويدعون المجمع لمضاعفة هذه الجهود على صعيد الأعمال النخبوية وال جماهيرية، ويدعون الحكومات والمراكز الإسلامية والمؤسسات الدولية للتعاون معه.



حول مؤتمر النساء العربيات التابعات لأهل البيت عليه السلام

✽ إعداد: هيئة التحرير

بعون الله تعالى وفي ظلال دولة الولي الفقيه العادل في إيران الإسلامية، وبمناسبة الذكرى السنوية لرحيل الإمام الخميني الكبير رحمه الله المصادف لانتفاضة ١٥ خرداد عام ١٣٤٢ هـ. ش عقدت الجمعية العالمية للنساء التابعات لأهل البيت عليه السلام مؤتمراً إقليمياً للنساء العربيات التابعات لأهل البيت عليه السلام في قم المقدسة تحت عنوان: «دور المرأة في تأصيل ونشر الثقافة الاجتماعية لاتباع أهل البيت عليه السلام»، وبحضور جمع كبير من النخبة النسوية ذوات الفكر والثقافة من ٨ دول عربية مختلفة. وبعد البحث والتداول في اللجان التخصصية المنبثقة عن هذا المؤتمر



الاقليمي، تمّ الاتفاق على إصدار البيان الختامي للمؤتمر من النقاط التالية:

١- نحن المشتركات في هذا المؤتمر وفي سبيل تأصيل ونشر ثقافة النسوة التابعات لأهل البيت عليه السلام، نرى ضرورة العمل لايجاد أعلى مستويات التفاهم والتعاون والتكامل بين جميع فئات النساء العراقيات في الداخل والعائدات اليه من المهاجر.

٢- يشجب بشدة مؤتمر النساء العربيات التابعات لأهل البيت: العدوان الوحشي للقوات الصهيونية المحتلة على أبناء الشعب الفلسطيني المظلوم، وقتل نسائه وأطفاله الأبرياء ويطالب جميع المنظمات الدولية خصوصاً المنظمات النسوية العالمية بشجب هذا العدوان الظالم والدفاع عن الحقوق المغتصبة للشعب الفلسطيني المضطهد.

٣- إنّ مؤتمر النساء العربيات التابع لأهل البيت: في الوقت الذي يؤكد اعتقاده الراسخ بالقيم الإنسانية والإسلامية لجميع الشعوب في العالم، وضرورة الحفاظ على كرامة المرأة ومقامها الإنساني الرفيع، يعلن رفضه لكل محاولات الغزو الثقافي الغربي، وفرض الثقافة الأميركية على المجتمعات الإسلامية من خلال مؤامرة العولمة المزعومة الهادفة الى تحريف عقائد المسلمين وهتك حرمتهم وتخريب أخلاقهم الاجتماعية.

٤- نحن المؤتمرات في الوقت الذي نرى فيه ضرورة الحضور المتواصل في المنظمات العالمية للمرأة والطفل للدفاع عن حقوقنا الإنسانية والدينية، نجد أن طريقنا الوحيد للخلاص من نير الاستكبار العالمي هو السير تحت راية الإسلام العظيم وولاية الفقيه العادل الكفوء.

٥- في الوقت الذي يؤكد فيه هذا المؤتمر أهمية المحافظة على وحدة الصف والانسجام التام، يوصي أيضاً بتوحيد الكلمة والتعاون في جميع المجالات والتكافل الشامل بين المسلمين.

٦- تتقدم المشاركات في هذا المؤتمر بجزيل الشكر وعظيم التقدير للقائد المفدى سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله)، لاسناده الكبير لمسلمي العالم ودعمه المتواصل للمجمع العالمي لأهل البيت (عليه السلام) والهيئة المحترمة لمجلسه الأعلى، آمالت الاستمرار والمزيد.

٧- نظراً للاعتراف الرسمي والدولي بدور الصلح والأمن العالميين والاقليميين في الحفاظ على الحقوق الإنسانية للمرأة والطفل، تُعلن النساء العراقيات بصوت واحد مع كافة النساء والرجال الأحرار في العالم، رفضهنّ لكل أنواع الحروب ودعاتها، مطالبات بتقوية دور المرأة وضمان حضورها المؤثر في تقرير وبناء مستقبل العراق على كافة مستويات اتخاذ القرارات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، كما أنهنّ يعتقدن اعتقاداً راسخاً بأن الاستقرار والثبات والحصول على جميع الحقوق الإنسانية، والحرية البناءة في العراق لا تتحقق إلا بجهود جميع أبنائه المخلصين، ومنها الجهود الكبيرة والكفاح المرتقب للنساء العراقيات.

٨- يؤكد المؤتمر ضرورة إسراع العوائل والنساء العراقيات الموجودات في المهاجر، بالعودة الى الوطن والمساهمة الجادة والواعية في بناء الأسرة العراقية الفاضلة، وترسيخ الأخلاق الإسلامية الأصيلة في المجتمع العراقي.

٩- يوصي المؤتمر جميع الأخوات والعوائل المسلمة في بلاد الغرب ويؤكد عليهنّ ضرورة التمسك بأحكام الإسلام وأخلاقه الفاضلة، والحفاظ على أنفسهنّ وابنائهنّ من التأثير والانجراف بتيار الثقافة والانحلال اللا اخلاقي للغرب، والعمل في سبيل خلق الأجواء الاسلامية فيما بينهنّ بهدف دوام وتأصيل انتمائهنّ للإسلام.



«ناصر الدين علي القوم الكافرين»

« القسم الثاني »

«مشاهدات الحجري في أوروبا القرن السابع عشر»

✽ بمصر عبدالرزاق / باهجة ليدن (هولندا)

أحمد الحجري شاهدٌ دقيق الملاحظة، واسع الأفق، ذو خلفية إسلامية جيدة، متكلم قوي الحجة، حاضر البديهة، ذو ذاكرة قوية، مثقف، يجيد عدة لغات، دبلوماسي يستقبل الوفود الأجنبية في البلاط المغربي ويلتقي الملوك والأمراء، بعيد عن المهادنة في دينه أو المراوغة مع خصومه، متمسك بالأخلاق الفاضلة، بعيد عن التعقيد والشعور بالنقص.. لم ينبهر بأوروبا كما فعل الآخرون الذين زاروها فيما بعد سواء بقصد الدراسة أو زيارات رسمية، فخلبت ألبابهم وغيّرت أنماط تفكيرهم، وساهمت في بعدهم عن تراثهم وأصالتهم.



يبدو الحجري في أفكاره وأحاديثه متماسك التفكير، واثقاً بنفسه وعقيدته وفكره، معتزاً بإسلامه عقيدة وشريعة، مدافعاً عن الإسلام، مهاجماً عقائد الآخرين سواء المسيحيين أو اليهود. ورغم أنه شاهد أفول الدولة الإسلامية في الأندلس وتشريد الملايين من الأندلسيين في أصقاع العالم، وهيمنة المسيحية على كل إسبانيا، ورغم محاكم التفتيش، وقرارات التعسف والإرهاب، وممارسات التعذيب والقتل والحرق والنفي... كل ذلك لم يهزّ كيانه أو يفقده الأمل في الحياة، أو تنهار طموحاته وتتبدد أحلامه وآماله، بل بدا مستعيناً بالله، راضياً بقدره ومشيبته، مستمراً في مسيره، متناسياً آلامه ومآسيه، متكيفاً مع الأوضاع الجديدة: باذلاً نفسه ووقته وجهده في سبيل دينه. مرة يكتب ويؤلف، ومرة يتوسط ويسافر من أجل إرجاع الحقوق، ومرة يفكر بتقدم بلده فيترجم من اللغات الأجنبية إلى العربية، ومرة يلتفت إلى أبناء جلدته من المورسكيين اللاجئين في المغرب وتونس وإسطنبول.

يسرد الحجري رحلته ومشاهداته ومناظراته واتصالاته في تسلسل زمني، يبدأ من مغادرته إسبانيا واستقراره في المغرب، ثم سفره إلى فرنسا وهولندا. ولسنا بصدد إعادة ما دونه الحجري، بل رأينا أن نقسّم الكتاب إلى مجموعة من المحاور نجمع فيها ملاحظات ومشاهدات الحجري في أوروبا، بهدف رسم صورة واضحة عن طبيعة الحياة الغربية آنذاك، وعلى الأصعدة الثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية.

١- الجدل الديني

يُبدى الحجري اهتماماً كبيراً بالجدل الديني والسعي الدؤوب لإثبات الحقيقة وصحة الدين الإسلامي، وأنه متفوق وأسمى من بقية الأديان، وأن القرآن الكريم هو أفضل وأوثق الكتب السماوية التي نالها التحريف والتغيير كالطورا والإنجيل. وكان الحجري لا يترك فرصة لمهاجمة المسيحية إلا وينتهزها، مطمئناً إلى قوة حجته وسلامة منطقته واستدلالة، ففي أول مدينة فرنسية هي روان صادف تاجراً فرنسياً كان قد تعرّف عليه في مراكش، فدخل معه في جدل ديني. وفي باريس دخل في مناظرة مع المستشرق هوبرت الذي استضافه، وطلب منه تعليمه اللغة العربية ومساعدته في قراءة الكتب العربية التي بحوزته. فدخل في نقاش حول اللواط^(١) وحرمته. وفي باريس أيضاً دخل في مناظرة مع أحد الرهبان حول الزواج والرهبانية. ويحتج الحجري في هذه المناظرات باحتجاجات عقلية؛ فمثلاً نراه يحتج على الراهب بأن (الذي يعمل قدر جهده ليكون له أولاد ليشكروا الله تعالى بعده على ما أنعم عليه فهو شاكر، والذي لم يقصدهم ولا يريد هم فليس بشاكر.... وبينما كنا سائرين في الطريق بين الأشجار رأيت شجرة لم تثمر، قلت له: لماذا غرستم هذه الشجرة؟ قال: لتثمر وتعمل فاكهة. قلت: وإذا لم تعمل فاكهة، ما يصنع بها؟ فتبسم وعلم أن المثال كان عليه^(٢).

ويحاول الحجري تبديد الصور المشوهة عن الإسلام والأكاذيب

(١) يشير الحجري إلى شيوع اللواط في عصره فيقول: (وأما هذا الفعل القبيح فقد اشتهر عند المسلمين حتى توهم النصراني أن ذلك مباح في ديننا، وذلك لشهرته ولعدم العقوبة عليه؛ حتى أنه ذكر أن بعضاً يكون عنده أولاد محبّون للفعل بهم، ولم يتذكروا أنه ممنوع في دين الإسلام) ناصر الدين / ص ٥٤.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٥٦-٥٧.

المنسوجة حوله بكل رحابة صدر ودون انفعال. ففي حوارهِ مع القاضي الفرنسي M. de Gourgues المكلف بمتابعة قضايا الأندلسيين، (قال القاضي: هذا سيدنا عيسى - أو كما قال - ذكره الأوائل من الأنبياء حتى قالوا: إنه لا يكون قبر أحد من الأنبياء معروفاً حقيقة إلا قبره، قلت له: ذلك قبر نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم. قال: كيف ذلك؟

قلت له: ليس هو كما تقول النصارى إنه في حلقة من حديد في الهواء في وسط قبة مبنية بحجر المغناطيس، الذي من خاصيته يجذب الحديد اليه؛ لأنه مدفون في الأرض في مدينته ﷺ بينها وبين مكة عشرة أيام^(١).

العقائد والشعائر المسيحية

ويظهر الحجري أنه كان متابعاً لما يحدث في الفاتيكان بروما من أحداث وقرارات بابوية، ويقرأ ما يكتب حولها، فيذكر أنه قرأ كتاب (كرتش المنجم Martin Cortes) وكتاب سمران الإشبيلي (1532 - 1602 Cipriano) وقد عرفته في مدينة إشبيلية إسماً وعيناً -) تراه يذكر بالتفصيل التغييرات التي أحدثها البابوات في الكنيسة الكاثوليكية، إذ يذكر اسم البابا والقرار الذي يعتبر زيادة أو نقصاً في الدين المسيحي، فمثلاً يقول: إن البابا ألبرت أناني، أمر أن كل نكاح يكون بحضرة قسيس. وإن لم يكن بحضرته فهو زنا ما لا كان قبل^(٢).

ويتطرق الحجري في العديد من المواضع إلى بعض أحكام الديانة

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٦٠.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٦١.

المسيحية التي يتسمون بها. ففي حديثه مع أحد القساوسة ينقل لنا الحجري ما ذكره القسيس حول الصيام في المسيحية فقال: (وناداني وقال لي: أنا صايم هذه الأيام، وهذا الذي بعثت لي فيه بيض، ولا نأكل ذلك في أيام الصوم. واشتغل يذكر ما هو فيه من مخالفة النفس، وأنه لا يلبس كتاناً ولا يأخذه بيده دراهم، ولا يأكل كثيراً)^(١)

فضيحة بابوية

ولا يكتفي الحجري بعرض معلوماته الواسعة حول الشعائر الكنسية، بل يذكر فضيحة بابوية عندما تنكرت إحدى الإنجليزيات تدعى جلبرت Jilbirta بثياب الرجال، سافرت إلى أثينا بعد حادثة زنا مع أحد القساوسة، وغيّرت اسمها فصارت جوان Joan Anglicus، (وبلغت من العلم مبلغاً عظيماً. وبعد سنين جاءت إلى روما، والناس يقرأون عندها، إلى أن مات البابا ليون عام ١٢٥٨ م فتولت هي الكرسي [الرسولي]، وصارت بابا من الذين يعتقدون فيه أنه إله الأرض: يغفر الذنوب للناس، هو وجميع أئمة دينهم ببركته... وكان لها مملوك أو خديم [خادم] فحملت منه، ومشيت لزيارة كنيسة لترا The Lateran ومعها خلق كثير. فأخذها وجع النفاس ووقفت والناس معها إلى أن ولدت. ولما سمعوا عياط [صراخ] المولود بان لهم ما كان مخفياً عنهم، وماتت في الحين. ونزل بجميع النصاري والقسيسين والرهبان حزن وخزي وذل عظيم. والزمن الذي كانت في التولية قدر سنتين وكذا ثلاثين يوماً. واجتمع كبارؤهم في الديوان ودبروا تدبيراً جديداً لئلا يقع لهم مثل ذلك، أنهم إذا

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٥.

عَيَّنُوا بابا يأتوا اليه الشهود العدول ويقلبونه يشهدون عليه أنه ذكر. وأما الزنقة [الزقاق] التي ولدت فيها فلا يجوز عليها أحد من البابوات^(١).

الاحتجاج بنصوص الكتاب المقدس

من الأساليب التي استخدمها الحجري لإفحام خصومه هو الاحتجاج بنصوص من التوراة والإنجيل. فلغرض إظهار كفاءته في الجدل الديني ودحض حجج الخصم كان الحجري يعتمد إلى ذكر مقاطع من التوراة أو الإنجيل، أو يطلب من خصمه إحضار الكتاب المقدس، ثم يشير عليه بقراءة الإصحاح المعلوم، أو الآية المعيّنة التي تؤيد حجة الحجري مما يضطر الخصم إلى التسليم. فهو يستخدم قاعدة ألزومهم بما ألزموا به أنفسهم. فاليهود يؤمنون بصحة جميع ما ورد في التوراة، والمسيحيون يؤمنون بصحة جميع ما ورد في الإنجيل فإذا اتاهم الحجري بما يؤيد رأيه ويخالف اعتراضهم أو شبهتهم لا يبقى أمامهم إلا الإذعان. والحجري نفسه يذكر أهمية الاطلاع على كتب الأديان الأخرى خاصة بالنسبة لمن يشغل منصباً كمنصبه؛ فيقول: (إعلموا أنني ترجمان سلطان مراکش. ومن كان في تلك الدرجة يحتاج قراءة العلوم وكتب المسلمين وكتب النصاري؛ ليعرف ما يقول وما يترجم بحضرة السلطان)^(٢).

فالحجري لا يحمل تعقيداً من الآخر، بل لديه إصرار على وعي الآخر والاطلاع على فكره من مصادره بعيداً عن التلقي من أعدائه. فهو بذلك

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٦٨.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٧٤.

يتبع منهجاً علمياً سليماً. يقول الحجري: (طالعت كتب الأديان الثلاثة، حتى لم يبق للنفس والشيطان باباً من كثرة ببيانها... من الشكوك والأوهام والظنون في دين الإسلام؛ حتى تمنيت لكثير من المسلمين أن لو كانوا كذلك^(١)). كما أنه تدرب على علم الكلام من خلال دراسته الدينية وقراءاته في كتب الكلام والجدل الديني خاصة فيما يتعلق بأهل الكتاب؛ إذ يذكر الحجري أنه طالع كتاب الترجمان المايوركي المسمى (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)^(٢). كما طالع كتاب عز الدين الدريني الدميري المسمى (إرشاد الحيارى في الرد على النصارى)^(٣).

ويذكر الحجري حاجته للاحتجاج بنصوص كتبهم المقدسة؛ إذ يقول: (والتقيت في مدينة برزويش [بورديو] بفرنجة [بفرنسا] ببعض علمائهم [اليهود] وبلغوا وأطنبوا في مدح دينهم؛ حتى رأيت أنه لا يكفي في الرد عليهم من كتبنا إلا إذا كان من كتبهم، فهو أقوى وأبلغ، كما اتفق لي مع النصارى. فاتصلت بالتوراة باللسان العجمي الأندلسي [الإسباني]، ووجدت فيها مسائل كثيرة للرد عليهم منها)^(٤).

ففي لقاء الحجري مع القاضي M. de Gourgues في مدينة باريس حيث لبى دعوة القاضي لحضور مأدبة عشاء فدار حوار حول الخمر. يقول الحجري: (قلت لهم: قرأت في الإنجيل أن النبي زكريا - عليه السلام - جاءه ملك من عند الله وقال له: قد قبل الله دعاءك وامرأتك اليصابات تلد أبناً لك يدعى باسمه يوحنا. ويكون لك فرح عظيم وتهليل، وكثير

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٧٢.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٦١.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٧٠.

(٤) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٧-١٠٨.

يفرحون بمولده، ويكون عظيماً قدام الرب، لا يشرب خمراً ولا مسكراً. قلت لهم: هذا عندكم في الإنجيل؟ قالوا: نعم، هو هكذا^(١). وحين تطرّق الحجري إلى حرمة الخنزير، وأنها ليست من الأموال المحترمة؛ حيث إن عيسى ألقى خنزير كان بعض الرعاة يرعاها في حادثة مذكورة؛ فاحتجوا عليه، (ثم قالوا: لم تبلغ هذا العدد الذي ذكرته! قلت: هذا الذي قرأته، فأحضر الإنجيل فوجدوه كذلك. وقد ذكرت هذه المسألة في موضعين من الإنجيل: الفصل الخامس عشر لمرقس، وهو الذي قال: كانوا نحو ألفين)^(٢).

وفي ضواحي بوردو بفرنسا دعي الحجري وأصحابه في ضيافة رئيس الديوان الملكي الذي يسكن في قلعة ضخمة. وهناك التقى بفتاة (من أكابر الفرنج من مدينة فنتني Fontenay إلى زيارة صنم بقرب المنزل الذي كنا فيه. وبعد الزيارة جاءت إلى امرأة القائد... وقبل أن [إي] نادوني أعلموها بي ولمّا جلست نظرتني شزراً، وظهر في وجهها الغضب، وقالت لي: أنت تركي؟ قلت لها: مسلم، والحمد لله. وبعد هذا الاستقبال الغاضب بدأ الحوار معها، ثم طلب منها فتح الكتاب الذي كانت تحمله معها. ويبدو أن الحجري كان قد اطلع على محتويات هذا الكتاب من قبل، الذي يتضمن نصوصاً من الإنجيل وأدعية. (قلت لها: البرهان فيما قلت في كتابك الذي عندك، وبه نثبت ما قلته لك. فأخذت الكتاب ووضعت بين يدي على المائدة وقالت: ها هو الكتاب! قلت لها: أنظري

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٧٣ الحجري لم يذكر رقم الإصحاح أو إسم الإنجيل، ولكن النص موجود في إنجيل لوقا ١: ١٣ - ١٥.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٧٦، وقصة أفناء الخنازير مذكورة في إنجيل مرقس ١: ٥ - ٢٠ وإنجيل متى ٨: ٢٨ - ٣٢.

العشرة الأوامر الربانية! ففتشت في الكتاب وقالت: ها هي! قلت لها: إقرئي الأمر الأول من العشرة في دين الله! فقرأت وقالت: الأمر الأول من العشرة، قال الله تعالى: لا تعمل صوراً ولا تعبدها، أعبد الله وحده^(١). ثم بدو الحجري يناقشها فيما يفعله المسيحيون من وضع الصور والتمثيل في الكنائس والتعبد أمامها، مما يخالف الأمر الأول من الوصايا العشر.

وأما أهمّ الموضوعات التي كانت تتناولها مناظراته مع المستشرقين والقضاة والرهبان والأساقفة وأحبار اليهود فتتضمن قضايا التوحيد والتثليث، الطعام والشراب في الجنة، حرمة الخمر والصور والتمثيل في التوراة والإنجيل، وجوب الغسل والختان في التوراة والإنجيل، لفظة الأب ومعناها في الإنجيل، نبوءات الكتاب المقدّس فيما يتعلق ببعثة النبي محمد ﷺ وردّ الشبهات والخرافات عن الإسلام، ومسائل كلامية أخرى.

أسلوب الحجري في المناظرة

أما في طريقة الحوار والمناظرات وفق ما سرده الحجري، فهناك ملاحظات؛ إذ يرى بعض الباحثين أنه نسج خطاباً أحادي النظر، فجاءت مناظراته في شكل مسرحيات ركز فيها على (الأنا)، التي لعبت دور بطل المسرحية، وهمّش منافسيه ومحاوريه الذين كانوا يجسّدون (الآخر) الأوربي وشوهم. فجاءت الرحلة مملوءة بحوارات ومناقشات، كان ينتهي الانتصار فيها دائماً لأحمد بن قاسم الحجري، فكان يبدأ النقاش ويظهر الغلبة للخصم أولاً، لكن سرعان ما يستعيد المبادرة ليوجّه

النقاش إلى ما يريد، وينهيه بما هو أهم وهو التفوق واعتراف الخصم بصواب رأي الحجري^(١).

اطلاع الحجري على المذاهب المسيحية

ويتحدث الحجري عن التيارات والمذاهب الدينية في المجتمعات الأوروبية التي زارها، فيتحدث عن انتشار المذهب الكالفني Calvinism الذي أنشأه جون كالفن John Calvin (١٥٠٩-١٥٦٤ م) وهو لاهوتي فرنسي، وعن مارتن لوثر Martin Luther (١٤٨٣-١٥٤٦ م)، وهو راهب ألماني، تزعم حركة الإصلاح البروتستانتي. ويتطرق الحجري إلى بعض الجوانب المميزة في هذين المذهبين كرفض عبادة التماثيل والخروج عن النص الإنجيلي، والتغييرات التي حدثت في الديانة المسيحية سواء على الصعيد العقائد أو الأحكام، متطرقاً إلى رفضهما للعقيدة الكاثوليكية الممثلة بشخص البابا في روما.

يقول الحجري متحدثاً عن هولندا: (وبعد أن ظهر في تلك البلاد رجل عالم عندهم يسمى بـ (لُطري) Luther وعالم آخر يسمى بـ (قلبن) أي Calven. وكتب كل واحد منهما ما ظهر له في دين النصاري عن التحريف والخروج عن دين سيدنا عيسى والإنجيل. وأن البابا بروما يُضِلُّون الناس بعبادة الأصنام، وبما يزيدون في الدين بمنع القسيسين والرهبان من التزويج وغير ذلك كثير... وحذرهم علماءهم من البابا ومن عبدة الأصنام، وأن لا يبغيضوا المسلمين؛ لأنهم سيف الله في أرضه على

(١) القدوري، عبد المجيد (سفر مغارة في أوروبا) / ص ١٩.

عباد الأصنام. وبسبب ذلك لهم ميل إلى المسلمين^(١).

ويصف الحجري انتشار المذهب البروتستانتي في هولندا وإنكلترا وفرنسا فيقول: (ودخل في هذا المذهب جميع أهل فلنضيس [هولندا]، وقاموا على سلطانهم إلى الآن. وهم أيضاً على هذا المذهب أهل سلطنة الإنجلز [الإنكليز] وكثير منهم بفرنجة [فرنسا]^(٢).

قوة اليهود في هولندا

ويلاحظ الحجري مدى قوة اليهود في هولندا وفرنسا، فيشير أولاً إلى حقيقة تاريخية هي: أنهم يهود، قد هاجروا من الأندلس والبرتغال بعد سقوط الحكم الإسلامي وهيمنة الكاثوليكية المسيحية هناك. ثم يتطرق إلى أساليب المراوغة والاندساس في بنية المجتمعات الغربية من أجل الهيمنة والسيطرة على مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية.

يقول الحجري (إعلم أن اليهود الذين هم بتلك البلاد [هولندا] كان أصلهم في قديم الزمن وفي زمننا، ببلاد الأندلس وأكثرهم ببرتقال [البرتغال]. وكانوا في الظاهر نصارى. وفي خفاء منهم يهود، وكانوا يخفون أنفسهم بين النصارى أكثر من الأندلس [أي بين مسلمي الأندلس]. ويقرأون العلوم بالعجمية ولا يتكلمون إلا بها. ويدركون بالعلم بعض المراتب. وإذا أدرك أحدهم أمراً يتحكم على الناس؛ يضر بهم كثيراً لا سيما بالأندلس [مسلمي الأندلس]؛ حتى أن الناس إذا ألحقهم

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٤٠.

ضرر ممن يحكم، سواء كان الحكم على النصارى أو على الأندلس؛ يبحثون على أصله، ويجدونه يهودياً مخفياً أو من سلالتهم: أما من الأبوين أو من جهة أبيه أو أمه، لأنهم من أجل الرياسة والطمع كانوا يختلطون في التزويج مع النصارى، ويعطون بناتهم ويتزوجون منهم، وجميع اليهود فيهم من الكبر الخفي ما لا كنت تظنّ فيهم حتى رأيتهم بالبلاد المذكورة وهي فرنجة وفرنضيس. وفيها [هولندا] هم أشهر مما هم ببلاد الفرنج؛ لأن لهم الإذن في نقل السلاح واللباس مثل أهل فرنضيس^(١).

٢- العادات الاجتماعية

تحدثت الحجري، أثناء حديثه عن لقاءاته واتصالاته وسفره في البلدان الأوربية عن بعض العادات والتقاليد المتعارف عليها بين الأوربيين آنذاك.

الإختلاط

ولعل واحداً من معالم لقاءاته هو مخاطبته النساء وحديثه معهن بكل حرية وفي شتى المواضيع. ويتحدث عن مكوثه في قلعة رئيس الديوان الملكي في ضواحي بوردو، وأنهم قد سارعوا لتلبية طلبه عندما رفض أن يأكل طعاماً حراماً فيقول: (وقدموا لي مع أصحابي طعاماً فلم نأكل منه. قلنا لهم: هذا ممنوع في ديننا. ثم أعطونا ما ذكرنا لهم)^(٢).

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٧.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٩٧.

ويتحدث عن العلاقات بين الرجل والمرأة بشيء من التحفظ، إذ يجد في ذلك مسرباً للشيطان. ففي أوج علاقته مع فتاة فرنسية بعد أن عرضت عليه أن تعلمه الفرنسية، (وصرت تلميذاً لها. وأخذت في إكرام أصحابي. وكثرت المحبة بيننا حتى ابتليت بمحبتها ببلية عظيمة)^(١)؛ وكانت تتوقع مداعبته لها، إذ قال له أحد أصحابه يوماً: (وأنت تعرف العادة الجارية في هذه البلاد أن الرجل يمدّ يده للبنات ويلاعبها، وليس بعيب عند أحد من الناس، وهي تقف أمامك مراراً قريباً منك تنتظر أن تلاعبها، وأنت لا تفرحها ولا تشرحها)^(٢).

وينتقد الحجري ظاهرة الاختلاط، ويركّز على ظاهرة اختلاء القساوسة بالنساء، ويعتبرها سبيلاً للشيطان. ففي نقاشه مع أحد القساوسة؛ حيث توقف القارب للاستراحة في أحد الدور الخاصة بالمسافرين، قال له الحجري: (أنتم القسيسون تزورون النساء وتستخلون بهن، وهن يحسن إليكم بالصدقات فنقول لك نفسك: سر إلى فلانة إنها من الصالحات، وأذكر لها شيئاً من ذكر الله، وألهمها اليه، ويحصل لك أجر وحسنة. وهذا من باب الحسنة. وغرضها منك أن تقرب منها حتى تتمكن المحبة من قلوبكما. فإما تغلبكما حتى تقعا في المعصية والحرام وهو المقصود من النفس والشيطان. وإما تكثر المحبة بينكما وتشغلك حتى أنك إذا كنت في صلاتك تذكر باللسان ومعها قلبك، وهذا من باب نصيحتها)^(٣).

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٨٠

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٨١

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٥

حادث عنصري

ولم يتحدث الحجري عن الملابس، لكنه يذكر: أنه قد اضطر يوماً لارتداء ملابس الفرنسيين تحسباً من الاعتداء عليه عند دخوله مدينة روان الفرنسية رغم أنه يحمل معه تصريحاً ملكياً فرنسياً بالسفر لحماية حياته حيث يقول: (وكننت - كما تقدم - من حيث دخلت روانا Rouen لبست للضرورة لباس الفرنج)^(١). وبالفعل فقد تعرض الحجري إلى حادث عنصري في القارب الذي سار به من مدينة روان إلى ميناء Havre Grace؛ حيث تعرض له أحد الفرنسيين، (ثم قال لي واحد من الشياطين... وكان كافراً من الذين جاءوا في القارب معنا: كيف أنت في بلادنا؟ ومن أذن لك في ذلك؟ وأظهر الغضب وأكثر الكلام، فأظهرت لهم كتاب سلطانهم)^(٢).

٣- صورة الإسلام في أذهان الأوروبيين

يعود تشكيل صورة الإسلام والمسلمين في الذهنية الأوروبية إلى أسباب تاريخية، منها: العداء البيزنطي للمسلمين بعد فقدانها مستعمراتها في الشام ومصر وشمال أفريقيا، وإلى الحقد والكره الذي تصاعد خلال قرنين من الزمان أثناء الحروب الصليبية، والمعارك الطاحنة مع المسلمين، إلى أن انتهت بتبديد أحلام الغرب وهزيمته وانسحابه من المنطقة، وإلى التوسع التركي في أوروبا؛ حتى وصلت جيوش العثمانيين إلى مقربة من فيينا.

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٣.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٦.

ومن الطبيعي أن يجري تصوير المسلمين بشتى الألفاظ الوحشية والبربرية والوثنية. وفي غياب البحث الموضوعي والكتابات العلمية تبقى هذه الصورة غير حقيقية، بل تتضمن خرافات ومبالغات وأكاذيب.

تركي يعني مسلماً

أثناء حواراته ومناظراته يشير الحجري إلى بعض التصورات والأفكار التي يحملها الأوروبيون تجاه الإسلام والمسلمين؛ فهم لا يسمون المسلمين بهذا الإسلام بل يطلقون لفظة (تركي) على المسلم إذ أصبح هذا اللفظ مترادفاً مع المسلم، بسبب التوسّع العثماني في أوربا في القرن السادس عشر. ويشير الحجري إلى استخدام الأوروبيين هذا المصطلح عدّة مرات. فمع أن الحجري أندلسي الأصل (مغربي الجنسية) إلّا أن قاضي القضاة في مدينة روان الفرنسية يخاطبه: (أنتم التركيون تصنعون فعلاً قبيحاً بقتلكم جميع أولاد السلاطين إلّا واحداً أو اثنين)^(١). وفي الدعوة التي دعاه إليها القاضي الفرنسي المكلف بملف الأندلس جرى تقديم الحجري بهذه الصورة، (وقالوا للضيف: هذا رجل تركي؛ لأنّ الفرنج لا يقولون للمسلم إلّا تركي)^(٢). وتكرّر الأمر في منزل رئيس الديوان حينما دخل إلى جلسة عائلية سألتها ضيفة القلعة: (أنت تركي؟ قلت لها: مسلم، الحمد لله)^(٣).

ويبدو أنّ استخدام لفظ التركي لا يختص بالطبقات الراقية أو القضاة والأمراء، بل حتى في الأوساط الشعبية؛ إذ يتحدث الحجري أنه جرى

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٤٩.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٦٩.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٨٣.

تقديمه بهذا المصطلح إلى صاحب أحد الفنادق الفرنسيين. يقول الحجري: (.. حتى إنا إذا بلغنا إلى دار منزله التي ننزل فيها للمبيت فيها، فيكلمون رب الدار ويقولون: هذا رجل تركي - لأننا في بلاد الفرنج، وفي كثير من سلطانات [دول] النصارى لا يسمون المسلم إلا تركياً كما تقدم.)^(١).

شعائر الإسلام وعقائده

لا توجد لدى الأوربيين فكرة واضحة عن أحكام الإسلام وشعائره وعقائده. فبعضهم يتعجب من تمسك المسلمين بإزالة النجاسة وغسل ملابسهم وأمتعتهم منها. ففي حوار جرى بين الحجري وأحد القساوسة قال له القس: (لقيت في البندقية بعضاً من أهل دينكم، رأيتهم يعملون شيئاً كأنه عبث لا أصل له في دين. قلت: ماذا رأيت منهم؟ قال: إذا نزلت نجاسة أو بول في حوائجهم يغسلون ذلك المحل بالماء. فسألتهم عن السبب الموجب لذلك فلم نجد عندهم خبراً)^(٢).

وبعضهم يعتقد أن الزنا والسرقه مباحان في الإسلام اعتماداً على سوء فهم لحديث عن الرسول ﷺ: بأن المؤمن يزني ويسرق ولكن لا يكذب! يقول الحجري: إنه التقى في مدينة روان الفرنسية بتاجر فرنسي، كان قد تعرّف عليه في المغرب، إذ كان يتردد هناك للتجارة، ويمكن طويلاً، حتى أنه تعلم العربية. يصف الحجري لقاءه بهذا التاجر واسمه قرط Jancart Jacques فيقول: (وبدأ يتكلم في دين المسلمين ويشكر

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٦.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٣.

دينه، وقال: المسلمون في دينهم مباح الزنا والسرقه. قلت: هذا باطل. قال: بل صحيح، لأنني سمعت علماءكم يقولون: إن بعضاً سأل نبيكم قال: المؤمن يزني؟ قال له: يزني. قال: والمؤمن يسرق؟ قال: يسرق؟ قال أيضاً: المؤمن يكذب؟ قال له: المؤمن ما يكذب. قلت له: المؤمن الذي ما يكذب فلا يسرق ولا يزني. وكيف تقول ذلك؟ وعندنا أن من سرق ما يساوي ربع دينار تقطع يده شرعاً. وإذا زنا المحصن يرجم إلى أن يموت^(١).

وكان هناك بعض من التقاهم الحجري يسألونه عن أحكام الإسلام وتشريعاته. فقد سأله القاضي الفرنسي عن الصيام وحكمته وتأثيره على صحة الجسم، وعلة تحريم لحم الخنزير؛ وعن علة تحريم الخمر^(٢). كما تعرّض لنفس السؤال من قبل قسّيس في مدينة روان^(٣).

كما سئل الحجري عن تعدد النساء، إذ سألته إحدى السيدات الفرنسيات (قالت المرأة: كيف أباح لكم نبيكم أن تنكحوا أربع نساء، والله - تبارك وتعالى - لم يعط لأبينا آدم (عليه السلام) إلا امرأة واحدة؟)^(٤). كما سألتها فتاة فرنسية كانت تسكن قلعة رئيس الديوان الملكي حيث يقول الحجري: (وسألتني: هل عندي امرأة في بلادي؟ قلت لها: عندي. ثم قالت: وتتزوجون أكثر من امرأة؟ قلت لها: جائز ذلك في ديننا)^(٥).

ويبدو أن الحجري واجه الأسئلة فيما يتعلق بالمرأة والزواج وقضايا العائلة من قبل النساء الغربيات دون الرجال؛ فقد سألتها فتاة فرنسية عن

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٧٠ - ٧١.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٠٦.

(٤) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٧٤.

(٥) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٨٢.

الحجاب (قالت: والنساء عندكم محجوبات؟ قلت لها: نعم. قالت: وكيف يكون العشق عند البنات ومن ينكحهن؟ قلت لها: لن يراها أحد ممن يخطبها حتى تكون له زوجة)^(١).

خرافات وأوهام

وتحدث الحجري عن بعض الأوهام السائدة عن المسلمين، مثلاً كان الأوروبيون يعتقدون أن النبي محمد ﷺ مدفون في مكة، وأن قبره موضوع في كرة من الحديد معلقة في الهواء بسبب وجد قبة فوقها مبنية من حجر المغناطيس!! يقول الحجري أن التقى القاضي الفرنسي فيرض Fayard في مدينة بوردو وجرى بينهما الحوار التالي (وقال لي: يا فلان، تعجبت منك، كيف أنت على دين المسلمين؟ قلت له: لماذا؟ قال: لأن عندنا في كتبنا أن المسلمين يزورون مكة ليروا نبيهم في الهواء في وسط حلقة حديد في الهواء، لأن الحلقة في الهواء في وسط قبة حجر المغناطيس. والمعروف منه أنه يجذب الحديد، والجذب في القبة على حد سواء من كل جهة، وتبقى الحلقة في الهواء بنبيكم، والمسلمون يعتقدون أن ذلك معجزة لنبيهم.... قلت: النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس هو بمكة وليس هو في حلقة حديد، بل هو مدفون في المدينة، وبينها وبين مكة عشرة أيام. والمسلمون يزورون الكعبة لأنها دار مباركة بناها سيدنا إبراهيم - عليه السلام - قال: زرتها أنت ورأيت قبر نبيكم تحت الأرض؟ قلت له: لا، ولكن الذين مشوا من عندنا يقولون ذلك من غير اختلاف، وهي مسألة لا

(١) ناصر الدين علي القوم الكافرين / ص ٨٥

شك فيها)^(١).

وأما عن الإيمان بالله فالصورة الشائعة بين الغربيين آنذاك أن المسلمين لا يؤمنون بالله؛ فهم وثنيون أو يعبدون الإله فينوس! ولا غرابة أن واجه الحجري هذا السؤال من فتاة فرنسية (قالت: كيف بكم لم تعرفوا الله؟ قلت لها: المسلمون يعرفون الله خيراً منكم! قالت: خيراً منا؟ قلت: نعم)^(٢).

وأبدى قسيسان تعجبهما من أن المسلمين يؤمنون بوجود طعام وشراب في الجنة مثل الدنيا. ففي مدينة بوردو التقى الحجري بقسيسين جاءا لزيارة القاضي لقاء غرض، فدار بينهما الحوار التالي بعد أن عرفا أنه مسلم (وجاءاني وقالالي: أنت مسلم؟ قلت لهما: نعم. قالوا: أتعقدون أن في الجنة أكلاً وشرباً وتنعماً مثل ما في الدنيا؟ قلت لهم: نعم، ولكن أفضل مما في الدنيا. فضحكا. فقلت لهما: بيم تنكران ذلك؟ قالوا: لأن من تفل الطعام تكون النجاسة، ومن المحال أن تكون النجاسات فيها [الجنة]...)^(٣).

٤ - العمل السياسي والدبلوماسي

كان الحجري من كبار المسؤولين في البلاط المغربي، ولديه كفاءة وذهنية سياسية ملحوظة. يضاف إلى ذلك معرفته الجيدة لعدد من اللغات الأوربية: (الإسبانية والفرنسية والإيطالية). كما كان لديه اطلاع واسع عن مجريات الأحداث والتحولات السياسية آنذاك، ومعرفة

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٩٥ - ٩٦ يبدو أن قضية القبة المغناطيس كانت راجعة بين الأوربيين، إذ ذكرها الحجري في موضعين / أنظر ص ٦٠.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٨٣.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٩١ تجدر الإشارة إلى أن الحجري واجه هذا الأمر أكثر من مرة.

بالقوى السياسية والعسكرية والعلاقات الدولية. كما أنه لم ينس قضيته في الدفاع عن حقوق مسلمي الأندلس، وبذله جهوداً من أجل رفع الحيف عنهم ونصرة قضيتهم.

زار الحجري أوروبا سفيراً وممثلاً للسلطان مولاي زيدان، سلطان المغرب. وكان المغرب آنذاك واحداً من القوى السياسية في المنطقة؛ فقد «اتفق السلطان أحمد المنصور مع الملكة إليزابيث في نهاية القرن السادس عشر عن مساندة البرتغاليين ودعمها ضد إسبانيا. واستعمل المنصور الذهبي الورقة البرتغالية من أجل الضغط على كل من إسبانيا وإنكلترا، وساوهمما بها بهدف التحضير للدخول إلى السودان. وكانت إسبانيا غير مرتاحة لتحركات العناصر المورسكية التي لا زالت تعيش في ترابها. وازدادت مخاوفها وشكوكها عندما فشلت سياسة ملوكها في دمج هذه العناصر التي بقيت متشبثة بثقافتها الأصلية. لقد برّر فيليب الثالث طرده للمورسكيين بسبب تواطؤ هؤلاء مع العثمانيين والمغاربة؛ من أجل تحضير حملة على إسبانيا بمساعدة بحرية من إنكلترا. وكان لهذا الطرد أثر بليغ على حياة المورسكيين، وكان سبباً في رحلة الحجري إلى فرنسا والعمالات المتحدة [هولندا] دفاعاً عن هذه العناصر المنكوبة، وانتصاراً لها، فجاءت رحلة الحجري بمثابة الصرخة الواعية والصيحة اليائسة لهذه الطائفة المشرّدة»^(١).

وباعتباره مبعوثاً رسمياً من السلطان المغربي مولاي زيدان. وكان السلطان قد زوّده بكتاب ملكي موجّه إلى ملك فرنسا. زار الحجري البلاط الفرنسي في باريس في عهد الملك لويس الثالث عشر (١٦١٠ - ١٦٤٣ م).

(١) القدوري / سفراء مغاربة في أوروبا / ص ١٣.

ويبدو أنه لم يسمح له بزيارة الملك بل عرض أمره على القضاة المختصين. يقول الحجري (وقد رفعنا أمرنا الذي جئنا بسببه إلى تلك البلاد إلى الديوان السلطاني (البلاط الفرنسي) وأعطوا كتب السلطان (مولاي زيدان) للقضاة الذين ذكرنا لهم)^(١).

وكانت العلاقات بين فرنسا وتركيا جيدة؛ إذ حصلت فرنسا على عدة امتيازات Capitulations من الدولة العثمانية نظمتها اتفاقيات ومعاهدات مثل معاهدة ١٥٣٥ م ومعاهدة ١٦٠٤ م^(٢)، وقد ساعد الحجري في مهمته في البلاط الفرنسي أن السلطان العثماني أحمد الأول (حكم بين ١٦٠٣ - ١٦١٧ م) قد اهتم بقضية مسلمي إسبانيا المطرودين؛ فكتب رسالة إلى ملك فرنسا يوصيه فيها بالاهتمام بقضيتهم. وقد ذكر الحجري هذا الموضوع إذ قال: (ولما صح عند سلطان إسطنبول بخروج الأندلس الذين يسمونهم ببلاد الترك بمدجلين (يقصد مدجنين Mudejars كتب كتابه السني إلى سلطان فرانجة بالوصية عليهم. ونفع ذلك الكتاب [مسلم] الأندلس نفعاً عظيماً. تقبل الله منه وجعله في أعلى عليين ببركة سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين)^(٣).

وعلى ضوء ذلك منح البلاط الفرنسي الحجري مراسيم ملكية، تأمر القضاة الفرنسيين بوجوب مساعدة الحجري، الذي جاء يتابع قضية المورسكيين المنهوبة أموالهم. يقول الحجري: (ولما أعطوني كتب السلطان، قلت لبعض من كان يعتقدني منهم أن يترجم لي الكتاب. وبعد الكلام الذي من عادتهم يصدرونه، قالوا للقضاة: نأمركم أن تقفوا مع

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٥٠.

(٢) عبد الرزاق، صلاح / القانون الدولي الإسلامي / رسالة ماجستير / ص ٨٠.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٥٠-٥١.

حامل هذا، الذي يتكلم على الأندلس؛ لأن السيد الكبير [السلطان العثماني] كتب لنا في شأنهم. وهذا الاسم لا يسمّون به أحداً من ملوك الدنيا، وذلك ببركة الإسلام، إذ هو أعظم سلاطينها^(١).

هولندا تعرض حلفاً عسكرياً على الحجري

أما في هولندا فقد تحرّك الحجري بحرية أوسع. كما كان لعلاقاته السابقة مع السفير الهولندي في البلاط المغربي كوي Pieter Coy تأثيرها في لقائه بأمير هولندا ماورس Maurice of Nassau (١٥٦٧-١٦٢٥ م) أربع مرات خلال فترة بقاءه في هولندا التي بلغت أربعة أشهر. وكانت هولندا قد وقّعت معاهدة مع المغرب عام ١٦١٠ م تم الاتفاق فيها على إقامة علاقات دبلوماسية وتعاون مشترك.

يصف الحجري لقاءه بالأمير الهولندي ومدى حفاوته به، واحترامه له؛ حتى أنه خلع له قبعته، مستقبلاً إياه، آخذاً بيده حتى جلس معه، فيقول: (فلما أن رأني ببلاده مشى إلى الأمير وأعلمه وحملني إلى عنده، واسم الأمير مورسي. وأقبل عليّ، وعزّ [عزى] رأسه، وأخذ بيدي وأجلسني معه، وزرته أربع مرات^(٢) ويبدو أن اللقاء الأول كان مجرد مجاملة وتشريفات، وإنما بدأ الحديث السياسي والاتفاق على إقامة حلف عسكري يضمّ هولندا والمغرب في لقاء آخر، إذ يقول الحجري: (وبعد أن جلست يوماً قال لي: ماذا تعرف من الألسن [اللغات]؟ قلت له: العربية ولسان إشبانية ولسان أهل البرتقال، وكلام الفرنج نفهمه،

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٥١.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٤٥-١٤٦.

لكن ما نعرف نتكلم به. قال لي: فإننا نعرف كلام الفرنج ونفهم كلام إشبانية - وهو كلام أهل بلاد الأندلس كما قلنا مراراً - ولا أعرف أتكلم به. وإلى هذا فأكلّمك بالفرنج وتكلمني بلسان أهل بلاد الأندلس العجمي^(١). وبعد الاتفاق على لغة المحادثات؛ حيث استخدم الحجري الإسبانية والأمير الهولندي الفرنسية، بدأ الحديث في القضايا الدولية حين سأله الأمير مورسي عن سبب طرد الإسبان لمسلمي الأندلس. فأجابه الحجري: بأن ملك إسبانيا خاف من كثرة عدد المسلمين وتهديدهم للواقع الديمغرافي في إسبانيا^(٢)، وقد استحسن الأمير الهولندي ذلك التفسير، ثم دخل في عرض مشروع حلف سياسي - عسكري لاحتلال إسبانيا، يضم هولندا والمغرب والدولة العثمانية، تقوم بموجبه هولندا بتوفير أسطول لنقل المورسكيين من شمال أفريقيا للمحاربة إلى جانب الهولنديين وغزو إسبانيا (قال لي: لو اتفقنا مع كبراء الأندلس [قيادات المورسكيين] ونبعث لهم عمارة [أسطولاً] من سفن كبيرة ليركبوا فيها مع جنودنا نأخذ إشبانية؟ قلت: لا يمكن للأندلس أن يتفقوا على هذا إلا بإذن السلاطين الذين خرجوا ببلادهم وسكنوا معهم. قال: لو كنا نتفق مع سلطان مراکش ونبعث للسيد الكبير - أعني السلطان الأعظم سلطان الإسلام والدين - ونتفق جميعاً على سلطان إشبانية نظفر به ونأخذه بلاده. قلت: هذا أمر عظيم لو حصل وفي تحصيله شك. وأما لو كان هذا الاتفاق فيأخذون بلاد الأندلس - أعادها الله إلى الإسلام^(٣).

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٤٦.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٤٦ ونقلنا تفسير الحجري والخطوات التي قامت بها الحكومة الإسبانية في مكان سابق من هذا البحث.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٤٧.

أسرى مسلمون في أوروبا

وبعد أن رأى الحجري تعاون الحكومة الهولندية معه بشكل ملحوظ؛ حاول انتهاز الفرصة لإطلاق سراح سيدتين تركيتين كانت قد أسرتا في إحدى السفن، وتم جلبهما إلى فرنسا؛ حيث التقى الحجري بهما في قصر الملك لويس الثالث عشر. إذ أنهما كانتا مشغولتين عند الملكة الفرنسية حيث تقومان بتعليم سيدات القصر الملكي فنون التطريز؛ حيث إنهما كانتا فنانتين به. وقد تنصرتا لكنهما عندما شاهدتا الحجري وكلمهما بالعربية لغة الإسلام، أثار حنينهما لبلدهما؛ فطلبتا منه مساعدتهما في تهريبهما إلى تركيا. وقد وعدهما الحجري خيراً. وها قد حانت الفرصة، فعرض على السفير كوي Coy الذي وافق على ذلك لأنه كان نفسه قد تعرض للأسر وساعده الحجري في إطلاق سراحه. فأراد أن يرد الجميل. طلب كوي من الحجري أن يبعث إلى السيدتين ويأتي بهما إلى هولندا، ثم يتدبر أمرهما؛ حيث سيركباها في سفينة تجارية هولندية متوجهة إلى إسطنبول. وبالفعل وصلتا إلى بلدهما بأمان^(١).

الصراع الإسلامي - الإسباني

تحدث الحجري في عدة مواضع عن العداء بين الإسبان الذين هيمنوا على الأندلس وطردوا أهلها، وبين العالم الإسلامي الذي هاله ما فعلته السلطات الإسبانية من ممارسات وحشية ضد المسلمين، وإكراههم على اعتناق المسيحية، وتعريض من يمارس شعائر إسلامية إلى العذاب والحرق. يقول الحجري وهو شاهد عيان رأى بأمر عينيه تلك الفظائع:

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٨٨

(...) ثم ذكرت كيف كان حال المسلمين بين النصارى، بعد أن أدخلوهم جميعاً كرهاً منهم في دينهم. وكانوا يعبدون دينين: دين النصارى جهراً ودين المسلمين في خفاء من الناس. وإذا ظهر على أحد شيء من عمل المسلمين يحكمون فيهم الكفار الحكم القوي، ويحرقون بعضهم، كما شاهدت حالهم أكثر من عشرين سنة قبل خروجي منها^(١).

ومنع الإسبان المسيحيون التحدث بالعربية أو تداول الكتب العربية. يقول الحجري: (...) والنصارى تقتل وتحرق كل من يجدون عنده كتاباً عربياً أو يعرفون أنه يقرأ بالعربية^(٢).

وساد الذعر في أوساط المسلمين حتى أن أصبح وجود كتاب عربي كارثة تحلّ بصاحبه. ينقل الحجري الوضع النفسي والاجتماعي عندما حمل يوماً كتاباً عربياً، ودخل أحد الفنادق لزيارة بعض المسافرين القادمين من بلده يقول: (وبعد السلام والكلام فتحت الكتاب، فلما رأوه مكتوباً بالعربية دخلهم الخوف العظيم من النصارى. وقلت لهم: لا تخافوا؛ لأن النصارى يكرموني ويعظمونني على القراءة بالعربية. وكان أهل بلدي جميعاً يظنون أن الحراقين من النصارى - الذين كانوا يحكمون [في محاكم التفتيش] ويحرقون كل من ظهر عليه شيء من الإسلام أو يقرأ كتب المسلمين - يحكمون فيه؛ ومن أجل ذلك الخوف العظيم كان [مسلمو] الأندلس يخاف بعضهم من بعض، ولا يتكلمون في أمور الدين إلا من كان ذمة - ذو أمانة - وكثير منهم كانوا يخافون بعضهم من بعض.... ولما رأى الأندلس الحالة التي كنت عليها، كانوا يقولون فيما

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١١.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٩. وقد واجه الحجري هذا الموقف حينما بعثوا في طلبه للترجمة وسألو كيف وأين تعلمت العربية.

بينهم: لا بدّ لهذا من الوقوع في أيدي الحرّاقين. وبلغ الحال بي حتى إذا وقفت مع جماعة للكلام نرى كل واحد منهم ينسلّ حتى أبقى وحدي منفرداً^(١).

كما أنهم منعوا تداول القرآن الكريم ومن يملك نسخة منه يتعرض للقتل ومصادرة أمواله وحرّق القرآن الكريم. يقول الحجري: (وكان عندنا [القرآن] ببلاد الأندلس مع الحكم القوي والحرص الشديد من الكفار على من يظهر عنده يقتلونه ويأخذون ماله ويحرقونه. ومضت أكثر من مائة سنة من حين منعه وهو موجود)^(٢). وخرقهم للمعاهدات التي وقّعوها مع المسلمين قبل خروج آخر أمير مسلم من غرناطة (والعهود التي عاهد المسلمين الأندلس حين أخذ بلادهم ثم نكثها. وأن حين أمر على الأندلس بالخروج من بلاده)^(٣).

ويذكر الحجري إحصائية لعدد المسلمين المطرودين من إسبانيا، معتمداً على ما نقل إليه من معلومات من داخل رئاسة الديوان الملكي في البلاط الإسباني، إذ يقول: (وذكر لي من جاء بعضهم رجل أندلسي من بلاد الثغر [ربما أراغون Aragon] اسمه قلش بأن كتاب الديوان السلطاني بمذريل [مدريد] قالوا: بلغ نهاية جميع الأندلس بصغارهم لثمانمائة ألف مخلوق، وأكثرهم خرجوا بتونس)^(٤).

ولا يقتصر حديث الحجري عمّا فعله الإسبان بالمسلمين، بل يتطرق إلى المجازر الوحشية التي ارتكبوها ضد السكان الأصليين للمكسيك

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٢٤-٢٥.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٣٠.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٢٧.

(٤) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٥٩.

[يسميهـم الـهنود المـغربـية]، وـغـدـرهم بـملك المـكـسيـك. يـذكـر الـحـجـري (...)
مما صـدر مـنـهم [الإسـبـان] مـع سـلطان الـهنود المـغربـية بـمـدـيـنة مـشق
[المـكـسيـك] المـسمـى مـونـتـزـومـة Montezume. إذ مـشـوا إلـيـه بـهـديـة وـقـتلـوه.
ويـتـحدـث الـحـجـري عـن الـعـداء الـذي يـكـنـه الإسـبـان لـلعـالم الإسـلامـي إذ
يـقـول: (ولم يـكـن لـسـلاطـين المـسـلمـين أـعدى ولا أظـرّ مـن سـلاطـين إسـبـانـيا.
ويـضـرون سـلاطـين المـسـلمـين، وـهم لا يـشـعـرون؛ وـذلك بـما لـه مـن القـوة
بـالـمال)^(١).

لقد كانت هناك منافسة تركية -إسبانية في حوض المتوسط. لقد
حاول الإسبان منذ مطلع القرن ١٦ خلق إمبراطورية مسيحية وتروّسها.
وبمساعدة من البابا، ثم تتويج شاركان الإسباني امبراطوراً للعالم
الكاثوليكي سنة ١٥١٩ م. وحاول الأتراك بدورهم في الفترة، تزعم العالم
الإسلامي، واتخذ سلاطينهم لقب الخلافة الإسلامية مباشرة بعد
دخولهم مصر سنة ١٥١٧ م^(٢).

دعم قضيّة المورسكيين

وقد تحدثنا فيما سبق من أن الحجري خاطب الجالية المورسكية المقيمة
في إسطنبول حول نشاطاته الدبلوماسية واتصالاته مع الساسة الأوربيين
لخدمة قضيّة مسلمي الأندلس. وأن قيادات المورسكيين في إسطنبول قد
شكّلت لوبي للضغط على الدبلوماسيين والسياسيين الغربيين الذين
يزورون عاصمة الدولة العثمانية؛ من أجل دعم قضيتهم وتحشيد القوى

(١) ناصر الدين على القوة الكافرين / ص ١٢٧.

(٢) القدوري / سفراء مغاربة في أوروبا / ص ٤٥.

الدولية ضد إسبانيا. لقد عاشت الجالية المورسكية في ظروف صعبة في مهاجرهم الجديدة؛ فقد فقدوا دورهم ومزارعهم ومصانعهم ودكاكينهم وأموالهم. وجاءوا إلى بلدان الشمال الأفريقي لاجئين، ينتظرون مساعدة إخوانهم وإحسان المحسنين وصدقاتهم. يصف الحجري حالهم في تونس فيقول - وكان عثمان داي أميراً (١٥٩٣ - ١٦١٠ م) فيها. وتكفل أمورهم بالسكنى في المدينة وغيرها في القرى. وأحسن اليهم غاية الإحسان، أحسن الله إليه، ومات - رحمه الله - عام تسعة عشر وألف (١٦١٠ م)؛ وكذلك الولي الشهير سيدي أبو الغيث القشّاش، كان يعطيهم في كل يوم نحو ألف وخمسمائة قرصة من الخبز صدقة - جزاهما الله خيراً كثيراً^(١).

وقد نجح الحجري في مهمته، وتمكن من استرجاع جميع الأموال المنهوبة بعد متابعة ومراجعات استغرقت عاماً ونصفاً، إذ يقول: (وأما الحوايج التي كانت مطروحة ببرضيوش [بورديو] التي نهبها الرئيس من أهل الحجر الأحمر، فاتصلت بها بعد أن جاز علينا نحو عام ونصف. والحمد لله أن كل من وكلني من جميع [مسلمي] الأندلس وصل إليه شيء من الدراهم)^(٢).

اعتزازه بالإسلام واللغة العربية

ويظهر الحجري اعتزازه بالإسلام وباللغة العربية واتساع رقعة العالم الإسلامي، فيروي أن جماعة من العلماء التقاهم في هولندا قد عرضوا عليه كتاباً عربياً، فاطلع عليه فوجده يتحدث عن التصوف، (قلت لهم: فهمت ما فيه، وأقدر أن أترجمه بالأعجمية. فتعجبوا فيما بينهم،

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٥٩.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٣٤.

وقالوا لي: هذا الكتاب ساقوه من جزيرة كذا من الهنود المشرقية [أندونيسيا] التي بيننا وبينها في البحر زمن طويل، أقل من سنة في البلوغ إليها. وهذا عجب؛ لأن بين بلادك وبينها شيئاً كثيراً، وأنت تفهم ما في الكتاب. وهذا يدل على أن العربية لسان واحد عام في كل بلد. وكلامنا في هذه البلاد مختلف لسائر الألسن، لأن في بلاد الإنجليز كلاماً واحداً، وأهل فرنجة بلغة أخرى، وكذلك ببلاد الأندلس عجمية أخرى، وكذلك في إيطاليا وألمانيا ومشقبيه. وكل لسان مختلف عن غيره. وهذه العربية واحدة في الدنيا^(١).

٥ - البحث العلمي والأكاديمي

يعتبر الحجري واحداً من مثقفي عصره ومتنويره. فهو ذو خلفية إسلامية علمية، يجيد عدة لغات أوربية، ويتميز بعقيلة منفتحة قادرة على مناقشة الأشياء بموضوعية، بعيداً عن العناد والتعصب. كما أنه لا يتردد في مناقشة الآخر رغم التباين الكبير في العقيدة التي تشكل واحداً من معالم تقييم الشخصية، ورغم الفارق اللغوي والمعلومات المستخدمة في الحوار فهو لم يحمل عقدة الخوف من الآخر، أو الاكتفاء باتهامه بالكفر ونعته بالصفات القبيحة.

وخلال جولته، لم ينس الحجري اهتماماته العلمية والفكرية؛ فزار المكتبات والمتاحف، وطالع الكتب الأوربية بلغاتها الأصلية، وتحدث عن المطبعة، ودخل في نقاشات علمية مع قساوسة وأحبار وأطباء وقضاة ومستشرقين.

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٤٤.

وناقش بعض الأوهام المنتشرة بين المؤرخين والجغرافيين وعلماء الأديان.

زيارة المراكز الأكاديمية

أبدى الحجري اهتماماً بزيارة المعالم التي تمثل نهضة البلدان العلمية والفكرية. ولاننسى أن زيارته جاءت في عهد بلوغ أوروبا مرحلة الإندفاع والتوثب لاكتشاف العالم، فقد عاصر الحجري اكتشاف أستراليا عام ١٦٠٦ م. وكانت هولندا تعيش عصرها الذهبي من خلال تجارتها ورحلات مكتشفيها وأسطولها الضخم الذي أذهل الحجري.

حديث الكتب والمكتبات

يتطرق الحجري في العديد من مواضع كتابه إلى الكتب التي طالعها، وخاصة تلك المكتوبة باللغات الأوربية؛ فقد ذكر أنه قرأ كتاب الرحالة الفرنسي القبطان Pierre Davity. وهو كتاب خرائط لبلدان العالم، وكان مكتوباً بالفرنسية. وقرأ كتاب البحارة الإيطالي (Pedro (Tashayira Teixeira) الذي يتحدث عن رحلة حول العالم مروراً بأمريكا^(١). وفي هولندا تطرّق إلى (حكاية الستة رجال الذين جاءوا في سفينتهم من البحر الذي يكون فيه اليوم من ستة أشهر أو قريباً من ذلك، لا ليل فيها. وبعكس ذلك في زمن الشتاء لا شمس فيها، في مثل ذلك الزمن من الشتاء)^(٢). والكتاب المقصود هو كتاب (قصص الرجال الستة) الذي كتبه الرحالة

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٢٥.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٥٠.

والمستكشف Willem Barentsz (١٥٥٠ - ١٥٩٧ م). وقرأ في هولندا أيضاً كتاباً باللغة الإسبانية تتحدث عن الدجال الذي يظهر في الدنيا، ويرى أن صفات الدجال تنطبق على البابا في روما. يقول الحجري: (وقد طالعت ببلاد الفلمنك وفي غيرها كتاباً بالنصوص من التوراة والكتب القديمة. ودلت على أن البابا هو الدجال المذكور أنه يأتي في الدنيا. وهذا لما رأوا من قبيح فعله. وأما الدجال ما زال ما ظهر)^(١).

في مكتبة باريس

وفي حديثه عن المكتبات ذكر الحجري أن مكتبة السلطان أحمد المنصور كانت تضم (إثنين وثلاثين ألف كتاب)^(٢). وفي باريس قام الحجري بزيارة إلى مكتبة كنيسة؛ حيث تضم مجموعة من الكتب العربية. ويصف الحجري طريقة حفظ الكتب، وأنها مثبتة بسلاسل حديد؛ كي لا تتعرض للسرقة. كما يصف بناية المكتبة وأثاثها. يقول الحجري (وكان هو [يقصد الطبيب هوبرت]: ذكر لي أن في كنيسة كذا فيها كتب بالعربية. قلت له: أحب أن أطلعها. ومشينا فوجدنا قبة كبيرة، والكتب صفوفاً على ألواح وكراسي. وكل كتاب في أسفله حلقتا حديد وسلسلة حديد تجوز على جميع الكتب. كل ذلك لئلا تذهب وتسرق. وكانت في كل لغة. ففتشنا حتى وجدنا كتاباً عربياً وفتحناه لنقرأ فيه)^(٣).

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٦٧.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٣٥.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٥٢.

المطبعة والطباعة

ويحدثنا الحجري عن انتشار الكتب المطبوعة في أوروبا للعالم الإسلامي. فقد ذكر أنه شاهد قاموساً (عربي - عجمي) بحوزة راهب هندي في مصر، وقع أسيراً هو وأصحابه القساوسة في طريقهم إلى أسبانيا، فساعده الحجري وأطلق سراحه. ولا يُعرف قاموس عربي - عجمي في عهد الحجري سوى القاموس (عربي - لاتيني) الذي طبع في ليدن بهولندا عام ١٦١٣ م، الذي ألفه فرانسيس رافلينخيوس Franciscus Raphelengius. علماً بأن الحجري كان في مصر عام ١٦٣٧ م. وهذه مدة كافية لانتشار الكتاب.

وفي تونس قرأ الحجري كتاباً مطبوعاً بالأسبانية يقول عنه: (وأيضاً وجدت في تونس كتاباً كبيراً مكتوباً بالقالب بالعجمية، مترجماً من بالر الإشبيلي Valera of Seville، مثل الذي قرأت بفرنصة، فيه جميع كتب التوراة والزبور والإنجيل)^(١). ولعل الذي وجده الحجري هو نسخة من كتاب الإنجيل بالإسبانية الذي طبع في أمستردام عام ١٦٠٢ م.

لقاءات بالطبقة الأوروبية المثقفة

التقى الحجري بعدد من الشخصيات التي تمثل الطبقة الأوروبية المثقفة التي كان تهتم بالعلوم والفنون والآداب، ومنفتحة على الآخرين، متجاوزة الحواجز الدينية واللغوية والعرقية. ففي فرنسا التقى بالطبيب والمستعرب الشهير هوبرت، الذي أبدى اهتماماً كبيراً بالحجري، وقدم له مساعدات، واستضافه في بيته. كما رافقه في زيارته لمتحف سانت

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٩٠.

دينيس، ومكتبة كنيسة باريس ودير للرهبان. وجرت بينهما حوارات سواء في منزله أو في المكتبة، شملت قضايا عقائدية وتفسير آيات من القرآن الكريم.

كما كانت له حوارات في منزل القاضي M. de Gourgues وحماته وابنها وأخيها، وكلهم من القضاة المرموقين في باريس. وقد تطرقت تلك النقاشات إلى قضايا عقائدية في المسيحية والزيادات والتغييرات التي طرأت عليها من قبل البابوات. كما تناولت توضيحات علمية للحجري حول أسباب تحريم الخمر وحكمة الصوم في الإسلام.

وفي ليدن بهولندا التقى بالطبيب المشهور Petrus Pauw؛ حيث تناقشا حول المعجزات النبوية والفرق بين المعجزة والشعوذة. وقد تحدّث الحجري بلغة العلم حين علّل المعجزة بأنها لا تكون إلا إذا طلب من النبي الإتيان بها. وأنها تتضمن جوانب إيجابية منها: (أما الباطن: حصول اليقين في القلوب والصدق لما ذكر للناس لهم من جانب الله تعالى، وأمرهم به ونهاهم عنه. وأما الظاهر: يكون فيه نفع ظاهر للناس.... وأما بالشعوذة فإنهم يصنعون ذلك من غير أن يطلب منهم، ولا يحصل منها نفع حقيقي أبداً - لا ظاهراً ولا باطناً - وهم يجذبون الناس ليروا ما يعملونه. وإذا طلب إليهم أحد أن يصنعوا شيئاً من خوارق العادات غير الذي يظهرون فلا يقدرّون عليها. وصاحب الشعوذة يعمل العجايب لعله بذلك يفرح الناظرين، ويعطونه شيئاً ليعيش به. ولو قيل له: علّمني هذا الذي أنت تعمله وأعطيك دراهم فيعلّمه حتى يكون مثله في العمل. حينئذ قال الحكيم: صدقت فيما قلت! هذا هو الحق^(١)).

(١) ناصر الدين علي القوم الكافرين / ص ١٤٢-١٤٣.

وزار الحجري جامعة ليدن التي لم يمض على تأسيسها سوى خمسة وثلاثين عاماً فشاهد الكليات التي تهتم بدراسة مختلف العلوم. يقول الحجري: (ولمّا أن دخلنا مدينة ليذا [ليدن] رأينا فيها مدارس لقراءة [لدراسة] العلوم، ووجدت فيها رجالاً [يعني أربينيوس] كان يقرأ بالعربية، ويقر [يدرس] بها غيره، ويأخذ راتباً على ذلك. وكنت عرفته بفرنجة، وحملني إلى داره. وكان يتكلم معي بالعربية - يعرب الأسماء ويصرف الأفعال - وكان له كتب كثيرة بالعربية. ومن جملتها القرآن العزيز. فأخذنا في الكلام، وهو يثبت قوله بالتثليث بالألوهية؛ لأنهم متفقون في ذلك مع البابوات وأتباعهم. وكان يشكر ويمدح دينه كثيراً بالمدح التام لسيّدنا عيسى^(١)). ثم جرى الحوار حول معنى الروح القدس والبارقليط المذكور في الإنجيل. وتطرقنا من قبل إلى لقاءات الحجري بالرهبان والقساوسة وأحبار اليهود.

نقاشات علمية

يناقش الحجري بعض الأوهام والخرافات المنتشرة بين الكتّاب والمؤرخين والجغرافيين والفلكيين، ويثبت بالدليل أنها باطلة ولا صحة لها. ففي لقائه مع كبير المنجّمين في باريس يؤيد قوله، أن لا حقيقة لما هو مكتوب في كتب هذا العلم من قراءة الطالع، رغم أنه قرأ أكثر من كتاب في هذا الفن. وذكر له أن التنجيم لم يصدّق في تفسير مقتل الملك لويس الثاني عشر؛ حيث استنتج أن (العلماء الذين وضعوا هذه القواعد والأقاويل والأحكام فلا نتيجة بعد العمل على مقتضى أقوالهم، بل نجد

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٤٠ - ١٤١.

المسألة بالعكس ممّا قالوا^(١).

ولا يقبل الحجري العديد من المقولات الشائعة بين الناس، فتراه يقول:
(وأما ما تقوله العامة أن بني آدم السودانيين أكثر من جميع البيض في
الدنيا، فذلك باطل وزور، وأظن أن السودانيين يكونون قدر عشر
البيض.

وكذلك تكذب اليهود عن وادي السبت، وأن وراءه سلطنة عظيمة
للهود، وأن الوادي لا يجري يوم السبت. وقد عرفت الناس في زماننا هذا
أكثر من الأوائل في أمور الدنيا. فأما اليهود فيصبرون نفوسهم عن ذلهم
وخزيهم بذكر وادي السبت. وإذا سئلوا: في أي قطر أو جهة من الدنيا
هو؟ فلا يعلمون ما يقولون^(٢).

الأنهار الأربعة لا تنبع من الجنة

ويناقش الحجري ما تذكره التوراة ويؤمن به اليهود والمسيحيون
بأن الأنهار الأربعة: (النيل ودجلة والفرات وجيحون) تنبع من الجنة من
مكان واحد! يقول الحجري مفتدأً هذه المقولة: (وهذه الأنهار معروفة
الآن أن كل نهر في بلاد مختلفة عن غيرها. ومعروف إبتدأؤه وانتهأؤه.
وهذا دليل على أن هذا النص باطل بالبرهان مثل الشمس)^(٣).

ويبدأ الحجري في تعرية هذه المقولة من خلال ذكر كل نهر ومنبعه
ومصبّه، ذاكرًا أنه شاهد خرائط مصوّرة لهذه الأنهار في كتب جغرافية
غربية.

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٢٥.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٩٣.

الكواكب والأبراج

ينتقد الحجري أسلوب تشبيه الكواكب بالبشر، والبروج بالحيوانات، وإطلاق أسمائها عليها. يقول الحجري: (وما زالت النصارى الآن تصوّر تلك الصور في كتب التنجيم. فيصوّرون زحل على هيئة رجل كبير بمنجل في يده يحوش الأرواح، والمشتري على هيئة رجل قاضي، والمريخ على صورة رجل بسيف في يده، وكل واحد من [الكواكب] السبعة بما يناسبه. وأما صورة البروج فإنّ منها صورة الكبش للحمل، وصورة ثور لبرج الثور، وصورة الجوزاء والسرطان والأسد والعقرب والجدي والحوت، ويكون المنع بسبب ذلك لأنها صور أشياء لها أرواح في الوجود)^(١).

حقيقة الإنجيل وقصة الكتب الرصاصية

في الباب الأول من كتاب (ناصر الدين على القوم الكافرين) يتحدث أحمد الحجري عن حادثة وقعت في غرناطة عام ١٥٨٨ م؛ فقد أمر الأسقف الأكبر واسمه Juan Menendez de Salvatierra في غرناطة بهدم صومعة قديمة تسمّى تربانة Turpiana وإنشاء صومعة جديدة. الصومعة القديمة كانت تقع ضمن الجامع القديم ويعود بناؤها إلى الفترة التي سبقت الإسلام في إسبانيا، أي إلى ما قبل عام ٧١١ م. تم العثور على صندوق من الحجر في داخله صندوق من رصاص، فلمّا فتحوه وجدوا فيه كتاباً من الرق، تضمن كتابات عربية والإسبانية المتداولة في الأندلس. كما عثروا على آثار مقدّسة منها قطعة من خمار السيدة

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٨٩.

مريم عليها السلام أم المسيح عليه السلام، وعظماً يعود إلى أحد القديسين واسمه إصطيفان Stephen. فأما الكتابة الإسبانية فلم تكن هناك صعوبة في قراءتها. وأما المكتوبة بالعربية فقد بعث الأسقف في طلب مترجمين من المسلمين. فتم استدعاء الشيخ الأكيحل الأندلس والشيخ الجبّس. فقام الحجري بالترجمة، وتبين أن الرق يتضمن نبوءات وألغازاً يصعب فكّها، ولكن الحجري تمكن من ذلك؛ فقام بترجمة الكتاب إلى الإسبانية؛ حيث بعث إلى البابا في روما ليطلعه على الأمر. ويرى الحجري أن الرق يتضمن البشارة بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم، وأن نفوذ دينه سيصل إلى بلاد النصارى. ويذكر الحجري أنه وجد في أسفل الرق: أن بطرس Patricio القس في سسليوه Cecilio كتب إنجيل يوحنا (وأمره أن يضعه في موضع خفي حتى يريد الله أن يظهره، وأنه وضع الصندوق في حائط الصومعة خوفاً من السلطان نيرون)^(١).

كتاب السيّدة مريم عليها السلام

يتحدّث الحجري عن حادثة أخرى وقعت عام ١٥٩٥ م؛ حيث قام أحدهم بالحفر في موضع يسمّى (خندق الجنة) في غرناطة بحثاً عن كنوز (فحرّك حجراً، ووجد تحته غاراً، وفي ركن الغار وجد رماداً ورصاصاً مكتوباً باللاتينية يقول فيه: هذا الموضوع أحرق فيه القسيس سسليوه. وهذا سسليوه كان هو الذي كتب الرق؛ وذلك أن النصارى كان عندهم في كتبهم خبر بموت سسليوه، وأنه كان من تلامذة سيدنا

(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ٢٣.

عيسى عليه السلام وأنه قتل على دينه، وأنه من الشهداء عندهم، ولا علموا موضعه^(١). (ولما فتشوا في الغار وجدوا بعض الأحجار معقودة فكسروها، ووجدوا في قلب كل حجر كتاباً وورقة من رصاص. وكل ورقة قدر كف اليد أو أقل قليلاً، وهي مكتوبة بالعربية)^(٢).

أمر الأسقف بترجمتها، وكان عددها اثنتين وعشرين، فوجدوا في إحدى رقائق الرصاص أنها تذكر الرق الذي وجدوه قبل سبع سنوات، فزاد حرصهم لمعرفة ما في الرق.

يذكر الحجري: أن واحداً من رقائق الرصاص هو كتاب (الحكم) للسيدة مريم عليه السلام، يتضمن مائة حكمة وحكمة. وقد حرص الحجري على تحقيق هذا الكتاب؛ فأفرد لترجمته عدة صفحات، كما نقل الرسوم والطلاسم المرسومة فيه.

ووجد في رقيقة أخرى كتاب (مواهب الثواب لعباد الله المؤمنين في حقيقة الإنجيل). ويضع الحجري نص ذلك الكتاب الذي يعزى تاريخه إلى عهد السيدة مريم عليه السلام أيضاً ملحقاً في نهاية كتابه (ناصر الدين). ويتحدث الكتاب عن حوار بين السيدة مريم عليه السلام وأحد الحواريين واسمه بيتر. ويتضمن الكتاب نبوءات حول ظهور النبي محمد ﷺ، وصفته وأخلاقه. ويبدو أن الحجري مؤمن بأن هذه الكتب قد كتبت فعلاً في عهد المسيح عليه السلام وأمه مريم عليه السلام دون أن يوضح مسألة استخدام اللغة العربية في إسبانيا في القرن الأول الميلادي، أي قبل ظهور الإسلام بستة قرون.



(١) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٧.

(٢) ناصر الدين على القوم الكافرين / ص ١٨.

روايات عبدالله بن مسعود

❦ اعداد: مهدي الهادي

هو أبو عبد الرحمن الهذلي عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمع بن هذيل، من أهل مكة، مات أبوه في الجاهلية، وأمه أم عبد بنت عبد ود بن سط بن هذيل أيضاً، أسملت وصحبت النبي ﷺ؛ فلذلك نسب إليها أحياناً.

كان أبو عبد الرحمن جليل القدر عظيم الشأن كبير المنزلة، قرأ القرآن الكريم وعلم السنة، وكان من الذين شهدوا جنازة (أبي ذر رضي الله عنه) وباشروا بتجهيزه. ويروى عن النبي ﷺ في الاستيعاب، أنه قال لنفر من أصحابه فيهم أبوزر: «ليموتن أحدكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين». وكان من المعروفين بولايتهم لأمير المؤمنين عليه السلام، وهم - عمار

وسلمان وأبوذر والمقداد وأبي بن كعب وابن مسعود، وهم من شهد الصلاة على فاطمة عليها السلام.

وقد توفي في المدينة سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، وصلى عليه الزبير بن العوام ودفن بالبقيع، وكان له نيف وستون سنة^(١).
وقد روي عنه الكثير من الروايات، نستل منها بعض ما رواه في العترة الطاهرة عليها السلام:

١ - عنه قال: إنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «من صلى صلاة لم يصل فيها على أهل بيتي لم تقبل منه»^(٢).

٢ - عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله كلم رجلاً فأرعد، فقال: «هَوْن عليك، فإني ليست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»^(٣).

٣ - وعنه قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله من سورة النساء؛ فلما بلغت هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، قال: ففاضت عيناه...^(٤)

٤ - وعنه أن النبي صلى الله عليه وآله نام على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله، لو اتخذت لك وطاءً، فقال: «مالي وما للدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب، استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»^(٥).

٥ - وعنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إذا تشهد أحدكم الصلاة فليقل: اللهم صل على محمد وآل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، وارحم محمدًا وآل محمد، كما صليت وباركت وترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٦).

(١) الكنى والألقاب، عباس القمي ج ١ ص ٢١٦.

(٢) مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٢.

(٣) تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٧٧.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٧٤.

(٥) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٦٠.

(٦) مستدرک الصحيحين ج ١ ص ٢٦٩.

- ٦- وعنه أن النبي ﷺ قال: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(١).
- ٧- وعنه أن النبي ﷺ قال: «خير رجالكم - علي بن أبي طالب - وخير شبابكم الحسن والحسين وخير نساكم فاطمة بنت محمد»^(٢).
- ٨- وعنه أن النبي ﷺ قال: «يا فاطمة، زوجتك سيداً في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين، يا فاطمة، لما أراد الله تعالى أن أملكك بعلي أمر الله جبريل فقام في السماء الرابعة فصَفَّ الملائكة صفوفاً، ثم خطب عليهم فزوجك من علي. ثم أمر الله شجر الجنان فحملت الحلي والحلل، ثم أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم شيئاً يومئذٍ أكثر مما أخذه غيره افتخر به الى يوم القيامة»^(٣).
- ٩- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر الى وجه علي عبادته»^(٤).
- ١٠- وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبني فليحب علياً، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل، ومن أبغض الله أدخله النار»^(٥).
- ١١- وعنه قال: رأيت رسول الله ﷺ آخذاً بيد علي فقال: «هذا وليي وأنا وليه، واليت من والاه وعاديت من عاداه»^(٦).
- ١٢- وعنه، أن النبي ﷺ قال: «قَسَمْتُ الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وعلي أعلم بالواحد منهم»^(٧).
- ١٣- وعنه، أن النبي ﷺ أتى منزل أم سلمة، فجاء علي رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين

(١) الطبراني: ٢٠١.

(٢) نور الأبصار ص ١٠٣.

(٣) حلية الأولياء ج ٥ ص ٥٩.

(٤) مستدرک الصحيحين ج ٢ ص ١٤١-١٤٢.

(٥) تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٢.

(٦) الدر المنثور، في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ﴾ من سورة محمد.

(٧) كنز العمال ج ٦ ص ١٥٤.

من بعدي»^(١).

١٤ - وعنه، أن النبي ﷺ قال: «إن فاطمة أحصنت فرجها، وإن الله أدخلها بإحسان فرجها وذريتها الجنة»^(٢).

١٥ - وعنه: أتينا رسول الله ﷺ فخرج إلينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه، فما سألناه عن شيء إلا أخبرنا به، ولا سكتنا إلا ابتدأنا، حتى مرّت فتية من بني هاشم فيهم الحسن والحسين ﷺ، فلما رأهم التزمهم وانهملت عيناه، فقلنا: يا رسول الله، ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه، فقال: «إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وأنّه سيقبّل أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد»^(٣).

١٦ - وعن ابن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «الأئمة من بعدي اثنا عشر، تسعة من صلب الحسين، والتاسع مهديهم»^(٤).

١٧ - وعنه أنّه قال: قال النبي ﷺ: «الخلفاء بعدي اثنا عشر كعدد نقباء بني إسرائيل»^(٥).

١٨ - وعنه أنّه قال: أنّ النبي ﷺ قال: إنّّه رأى مكتوباً على الباب السادس من الجنة هذه الكلمات: «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله»^(٦).



(١) كنز العمال ج ٦ ص ٣١٩.

(٢) كنز العمال ج ٦ ص ٢١٩.

(٣) مستدرک الصحيحین ج ٤ ص ٤٦٤.

(٤) كفاية الأثر: ص ٢٣.

(٥) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٤.

(٦) مستدرک الوسائل ج ٥ ص ٢٣١ الحديث ٥٧٧٣.

قصيدة:

آل محمد صلى الله عليه وآله

❁ الناشئ الصغير

❁ هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن الوصيف الناشئ الصغير
البغدادي



❁ ولد عام (٢٧١هـ) في بغداد في محلة باب الطاق.
❁ لُقّب بالناشئ، لأنه نشأ في فن الشعر، كما قال السمعاني في
الأنساب.

❁ يعدّ في طليعة فقهاء وعلماء ومتكلمي وشعراء عصره.
❁ روى عنه الإمام محمد بن محمد بن النعمان المفيد، كما روى عنه
ابن فارس. أما هو فيروي عن المبرّد وابن المعتزّ وغيره.
❁ قصد مصر واتصل بكافور الأخشيدي ومدحه.

* روى ابن خلكان أن الناشئ الصغير مضى إلى الكوفة سنة (٣٢٥هـ) وأملئ شعره بجامعها، وكان أبو الطيب المتنبي وهو صبي يحضر مجلسه ويكتب شعره.

* توفي عام (٣٦٥هـ) ودفن في مقابر قريش.

* في عام (٤٤٣هـ) حدثت الفتنة في بغداد فحُفِرَ قبره وأحرقت جثته.

آل محمد ﷺ

قال يمدح آل الرسول الكرام:

بِآلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ^(١)

وفي أبياتهم^(٢) نزل الكتابُ

هُمُ الْكَلِمَاتُ وَالْأَسْمَاءُ لَا حَتَّ

لِأَدَمَ حَتَّى عَزَّ لَهُ الْمَتَابُ^(٣)

وهم^(٤) حُجِّجُ الْإِلَهِ عَلَى الْبَرَايَا

بِهِمْ وَبِحُكْمِهِمْ لَا يُسْتَرَابُ^(٥)

بَقِيَّةُ ذِي^(٦) الْعُلَى وَفِرْعُ أَصْل

بِحَسَنِ بَيَانِهِمْ وَضُحِ الْخَطَابُ^(٧)

(١) الصواب: الأمر الصحيح، الحق.

(٢) أبياتهم: بيوتهم.

(٣) المتاب: التوبة، وفي البيت إشارة إلى الآية ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ وفي رواية هي أسماء آل البيت ﷺ.

(٤) الحجج: العلامات والبراهين، الدلائل.

(٥) يستراب: يكون موضع ريبة وشك.

(٦) ذي العلى: صفة من صفات الله تعالى، والبيت إشارة إلى الآية: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ الآية.

وَأَنْوَارٌ تُسْرَى فِي كُلِّ عَصْرٍ

لِإِرْشَادِ الْوَرَى^(٨) فَهُمْ شَهَابٌ^(٩)

ذُرَارِي^(١٠) أَحْمَدٍ وَبَنُو عَلِيٍّ

خَلِيفَتُهُ فَهُمْ لَبٌّ لُبَابٌ^(١١)

تَنَاهَوْا^(١٢) فِي نَهَايَةِ كُلِّ مَجْدٍ

فَطَهَّرْ خَلْقَهُمْ وَزَكَّوْا وَطَابَوْا^(١٣)

إِذَا مَا أَعْوَزَ^(١٤) الطَّلَابُ^(١٥) عِلْمٌ

وَلَمْ يَوْجَدْ فَعِنْدَهُمْ يُصَابُ^(١٦)

مَحَبَّتُهُمْ صَرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ

وَلَكِنْ فِي مَسَالِكِهِ عِقَابٌ

وَلَا سِيَّماً أَبُوحَسَنِ عَلِيٍّ

لَهُ فِي الْحَرْبِ مَرْتَبَةٌ^(١٧) تُهَابٌ^(١٨)

(٧) الخطاب: القرآن.

(٨) الورى: العالم، والأمم.

(٩) شهاب: النيزك الذي ينير في الظلماء.

(١٠) ذراري: جمع ذرية وهم الأبناء.

(١١) لباب: صافي.

(١٢) تناهوا: بلغوا ووصلوا.

(١٣) طهروا وزكوا وطابوا: مترادفات بمعنى واحد.

(١٤) أعوز: أصبح منه في عوز وحاجة.

(١٥) الطلاب: جمع طالب وهو من يسأل ويطلب.

(١٦) يُصَاب: يُثَال.

(١٧) مرتبة: منزلة ومكانة.

(١٨) تُهَابٌ: تُخَشِنُ وَيُخَافُ مِنْهَا.

كَأَنَّ سَنَانَ ذَابِلَهُ ^(١) ضَمِيرٌ
فَلَيْسَ عَنِ الْقُلُوبِ لَهُ ذَهَابٌ
وَصَّارُمُهُ كَبَيْعَتِهِ بِخُمٍ
مُعَاقِدُهَا مِنَ الْقَوْمِ الرِّقَابُ ^(٢)
عَلِيٌّ الدَّرُّ ^(٣) وَالذَّهَبُ الْمَصْفَى
وَبَاقِي النَّاسِ كُلُّهُمْ تُرَابٌ
إِذَا لَمْ تَكْبِرْ مِنْ أَعْدَا ^(٤) عَلِيٍّ
فَمَا لَكَ فِي مُحَبَّتِهِ ثَوَابٌ
إِذَا نَادَتْ صَوَارُمُهُ نَفُوساً
فَلَيْسَ لَهَا سِوَا نَعَمٍ جَوَابٌ
فَبَيْنَ سَنَانِهِ وَالدَّرْعِ سَلَمٌ ^(٥)
وَبَيْنَ الْبَيْضِ وَالْبَيْضِ ^(٦) اصْطِحَابٌ

(١) سنان ذابله: رأس رمحه، وفي البيت كناية جميلة أي أن رمحه مكانه دائماً قلوب أعدائه، كما أن الضمير محله القلب.

(٢) في البيت وصف رائع، يقول: إن سيفه عُقِدَ في رقاب أعدائه كاعتقاد بيعته يوم الغدير بـرقاب المسلمين.

(٣) الدر: نوع من الأحجار الكريمة.

(٤) أعداء: أعداء، أراد أن التبري من أعداء الله لابد أن يواكب التولي لأوليائه.

(٥) يريد أن يقول: إن رمحه متصل دائماً بدروع أعدائه لا يفارقها، وإن سيوفه ورقاب أعدائه مصطحبة دائماً.

(٦) البيض: الرقاب.

هو البكاء^(١) في المحراب ليلاً
هو الضحك^(٢) إن جدد الضراب^(٣)
ومن في خفه^(٤) طرَح الأعادي
حُبَاباً^(٥) في الصعيد^(٦) له انسياب^(٧)
ومن ناجاه ثعبانٌ عظيمٌ
بباب الطَّهر ألقته السحابُ
رأه الناس فأنجفلوا^(٨) برعب
وأغلقت المسالك^(٩) والرحاب^(١٠)
فلمَّا أن دنا منه عليٌّ
تداني الناس واستولى العُجاب^(١١)

(١) البكاء: الكثير البكاء من خشية الله تعالى.

(٢) الضحك: الذي يستبشر بالحرب ويبتسم لها.

(٣) الضراب: قراع السيوف مع بعضها.

(٤) خفه: نعاله.

(٥) حباب: افعى.

(٦) الصعيد: التراب.

(٧) انسياب: الزحف ببطء، وانساب: تدافع.

(٨) أنجفلوا: هربوا مسرعين خوفاً.

(٩) المسالك: الدروب.

(١٠) الرحاب: جمع رحبة وهي الساحة.

(١١) العُجاب: التعجب.

فكلّمه عليّ مُستطيلاً^(١)
 وأقبل لا يخاف ولا يهابُ
 ودنّ^(٢) لحاجر^(٣) وانساب فيه
 وقال وقد تغيّبه^(٤) الترابُ
 أنا ملكٌ مُسخت وأنت مولى^(٥)
 دُعَاؤُكَ إِن مَنَنْتَ بِهِ يُجَابُ
 أَتَيْتَكَ تَائِباً فاشفع إلى مَنْ
 إليه في مهاجرتي^(٦) الإيابُ^(٧)
 فأقبل داعياً وأتى أخوه
 يُؤمّن والعيون لها انسكابُ
 فلمّا أن أجيباً ظلّ يعلو
 كما يعلو لدى الجدّ العُقَابُ^(٨)

(١) مستطيلاً: مقتدراً، وهو من الطول أي القدرة.

(٢) دنّ: دنا وقرب.

(٣) الحاجر: الأرض المرتفعة ووسطها منخفض.

(٤) تغيّبه: أخفاه.

(٥) المولى: السيد المطاع وهي من الأضداد، والمولى: العبد.

(٦) مهاجرتي: سفري.

(٧) الإياب: الرجوع.

(٨) العقاب: طائر من الجوارح قوي الجناحين.

وَأَنْبَتَ رِيشَ طَاوُوسٍ عَلَيْهِ

جَوَاهِرَ زَانِهَاتِ التَّيْبَرِ^(١) الْمَذَابُ

يَقُولُ لَقَدْ نَجَوْتُ بِأَهْلِ بَيْتٍ

بِهِمْ يُصَلَّى لَظِي^(٢) وَبِهِمْ يُثَابُ

هُمْ النَّبَأُ الْعَظِيمُ^(٣) وَفُلُكُ^(٤) نُوحٍ

وَبَابُ^(٥) اللَّهِ وَانْقَطَعَ الْخَطَابُ

(١) التبر: الذهب.

(٢) لظي: جهنم.

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن النبأ العظيم.

(٤) فلك نوح: سفينة نوح التي نجا من ركبها وغرق من تركها.

(٥) باب الله: هم أقرب بشر إلى الله تعالى.

أدب
في رهاب الثقلين

قصيدة:

بنو هاشم رهط النبي ﷺ

الكهيت بن زيد الأسدي

قالها في أهل البيت عليهم السلام وهي تربو على المئة وأربعين بيتاً



ومنها:

طَرِبْتُ^(١) وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبَيْضِ^(٢) أَطَرَبُ

وَلَا لَعِباً مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ

(١) الطرب: خفة الروح.

(٢) البيض: النساء الحسنات.

وَلَمْ يُلْهِنِي ^(١) دَارٌ وَلَا رَسْمٌ ^(٢) مَنَزِلٌ
وَلَمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ ^(٣) مُخَضَّبٌ ^(٤)
وَلَكِنِ إِلَى أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْتَهَى ^(٥)
وَخَيْرِ بَنِي حَوَاءَ وَالْخَيْرِ يُطَلَّبُ
إِلَى النَّفَرِ الْبَيْضِ ^(٦) الَّذِينَ يَحُبُّهُمْ
إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَالَنِي أَتَقَرَّبُ
بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنِّي
بِهِمْ وَلَهُمْ أَزْضَى مِرَاراً وَأَغْضَبُ
خَفَضْتُ لَهُمْ مِنِّي جَنَاحِي مَوَدَّةً ^(٧)
إِلَى كَنَفٍ ^(٨) عِطْفَاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ
فَمَا سَاءَ نِي قَوْلِ امْرِئٍ ذِي عَدَاوَةٍ
بِعُورَاءٍ ^(٩) فِيهِمْ يَجْتَدِينِي ^(١٠) فَأَجْذَبُ ^(١١)
بِأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ
تَرَى حُبَّهُمْ عَاراً عَلَيَّ وَتَحْسِبُ؟

(١) يلهني: يشغلني.

(٢) رسم، والجمع رسوم: بقايا المنازل.

(٣) البنان: الأصبع.

(٤) مخضب: ملون بالحناء.

(٥) النهى: العقول.

(٦) النفر البيض: القوم الطاهرون، الأنقياء.

(٧) أي أصبحت لهم ذليلاً حباً ومودة لهم.

(٨) كنف: الجانب، الناحية، وكنف الإنسان حضنه.

(٩) العوراء: الخصلة السيئة.

(١٠) يجتدي: يطلب حاجة.

(١١) أجذب: امنع.

يُشِيرُونَ بِالْأَيْدِي إِلَيَّ وَقَوْلُهُمْ
 أَلَا خَابَ^(١) هَذَا وَالْمَشِيرُونَ أَخْبِئْ
 فَمَا سَاءَ نِي تَكْفِيرُ هَاتِيكَ مِنْهُمْ^(٢)
 وَلَا عَيْبُ هَاتِيكَ الَّتِي هِيَ أَعْيَبُ
 وَقَالُوا تُرَابِي^(٣) هَوَاهُ وَرَأَيْتُهُ
 بِذَلِكَ أَدْعَى فِيهِمْ وَأَلْقَبُ
 وَجَدْنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيمٍ^(٤) آيَةً
 تَأْوَلُهَا^(٥) مِنَّا تَقِيٍّ وَمُعْرِبٍ^(٦)
 حَيَاتُكَ كَانَتْ مَجْدَنَا^(٧) وَسَنَاءَنَا^(٨)
 وَمَوْتُكَ جَذَعُ^(٩) لِلْعَرَانِينَ^(١٠) مُوَعِبٍ^(١١)
 وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ
 وَنُعْتَبُ^(١٢) لَوْ كُنَّا عَلَى الْحَقِّ نُعْتَبُ

(١) خاب: خسر.

(٢) أي لم تسؤني اليد التي ترميني بالكفر، ولا التي ترميني بالعيب لأنها أكثر عيباً مني.

(٣) ترابي: نسبة إلى أبي تراب، وهي كنية للإمام علي عليه السلام، كناه بها رسول الله ﷺ.

(٤) آل حاميم: السورة التي تبدأ بـ (حم) والمقصود بها هنا سورة الشورى إشارة إلى قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

(٥) تأولها: فسرّها، بيّن تأويلها.

(٦) المعرب: أعرب الرجل تكلم بالفحش والقبيح.

(٧) المجد: العظمة والرفعة.

(٨) السناء: الضوء.

(٩) الجذع: قطع طرف الأنف.

(١٠) العرانيين: الأنوف.

(١١) موعب: مستوعب، شامل.

(١٢) نعتب: نعطي الحق في العتب علينا.

إِذَا شَرَعُوا يَوْمًا عَلَى الْغَيِّ ^(١) فَسْتَنَّتْ
 طَرِيقَهُمْ فِيهَا عَنِ الْحَقِّ أَنْكَبُ ^(٢)
 رَضُوا بِخِلَافِ الْمُهْتَدِينَ وَفِيهِمْ
 مُخْبَأَةٌ أُخْرَى تُصَانُ وَتُحْجَبُ
 قَتِيلُ التَّجُوبِيِّ الَّذِي اسْتَوَارَتْ ^(٣) بِهِ
 يُسَاقُ بِهِ سَوْقًا عَنِيفًا وَيُجَنَّبُ ^(٤)
 مَحَاسِنُ مِنْ دُنْيَا وَدِينٍ كَانَمَا
 بِهَا حَلَّقَتْ بِالْأُمْسِ عَنَقَاءُ مُغْرَبُ ^(٥)
 فَسَنِعَمَ طَبِيبُ الدَّاءِ مَنْ أَمَرَ أُمَّةً
 تَوَاكَلَهَا ^(٦) ذُو الطَّبِّ ^(٧) وَالْمُتَطَبِّ
 وَنِعَمَ وَلِيُّ الْأَمْرِ ^(٨) بَعْدَ وَلِيِّهِ ^(٩)
 وَمُنْتَجِعُ ^(١٠) التَّقْوَى وَنِعَمَ الْمُؤَدِّبُ

(١) الغي: الضلال.

(٢) انكب: أبعد.

(٣) استوارت: نفرت وهربت إلى الجبال.

(٤) يجنب: يُبعد.

(٥) حلقت بها عنقاء مغرب: مثل للشيء الذي مرّ سريعاً وكأنه لم يكن.

(٦) تواكلها: تركها ولم يعنها.

(٧) ذو الطب: الطبيب الحاذق.

(٨) المراد به الإمام علي عليه السلام.

(٩) وليه: يقصد رسول الله ﷺ الذي هو ولي أمير المؤمنين عليه السلام.

(١٠) المنتجع: المكان الذي يقصده الناس للكأ.

سَقَى جَرَعَ^(١) الْمَوْتِ ابْنَ عُثْمَانَ^(٢) بَعْدَمَا
تَعَاوَرَهَا مِنْهُ وَلِيدٌ^(٣) وَمَرْحَبٌ^(٤)
وَشَيْبَةٌ^(٥) قَدْ أَثْوَى بِبَدْرِ يَنْوُشُهُ^(٦)
غُدَافٌ^(٧) مِنَ الشُّهْبِ الْقَشَاعِمِ^(٨) أَهْدَبُ^(٩)
لَهُ عُودٌ^(١٠) لَا رَأْفَةَ يَكْتَنِفُهُ^(١١)
وَلَا شَفَقًا^(١٢) مِنْهَا خَوَامِعُ^(١٣) تَعْتِبُ
لَهُ سُتْرَتَا^(١٤) بَسِطٍ فَكَفُّ بِهَذِهِ
يَكُفُّ وَبِالْأُخْرَى الْعَوَالِي^(١٥) تَخْضَبُ



-
- (١) جُرْع: جمع جرعة - سكرات الموت.
(٢) ابن عثمان: ابن الخليفة الثالث الذي قتل في صفين مع معاوية بن أبي سفيان.
(٣) الوليد بن عتبة الذي قتل في بدر بسيف الإمام علي عليه السلام.
(٤) مرحب: هو صاحب حصن اليهود في خيبر وقائد من قادتهم الكبار قتله الإمام علي عليه السلام في معركة خيبر.
(٥) شيبه أخو عتبة، وهما من قتل بدر بسيف علي عليه السلام.
(٦) ينوش: يفترس.
(٧) غداف: اللون.
(٨) القشع: النسر.
(٩) أهدب: كثيف الريش.
(١٠) العود: الزوار.
(١١) يكتنفه: يحيط به.
(١٢) الشفق: الشفقة والرحمة.
(١٣) الخوامع: جمع خامعة وهي الضباع.
(١٤) السترة: الترس.
(١٥) العوالي: الرماح.

قصيدة: يوم الغدير

✽ السيد محمد جمال الهاشمي*

أنشريه على الزمان لواءاً واخطري في ظلاله خيلاء
وتباهي بذكره فهو فجرٌ يغمر الدهر روعة وبهاء
وأعيديه للولاية عيداً يملأ الكون بهجة وهناء
لا تقيسي به سواه، فإن الشمس يخفي شعاعها الأضواء
إنه مولد الحقيقة، والحق عقيم، لم يعرف الأبناء
إنه عودة الحياة لدنيا قد تلاشت آثارها إعياء
إنه الغاية التي جهز الدين إليها الكتيبة الشهباء

(*) نُظِّمْتُ هذه القصيدة في ذي الحجة عام ١٣٧٢ هـ . ق .

خَتَمَ الوحي باسمه عهده الزاهي على الأرض واستقلَّ السماء
كشف السرَّ للقلوب وغَدَّى بِالْخُلُودِ الْعُقُولَ وَالْآرَاءَ
وأراها أَنَّ النُّبُوَّةَ مَعْنَى قَدْ تَجَلَّى يَوْمَ الْغَدِيرِ أَدَاءَ



جَدَدِيهِ فِيهِ تَارِيخُكَ الْجَبَّارَ مَا زَالَ فَجَرُهُ وَضَاءَ
وَأَمِيطِي عَنِ التُّهَى حُجُبَ الْجَهْلِ وَبِالْحُبِّ مَزَقِي الْبَغْضَاءَ
وَدَعِي الْعِلْمَ كِي يَحْلُقَ بِالنُّورِ لِيَزْدَادَ خِبْرَةً وَاهْتِدَاءَ
وَاتْرَكِي الْفِكْرَ كِي يُحْطَمَ أَغْلَالُ التَّقَالِيدِ عَزْمَةً وَمَضَاءَ
فَتَحِ الْوَعْيَ كُلَّ عَيْنٍ، وَمَا زِلْنَا نُزَكِّي الدَّهْرَ الْخَوُونَ عَمَاءَ
سَائِلِي الدِّينَ عَنْ حَقِيقَتِهِ كِي يَكْسِبَ الْفِكْرَ مِنْ سَنَاهَا ذِكَاءَ
أَلْكِي يَحْكُمَ الْجَمَاهِيرَ فَرْدٌ لَمْ يَفْقَهَا ثِقَافَةٌ وَعَلَاءَ
أَمْ لَكِي يَهْتَدِي بِسِيرَتِهِ التَّارِيخُ إِنَّ زَلَّ فِي الْحَيَاةِ التَّسَوَاءَ
وَهَلِ الدِّينُ غَايَةٌ أَوْ طَرِيقٌ نَتَوَخَّئُ بِهِ عُلَاءً أَوْ ثَرَاءَ
أَفْتَعُطِي لَخَائِفِ سُلْطَةِ الْجَيْشِ وَفِيهِ قَرْمٌ يَفِيضُ فَتَاءَ
أَفْتَلْقِي زِمَامَ بَيْتِكَ يَوْمًا لِلَّذِي لَمْ تَثْقُ بِهِ آرَاءَ
كَيْفَ تَرْضَى بَأَنَّ يَدْبُرَ دُنْيَا الدِّينِ مَنْ لَا تَحْدَهُ أَخْطَاءَ
يَتَعَالَى بِفَلْتَةٍ لِمَقَامٍ يَبْعَثُ اللَّهُ نَحْوَهُ الْأَنْبِيَاءَ



احْتَفِي بِالْحَيَاةِ فِيهِ، فِيهِ ضَجَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ احْتِفَاءً
هُوَ عَيْدُ الْوُجُودِ أَضْفَى عَلَيْهِ لَطْفَهُ اللَّهُ رَحْمَةً وَأَفَاءَ
أَنْشَأَ الْكَوْنَ لِلْكَمَالِ وَفِيهِ أَكْمَلَ اللَّهُ دَوْرَهُ إِنْشَاءً

سار يطوي الأجيال ظمآن حتّى عَبَّ من منهل الغدير ارتواء
منطق تجهل المقاييسُ معناه فترتدُّ حَيرةً وَعِياء
لغةُ الرّوح لا تعيها سوى الرّوح فخلَّ الإنشاء والإملاء
بشرٌ يخزُق الحِجاب وتجتاز قواه الآفاق والأجواء
فهو يحيي الموتى ويستنطق الصخر ويُسجري أو يُمسك الأنواء
هو فوق الحياة والموت فترك عنك هذي الطبيعة الخرساء
إنّ ما كان للنبيّ من السلطة قد حازها الوصيُّ اقتضاء
ليس يُهدى تاجُ الولاية إلّا لجبّينٍ يزيدُه لآلاء
لحياة ما دُبّست بآثام لوجود مُقدّسٍ آلاء
كَرّم الله وجهه عن سجود لسواه تذلّلاً واختذاء
لم ترعه الهيّاء، والموت بالأهوال يطوى وينشر الهيّاء
ما نبا السيْفُ في يديه، ولم ينشر لغير الفتح المبين اللواء
كلُّ آماله تروع جلالاً كلُّ أعماله تشعُّ رِواء
فمن الحقّ جاء للخلق يهديه الى الحقِّ خيفةً ورجاء
أَسِواه يليق بالأمرّة الكبرى أتلقى لشخصه نظراء؟



أعرضيه على المجامع تاريخاً يُثير الكُتّاب والشعراء
واسألِي المجلس الذي أنكر الحقَّ وقد كان كالصباح جلاء
ويّ، لماذا لم يطرح الحكم للتحقيق بحثاً، وللدليل قضاء
لو تصدّى الى الشهود، لألفى أن منها الرئيس والأعضاء
عشراتٌ من الأُلو فحواه مجلس زاده الجلالُ بهاء

يَوْمَ عادِ النَّبِيِّ مِنْ حَجَّةِ الْأَكْبَرِ
فَإِذَا الْوَحْيُ يَقْطَعُ السِّرْكَ يَلْقَى
فِي مَكَانٍ هِيَاتٍ يَنْسَى حُدُوداً
فِي غَدِيرٍ يَشْفَى عَنْ قَعْرِهِ الْمَاءُ
فَهَنَّاكَ ارْتَقَى عَلَى مَنْبَرِ الْأَحْدَاثِ
وَدَعَا بَابِنَ عَمَّةٍ فَاتَّاهُ
فَرَأَى الْحَشْدَ وَحْدَةَ الْفَجْرِ وَالنُّورِ
وَتَجَلَّى الشُّهُودُ إِلَّا لَعِينِ
وَتَعَالَى بِهِ بِهِ عَلَى الْأَصْحَابِ
وَإِذَا الْوَحْيُ مَشْهُدٌ يَهْتَكُ الْكِيدَ
يَطْوِي بِرُكْبِهِ الصَّحْرَاءَ
عَلَيْهِ رِسَالَةٌ غَرَّاءُ
وَزَمَانٍ هِيَاتٍ يَنْسَى صَفَاءَ
وَفَصْلٍ بِالْحَرِّ يَصْلِي الْهَوَاءَ
وَالْحَشْدُ مُرْهَبٌ إِصْغَاءُ
وَعَلَيْهِ يَضْفِي الْجَلالَ رِداءُ
وَضَاعَ الْحِجْنُ هَنَّاكَ هَبَاءُ
تَرْكُهَا أَحْقَادُهَا عَمِيَاءُ
حُكْمًا وَفَارَقَ الْأَصْفِيَاءَ
وَيَجْلِي بِنُورِهِ الظُّلُمَاءَ



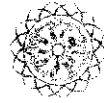
التأله الأميركي في العالم

كيف نفهم المرحلة الاستعمارية الثالثة؟

✽ محمد الفطابي (المغرب)

هل استلهم الشاعر العراقي الأصل أحمد مطر الحكمة القرآنية

حين تحدث عن لحظة تولي رئيس الإدارة الأمريكية الحالية



جورج بوش (٢٠٠٠) الحكم بقوله:

أهذا الغبي الصفيق البليد...إله جديد؟!

كان اختياراً ينم عن حساسية بالغة أدرك به الشاعر أحمد مطر

جوهر ما تحاول إدارة الرئيس الأمريكي الحالي فعله، والذي ربما

مثل نموذجاً لسلوك عدد كبير من الإدارة الأمريكية المتتالية؛ التي

أزاحت مفهوم الإله من مركز حياة البشر؛ محاولة أن تصوغ محله

مركزاً جديداً متمثلاً في القوة الأكبر من حيث القدرة الاقتصادية في العالم، والأقوى من حيث امتلاك الأسلحة على مستويات متعددة كمّاً ونوعاً، والأكثر بريقاً على الصعيد الإعلامي لامتلاكها أكثر وسائل الإعلام جاذبية وتأثيراً وفعالية في السيطرة على الوجدان العالمي، ومحاولة تغييره باتجاه التوافق مع المصالح التي يحددها ممولوا هذه الوسائل الإعلامية. هذا ناهيك عن التقدم التقني العالي الذي يغذي سائر صور وركائز القوة الأمريكية.

استعارة إدراكية صادقة

هل تتأله الولايات المتحدة فعلاً؟ أو على الأقل: هل تتأله الإدارة الأمريكية الحالية؟

الدلائل من حولنا تشير الى أن أمريكا لم تكتف بدور الشرطي في العالم على نحو ما أفادته الكتابات التي حاولت مناقشة المفهوم الذي طرحه الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب، وحاولت أن تصوع لنفسها دوراً أكثر تمداً على اعتبار أن حالة السيولة التي كان العالم يعانيها عقب انهيار الاتحاد السوفيتي الغابر لابد من استثمارها لتحقيق طفرة نوعية في امتلاك مقدرات العالم. فسعت نحو هذا التمدد لدرجة أن الناظر لوضعية العالم الآن يخيّل إليه أن الولايات المتحدة صارت إله هذا العالم. كيف؟ هذا الوضع هو ما نحاول توصيفه عبر هذه الاستعارة الإدراكية السريعة.

التأله لغة

في لسان العرب: الإله هو الله وكل ما اتخذ من دونه معبوداً إله عند متخذه، والجمع آلِهَةٌ، والآلهة، والأصنام، سمّوا بذلك (أي آلهة) لاعتقاد الناس أن العبادة تحقّق لها. وقد سمت العرب الشمس لمّا عبدوها إلهةً، والآليهة والآلاهة والآلاهة والآلهة.

والإلاهة والألوهة والألوهية العبادة. وقد قرئ: ﴿وَيَذْرُكُ وَالْهَتَكَ﴾^(١)، وقرأها ابن عباس: ﴿وَيَذْرُكُ وَالْهَتَكَ﴾ بكسر الهمزة أي وعبادتك. والتأله التنسك والتعبّد. والتأليه التعبيد. والإلاهة الحيّة العظيمة.

أما في محيط المحيط؛ فالمصدر إله ياله إلاهة وألوهة وألوهية: عبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس: ﴿وَيَذْرُكُ وَالْهَتَكَ﴾. وتأله: تعبّد وتنسك وتكلّف الإلهية وصار إلهاً.

وفي الوسيط؛ تأله: تنسك وتعبّد. وادّعى الألوهية.

ومن خلال تفعيل علم اللغة يتضح أن معنى التأله (الذي أتى على صيغة الافتعال التي تقيد التكلف الطلبي) هو طلب المرء أن يكون كالإله (الله) مفزوعاً إليه ملجئاً إليه مطلوباً منه... الخ، وذلك منازعة لله في خصائصه التي تفرد بها؛ فهو أن اسم (الله) لا يجوز فيه (الإله)، وأنه سبحانه تفرد بهذا الاسم لا يشركه فيه غيره، فإذا قيل الإلاه (الإله) انطلق على الله سبحانه وعلى ما يُعبد من الأصنام، وإذا قلت (الله) لم ينطلق إلّا عليه سبحانه وتعالى.

إنّ هذه التركيبية اللغوية المحضة تدفعنا لمزيد بحث حول الدلالة الاجتماعية الثقافية لحالة التأله، في إطار السعي لتوثيق علاقة هذا الدال

بمدلوله السياسي الذي تعاني منه أمتنا؛ لنعرف ما الذي جعل بعض المراقبين للسلوك الأمريكي يستخدمون هذا التعبير.

فالله هو الذي خلق الإنسان، وهو به عالم خبير، وعليه شقوق وحان، وكلا التركيبين، العلم والرحمة، محدّدان لسلوك الإله مع هذا الإنسان، ومحك لقياس مواعمة وملائمة المنهج الذي ارتضاه له.

وفي أواسط القرن المنصرم، القرن العشرين، كتب عدد كبير من المفكرين والمصلحين الإسلاميين: أن ثمة علاقة وثيقة بين الخلق وبين منهج الحياة، وأن من خلق الإنسان كان عليماً بما يصلحه، فاختر له جملة من الأوامر والنواهي، والمندوبات والمحاذير، جعل في التزامه بها صلاحه، وفي انحرافه عنها الاضطراب كل الاضطراب.

كانت ملامح هذا المنهج إذن هي ذلك الاتجاه التشريعي لوضع خطوط عريضة عامة، تمثل مفردات هيكل الحياة الذي يجب أن تسير فيه حياة المسلم كفرد ومجتمع وأمة. وقد عمد القرآن، كتاب الله الحاوي لملامح هذا المنهج الى توفير أساسين مهمين، بالاضافة لبعض الملامح الاجرائية والاجتماعية التي تضمن تطبيق هذا المنهج وسيرورته السرمدية بصورة دائمة.

الأساس الأخلاقي لألوهية الله

كان من المهم في تأسيس هذا المنهج أن ينبني على مجموعة من الأخلاقيات العامة والخاصة التي تتولى ربط المسلم في حياته العامة والخاصة برباط الله. هذه الأسس الأخلاقية، كما رأى المفكرون الإسلاميون، كانت تستهدف الحفاظ على ذلك الرابط اليومي بين منهج

الحياة وبين الفرد؛ بحيث يظل المسلم على علم ويقين دائم بأن هذا المنهج ذو وظيفة حياتية وليست روحية فقط، وأن الهدف من الارتباط بهذا الدين حملهُ الى الآفاق الاجتماعية الوثيقة. وكان الأساس الأخلاقي مرتبة تمثل المرحلة التأسيسية لممارسة هذا المنهج على المستوى التشريعي المؤسسي الملزم.

الأساس العبادي

استهدف هذا الأساس ربط حياة المسلم بخالقه؛ لتظل تلك الوشيحة حاضرة في حياة المسلم خمس مرات كل يوم، ومرة في كل عام لكل الزكاة والصوم، ومرة ذات عمق أكبر في ممارسة شعيرة الحج. وكانت هذه الأسس تحاول التأكيد على مفهوم العبودية لله، باتجاه تدشين المنهج في الحياة. فالفرد المسلم على هذه العلاقة الوطيدة بإلهه، منه يتلقى الأوامر والنواهي، وإليه يتجه بكل أفعاله وأقواله، وحتى حالات انعدام الفعل هي التزام لتلك النواهي التي حدد الله ضرورة الانتهاء عنها. وكان الاتجاه الأخلاقي مستوى التزام ذاتياً، مثل أولى درجات السلم لحضور الشريعة في حياة المسلم. ولكن تبع ذلك بعض العمليات الاجرائية والاجتماعية والنفسية.

الثواب والعقاب

كان الثواب والعقاب أحد أهم أركان تحقق هذا المنهج كنظام حياة. وهو الذي أسس للحقبة السالفة من الفكر الحركي الإسلامي، وصبغه بصبغة السياسي.

فالحديث عن الركن الأخلاقي في ممارسة المسلم الحياتية هو حديث عن سلوك غير ملزم في غالب الأحيان بموجب القانون المنبثق من الشريعة، لكنه كان ضابطاً مهماً من ضوابط ممارسة الحياة بتفاصيلها، وربما تحول الى شكل مؤسسي حين أخذ العلماء يدشنون للنظام العملي للشريعة استناداً للأساس الأخلاقي، فما كانت التقوى أحد معايير القياس في الشريعة إلا بمقدار ما حاول بعض الفقهاء الاستناد إليها في تقرير بعض الأحوال مثل عدالة الشهود، أو نقل الأخبار وتوثيقها.

ولكن ما أرسته الشريعة من نظم جزائية كانت المفتاح لاثبات ضرورة التحرك لغد، وهذه النظم قوانين رسمية تطبق على معاملات الأفراد، وتحكم علاقة هؤلاء الأفراد بحكومتهم وبيعضهم البعض. ولهذا اصطبغت الحركة الإسلامية طوال القرن العشرين بالصبغة السياسية؛ إذ كان شعارها رفع المنهج لمستوى التطبيق القومي بعدما ابتعدت الأمة عن تطبيقه، وما حاق بها إثر ذلك من انحراف ثم ضعة.

نحن وهم، المؤمنون وغيرهم

حاول البعض شرح أهم ملامح المنهج الذي أمر به الله من خلال مدخل الولاء والبراء، وتأسيسه على قاعدة الإيمان؛ وذلك حال أي منهج حياة يراد تطبيقه.

إن تأسيس القاعدة الاجتماعية العقائدية (الولاء والبراء) مثلت أحد أهم عوامل الفرز التي صاغت الشريعة لتنتج ذلك الرباط القوي الذي ربط بين المسلمين عبر حدي الزمان والمكان، وكان تعبير القرآن ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الى اشارة للأخوة عبر الزمان، وكان تعبيره: ﴿وَلَوْلَا

رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُُمْ ۖ فِي إِشَارَةٍ لِّهَذِهِ الْأَخْوَةِ عبر المكان.

ويشير الباحثون في علم الاجتماع السياسي الى أن أحد أهم ملامح الفكر الثوري الوضعي بصفة عامة تبلور فكرة «نحن وهم»، في إشارة لتمايز فكري يلفّ المؤمنين بمنهج ما في مواجهة كل من لا يؤمن به. ربّما هنا نتحدث حديثاً قد ينظر إليه علماء الأصول بعين الفحص العميق، لكن من وجهة نظرنا هو الحاكم لحركة الشريعة في الواقع الأرضي.

المفهوم الأساسي الذي نقصده هو: مركزية حضور الله في حياة البشر. الله هو الرحمن الرحيم، وهو المنعم وهو الحكيم الخبير... الخ. وهذه الأسماء، وما يرتبط بها من موضوعات هي المستهدف تحقيقها في حياة البشر جميعاً في اطار علاقتهم ببعضهم البعض. ويمكن لنا أن نقيس على هذه المزاوجة كل اسم من أسماء الله تعالى، وفي ذلك الموضوع كتبت مؤلفات عدة، تتناول المباشرة الحياتية لمعاني ودلالات أسماء الله الحسنى.

لقد كان الفكر المستبطن لدى المفكرين الإسلاميين أن الحاكمية تقي البشر عموماً من تسلّط الأفراد والجماعات والطبقات على التشريعات التي تمسّ حياة آلاف الملايين من البشر.

ككيف يكون التشريع حين تتسلط الطبقات الغنية عليه؟ وكيف يكون إذا تسلطت الطبقات الفقيرة عليه؟ وكيف يكون التشريع إذا تسلط عليه حاكم فرد مستبد ضعيف النفس؟ هذا الأمر جربت البشرية ويلات طيلة حياتها، والتاريخ حافل بالنماذج إن كان الواقع لا يشفي غليل المتعطش للنماذج والأمثلة.

هكذا كان المقصد الأساسي للشريعة أن يكون الله تعالى هو المركز في تأسيس النظر الى حياة البشر (خلق الله)، لأن تكون طبقة بعينها، أو نخبة بعينها، أو حاكم مستبد، أو حتى دولة تدعي لنفسها حق حكم العالم والتسلط عليه.

الادارة الأمريكية.. الإله الجديد!

إذا كنا قد اتفقنا على أن ألوهية الله تعالى تعني أن يكون الله تعالى في مركز أي منظومة معرفية وحياتية تحاول الاقتراب من الظاهرة الإنسانية وهندستها وفق مفاهيم التراحم والعدل، فإن أي محاولة لنزع الله عن هذا المركز هي محاولة لتبوء رتبة الألوهية.

لقد حاولت بعض التيارات المغالية ضمن جسد الحركة الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين أن تصف الحكام العرب بالكفر استناداً لرغبتهم في التشريع للجماهير والشعوب العربية والإسلامية، ومن ثم وصفتهم بصفات الفرعونية، ومن بينها محاولة التأله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾^(١)

وبصرف النظر عن هذه الرؤية التي تراجع عنها أصحابها فيها عرف باسم حركة المراجعة في أوساط الحركات الإسلامية المغالية.. بصرف النظر عن هذه الرؤية نجد أن ممارسات بعض الإدارات الأمريكية الحاكمة تمثل لحظات تجلٍ لنموذج احلال الذات الثقافية العلمانية محل الإله، فنحن الآن بين يدي تأله علماني. هذا المصطلح قد يثير عجب البعض، لكن يمكن مناقشته تالياً.

الرؤى المادية والرؤى الدينية

العلاقة بين الرؤى المادية والألوهية ليست من وجهة نظري محاولة لإبعاد رجال الدين عن الحكم. فنموذج التفكير المادي محاولة لإبعاد القيم المطلقة المنافية للاعتبارات المصلحية عن مركز تأسيس العلاقات الإنسانية. فالحياة الدنيا ليست سوى علاقات اجتماعية مركبة أو بسيطة.

فعندما تتأسس علاقة بسيطة بين شخصين يمكن أن يكون مركزها قيمة مطلقة، أو قيمة نسبية، ولننظر الى العلاقة الزوجية. فتأسس هذه العلاقة إنما هو على القيم المطلقة، سواء أكانت القيم الدينية، أو القيم الإنسانية التي تضل الطريق عن التأسيس الديني، سنجد أن قيماً كالوفاء والتراحم والحب تحمي هذه العلاقة، وتصون بقاءها، وتضمن استمرارها. أما لو تأسست على اعتبارات مادية كتكلفة العلاقة؛ فستصير بدائل لأخلاقية كالدعارة والزنا والمثلية ربّما أوفر من جهة النفقات، ولصارت ظواهر الأمومة والأبوة ظواهر غير مجدية اقتصادياً، انظر لبشاعة هذه الحالات المتطرفة من احلال القيم النسبية محل القيم المطلقة.

وأظن أن القارئ يمكنه تعميم النظرة هذه لتطول العلاقات الاستثمارية الضخمة، التي يستعد فيها المستثمر للتضحية بأرواح آلاف المستهلكين طالما أن ذلك يعود عليه بالربح، ولعل تجارات المخدرات والسلاح وغيرها من الحالات النماذجية أصدق تعبير متطرف عن هذه النماذج.

إن خطورة الرؤية المادية التي تستبطنها عملية الأمركة، أنها تحاول

احلال الرؤى المادية المتمثلة في المصالح المادية محل القيم الإنسانية المطلقة في تأسيس العلاقات الإنسانية. فتبدأ بهذا التأسيس، ثم تحاول ضبط وتعديل نموذجها من خلال عملية الترشييد والضبط القانوني، لكنها تنتهي الى انتاج رؤية لا تلتزم بالقيم إلّا في حالة توفر أداة قمع الى جانبها؛ لأنها منعت الأساسي المطلق الذي تستند إليه هذه القيم، وقتلته في النفس.

وهناك مثال لا يسأم الإسلاميون من تكراره، وهو حقاً ذو دلالة مهمة لدينا، هذا المثال هو مقارنة بين تطبيق حكم تحريم الخمر في الخبرة التاريخية، فحين نزلت آية التحريم يصف الشهود مدينة رسول الله ﷺ وكأن الأنهار تجري في طرقاتها من فرط إهراق الخمر على الأرض والتخلص منها. وتسوق على الطرف الآخر محاولات الولايات المتحدة ضبط استهلاك الخمر، ومنع السكر المفرط، والذي وصلت عقوبته في بعض الأحيان الى الاعدام، ولكن ذلك لم يمنع الظاهرة.

الفارق بين النموذجين هو الفارق بين اعتماد النموذج الإسلامي للقيم المطلقة التي أدت لالتزام ذاتي طوعي، بينما النموذج الآخر افتقد هذه القيم، فضل طريقه، برغم أن المصلحة التي اعتبرها المثالان محل المقارنة هي نفس المصلحة.

هذا النموذج التطبيقي بين خطورة ما تسعى إليه الولايات المتحدة. فإن ما تفعله إدارة الرئيس جورج بوش ليس سوى محاولة لابعاد الإله والقيم المطلقة عن مركز تأسيس العلاقات الإنسانية في مرحلة العولمة، ووضع الولايات المتحدة وحلفائها.

منهج حياة بديل.. أمريكي طبعاً

سبق أن أشرنا الى أن الله في الدين الإسلامي هو مركز تأسيس العلاقات الإنسانية عبر وضع ملامح منهج معين، محدّد بالأوامر والنواهي الواضحة، والثابتة الورود، والقطعية الدلالة أو الظنية الدلالة، بقدر ما يراه الاتعالى من ضرورة إفساح المجال لتعدد الرؤى الاجتهادية البشرية الملائمة لتنوع المعطيات التاريخية، طالما أن لكل مركز تأسيس للعلاقات الإنسانية منهج حياة، فقد صاغت الولايات المتحدة منهج حياة بديلاً وهو نمط الحياة الأميركية، أو الحلم الأمريكي. وطالما أن منهج الله قائم على الدعوة للمنهج ونشره، فقد كان النموذج الأمريكي يحرص على فرض منهجه من خلال العملية التي تسمى بعملية الأمركة، والتي يحاول البعض ادماجها في تعريف العولمة.

وقد تم تدشين هذا النموذج الأمريكي ؛ بحيث يحل قيمة المصلحة الاقتصادية كقيمة أساسية تمثل محور حياة الأشخاص والجماعات وحتى الدول. وأما الدول التي ترفضه فقد جعلت نفسها أولى ضحايا الإله الجديد، وقربناً أولاً يتم ذبحه لإرواء عطش الإله الاقتصادي للمادة الاقتصادية التي تبدأ بالطاقة وتنتهي بالربح.

لا أخلاق بل قوة وناعمة

والنموذج الأمريكي يهرب من قضية الصياغة الأخلاقية لنموذجه، ومحاولة غرس هذا النموذج الحياتي عبر العبادة والأساس الأخلاقي الرقابي الذاتي عبر عدة محاور:

المحور الأول: أن النموذج الأمريكي نموذج فضفاض من حيث الالتزام

الأخلاقي الذي يستعمله، فهو نموذج وضعي سلوكي ظاهري، يمكن للأفراد ممارسة جوانب الخير فيه ما دامت هناك رقابة وقانون، ومتى غابت التركيبة الإلزامية للقانون في أي مساحة ممارسة اجتماعية يمكن أن يغيب السلوك الأخلاقي في ظلامها. وبالتعبير الإسلامي هو نموذج اتباع للهوى، يقوم على استهلاك كل القيم، بلا حدود للاشباع إلا الحدود المالية كأساس، والشرعية طالما احتاجت الممارسة لضابط قانوني؛ ومن هنا لا يمكن القول بأن النموذج الأمريكي يحتاج لمثل هذا القدر من الإعداد الذاتي للفرد للالتزام بتعاليمه.

المحور الثاني: استخدام ركائز القوة الليّنة دوماً. فالمرحلة الاستعمارية المحدثة تقوم على بسط الهيمنة على الآخر. كيف؟ هذا يحتاج منا إلى التمييز بين صورتين من صور القوة:

الصورة الأولى: صورة السيطرة، وهي تقوم على استخدام ركائز القوة الصلبة، كآلة العسكرية لقمع المخالف، وفرض اقتناع قسري بضرورة التناغم مع الطرح الأميركي، أو على الأقل الاذعان له. ويستدعي ذلك استخدام أنماط علاقات، مثل علاقات الاكراه، والردع.

الصورة الثانية: صورة الهيمنة، وهي استخدام لركائز القوة الصلبة، كوسائل الاعلام جميعها، والمساعدات الاقتصادية، في اقناع الأهداف بفائدة ونفع وصالح العلاقة مع الولايات المتحدة. ويستدعي ذلك استخدام أنماط علاقات، مثل علاقات الاغواء، والاستدراج، والاقناع.

والصورة الثانية هذه هي التي يتم بها نشر النموذج، وهي آلة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بقضية احساس الأطراف الضعيفة بتأله الإدارة

الأميركية. فالاحساس بالألوهية احساس قائم على الاقتناع والرضا، أكثر منه تأسيساً على الرعب والخوف والردع والقهر.

المحور الثالث: استخدام ركائز القوة الصلبة لفرض السيطرة على من لا يرضى بالهيمنة الأمريكية طواعية. ولا يخفى ما في هذا السلوك من تجبر وتكبر وعلو، ارتضى الله تبارك وتعالى أن يقصره على نفسه، وأن يمقت أن يمارسه البشر في اطار علاقاتهم الإنسانية.

مؤمنون وكفرة.. على الطريقة الأمريكية

حرصت الولايات المتحدة على بسط هيمنة نموذجها على العالم؛ وذلك في اطار اعادة صياغة النظرية الاستعمارية المحدثه.

ومن وجهة نظر كاتب هذه السطور فان النظرية الاستعمارية يمكن تجريدها في اطار ثلاث مراحل:

الأولى: مرحلة الاستعمار العسكري المباشر.

الثانية: مرحلة الاستعمار عبر ثنائيه: النخبة - المصلحة. وهي مرحلة حصرت فيها القوى الاستعمارية على استخلاف مجموعة من النخب المتعلمة تعليماً حديثاً، تتولى ادارة البلاد من بعدها، معتمدة على معيار المصلحة الذي يربطها بالقوى الاستعمارية السابقة. وهذا المنطق هو ما صرّح به الرئيس الكاريزمي شارل ديغول بفرنسا حين صرّح أمام المجلس الوطني الفرنسي: بأن السبيل للاحتفاظ بالجزائر هو منحها استقلالها.

الثالثة: مرحلة التزيين مع قمع الهوامش المعارضة.

وفي هذه المرحلة استخدمت الولايات المتحدة أدوات أعلامها لعولمة نموذج الحياة الأمريكي، وتزيينه لدى سكان الكوكب؛ وهو ما يسهل عملية فرضه عبر المعاهدات الدولية، ومؤسسات التمويل العالمية، مع التحرك العسكري لقمع الدول الهامشية التي ترفض تقبل هذا النموذج طوعاً.

ففي المرحلة الثالثة هذه عملت الولايات المتحدة على تقسيم العالم الى دول مؤمنة ودول كافرة لكن وفق المعيار الأمريكي. ولعل هذا ما اتضح من كلمة الرئيس بوش للرئيس الباكستاني برويز مشرف: «أمامك خياران: إما أن تدخل في حلف الولايات المتحدة في حربها ضد الارهاب، إما أن نعيد باكستان الى العصر الحجري»، وكقوله قبل ضرب افغانستان: «من ليس معنا فهو ضدنا». فلسان الحال هنا قوله: إما أن تؤمن بما يقوله الإله الأمريكي أو تكفر، وسندخل الكفرة بنا جحيماً على الأرض يوازي جحيم الإله في السماء.

الفردوس الأرضي الأمريكي.. أو الجحيم

كما أن لله سبحانه وتعالى منظومة جزائية، تتمثل في الجنة والثواب، أو النار والعقاب، فإن الإله الأمريكي يحاول السير على النهج نفسه. ففي حرب العراق على سبيل المثال كان هناك نمطان للمثوبة. أما الجحيم فكان من نصيب العراق، كما أنه من نصيب كل دولة ترفض الايمان بالإله الأمريكي، طالما أن هذه الدولة المغضوب عليها ليس لديها القدرة على رفض هذا الجحيم.

أما الفردوس الأرضي الأمريكي فهو حالة الرخاء التي تبشّر بها حركة
الأمركة بعد تحرير التجارة ورؤوس الأموال، ناهيك عن الفردوسات
العاجلة من منح ومساعدات، توزعها هنا وهناك ضماناً للموالة،
وترهيباً من عواقب الكفر.



الحوكمة الاستكبارية في الاعلام «المجموعات الإعلامية الدولية الكبرى»

✽ الدكتور مالك الأحمـد (مصر)

هناك ستّ مجموعات رئيسية كبرى تعمل في الأنشطة الإعلامية على مستوى العالم، ولها حضور دولي كبير متفاوت من مؤسسة لأخرى، أربع منها أمريكية، وواحدة أوروبية، وواحدة استرالية أمريكية، وإليك عرضاً لأبرز أنشطة هذه المجموعات:



١- تايم وورنر Time Warner

أكبر مؤسسة اعلامية في العالم؛ إذ تفوق مبيعاتها ٢٥ بليون دولار، ثلثها من أمريكا والباقي من العالم، ويتوقع ارتفاع دخلها من خارج أمريكا

الى ٥٠٪، وتملك العديد من الأنشطة الإعلامية المتنوعة ومنها:

٢٤ مجلة (منها تايم).

- ثاني أكبر دار النشر في أمريكا.

- شبكة تلفزيون ضخمة واستديوهات برامج وأفلام، ودور عرض للسينما

(أكثر من ١٠٠٠ شاشة)، وأكبر شبكة كيبل تلفزيوني مدفوع في العالم.

- شركات أفلام في أوروبا، والعديد من محلات البيع بالتجزئة.

- مكتبة ضخمة (٢٥٠٠٠ برنامج)، (٦٠٠٠ فلم) من الأفلام والبرامج

التلفزيونية.

- بعض القنوات الدولية التلفزيونية مثل (HBO, TNT, CNN)

مساهمات رئيسية في قنوات وشبكات تلفزيونية أو مرئية، وللعلم، فإنّ

عدد مشاهدي المحطة الإخبارية CNN يفوق ٩٠ مليوناً من ٢٠ دولة،

ولدي HBO (١/٢) مليون مشترك حول العالم.

٢- مجموعة برتلزمان Bertelsmann

أكبر مجموعة اعلامية في أوروبا وثالث أكبر مجموعة في العالم.

دخلها السنوي يجاوز ١٥ بليون دولار، وتتميز بأن لها تحالفات وتعاوناً

مع العديد من المجموعات الإعلامية الدولية في أوروبا واليابان، ولها

العديد من الأنشطة الإعلامية ومنها:

- قنوات تلفزيون في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، إضافة الى

استوديوهات سينمائية متعددة.

- مجموعة من الإذاعات الأوروبية، ٤٥ شركة نشر للكتب بلغات

أوروبا المختلفة، أكثر من ١٠٠ مجلة في أوروبا وأمريكا.

٣- مجموعة فياكام Viacom

مجموعة إعلامية قوية في أمريكا: وريع دخلها السنوي (١٣ بليون دولار) من خارج أمريكا، ولها نشاط محموم للتوسع الدولي؛ حيث أنفقت بليون دولار في السنوات الأخيرة للتوسع في أوروبا، ولها تحالفات مع العديد من المجموعات الاعلامية ونشاطها متنوع ومنه:

- ١٣ محطة تلفزيون في أمريكا إضافة الى شبكات بث فضائي دولي (شوتايم - نكلدون...).

- شركات انتاج تلفزيوني وسينمائي وفيديوي وموسيقي.

- شركات نشر كتب.

٤- ديزني Disney

أكبر متحدٍ لمجموعة تايم ورنر في العولمة الإعلامية. لها دخل سنوي يفوق ٢٤ بليون دولار، ولها حضور قوي في مجال الأطفال، بل تعتبر أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم. ولها حضور من أقصى الشرق (الصين) الى أوروبا والشرق الأوسط حتى أمريكا اللاتينية، ولها أنشطة متنوعة منها:

- استوديوهات أفلام وفيديو وبرامج تلفزيونية، وشبكة ABC

التلفزيونية الضخمة في أمريكا، ومحطات تلفزيون وراديو متعددة.

- قنوات تلفزيونية دولية متعددة بالأقمار الصناعية والكيبل مثل

ديزني Disney, Espn الرياضية.

-محلات تجارية باسم ديزني، ومراكز ألعاب وترفيه حول العالم.
-دور نشر للكتب.

-صحف يومية، و٣ شركات لإصدار المجلات، وللمجموعة تحالفات ومشاركات مع مؤسسات إعلامية في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية، وكذلك مع شركات بثّ اتصالات متعددة الجنسيات.

٥- نيوز كورپوريشن News Corporation

خامس أكبر مجموعة اعلامية من حيث الدخل (١٠ بليون دولار)، لكنها أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم. أسّس المجموعة روبرت مردوخ، ويملك حالياً ثلثها، ولها وجود في جميع أنحاء العالم من خلال أنشطتها الإعلامية والتي منها:

- ١٣٢ صحيفة و ٢٥ مجلة في استراليا وبريطانيا وأمريكا (تعتبر واحدة من أكبر ثلاث مجموعات صحفية حول العالم).

- شركة فوكس للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وشبكة فوكس للبثّ التلفزيوني: إضافة الى ٢٢ محطة تلفزيون.

- شبكة ستار للبثّ الفضائي حول العالم، وشبكة سكاي (بريطانيا خصوصاً).

- دور نشر للكتب.

وللمجموعة تحالفات مع مجموعات إعلامية حول الإعلام، وقاعدتها ٦ دول رئيسية تنطلق منها أنشطتها المتنوعة وبالأخص: استراليا، بريطانيا، أمريكا، تعتبر هذه المجموعة من أعقد المجموعات الإعلامية وأوسعها، ولها نفوذ قوي في الصين والهند (فضلاً عن أوروبا وأمريكا)، وأسلوبها الناجح هو الشراكة مع جهات نافذة محلية، مع عدم مصادمة

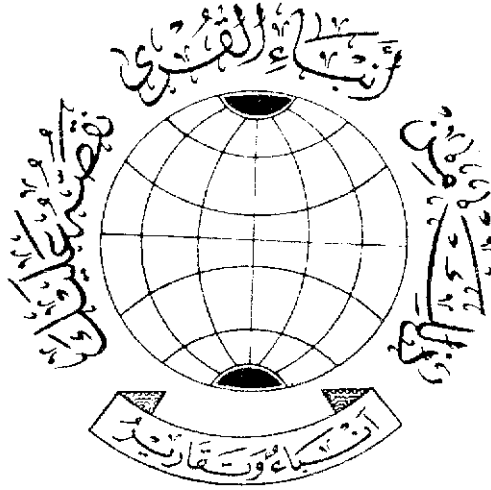
العولمة الاعلامية والتقنية

ترتبط العولمة بالتقدم والتوسع الاقتصادي ارتباطاً وثيقاً؛ ولذلك كانت عملية الرقمية Digital في نقل الصوت والصورة والكلمة حاسمة في تسهيل وصول هذه المواد للمستهدف، كما أنها خفّضت التكلفة؛ مما ساعد على توسيع دائرة الانتشار عالمياً، كذلك ساعدت شبكات الاتصال الفائقة Fibers في تسهيل نقل كميات كبيرة من المعلومات، وبدرجة نقاء عالية وبوقت قصير حول العالم، وأصبح هناك تحالف ظاهر بين شركات الاتصالات التقنية والبرامج مع المؤسسات الإعلامية نظراً للمصالح المشتركة بين هذه الأطراف؛ فالأولى ترصف الطريق والثانية تسير عليه.

وفي الختام أحذّر وأحذّر من خطورة الإعلام على عالمنا العربي والإسلامي الضعيف في كل المناحي (ومنها الإعلام)، وهو أصلاً هزيل في تقنياته وموارده بعيداً عن جذور الأمة وعقيدتها، كذلك أحمل قادة الفكر والتوجيه المسؤولية في هذا الميدان، وأدعوهم للمسارعة في تحمّل المسؤولية خصوصاً أننا دائماً متخلفون عن الركب وعالة على الغير في كثير من أمورنا، والعبء الكبير لا يستطيعه فرد أو أفراد، بل لابد من مساهمة الجميع: مؤسسات، ورجال أعمال، مربين ومفكرين، كل بحسبه وكل بقدرته.

والأمر يسير لو كان الإعلام خالياً من الرسالة والهدف، بل المضمون الثقافي المصدّر إلينا لا يحتاج الى كثير بصيرة لمعرفة خطورته على مجتمعاتنا وأجيالنا القادمة.





نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت عليه السلام في أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

□ الشرق الأوسط

مما وراء الاستراتيجية الأميركية

للتغيير في الشرق الأوسط



أعدت إدارة الرئيس الأميركي جورج بوش خطة تتعلق بإحداث تغييرات أخرى في هذه المنطقة العربية.

وحسب مسؤولين أميركيين، فإنه بخلاف توجه المواجهة الذي

اتبع مع العراق، ستتبع واشنطن استراتيجية رباعية الأبعاد، تهدف الى إحداث تحول تدريجي من خلال حوافز سياسية واقتصادية، متشجعة بالهيمنة الأميركية الجديدة في المنطقة. وقال مسؤول بارز في وزارة الخارجية الأميركية: «سيتزايد الضغط المتعلق بوضع الأشياء

في مسارها الصحيح عالمياً، وستكون الولايات المتحدة مستعدة ببرامج تساهم في التغيير».

ويبدو أن الخطوة الأولى الملحوظة في هذه الخطة ستكون الإعلان عن «خريطة الطريق» التي وضعتها الولايات المتحدة والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وروسيا، وتهدف في الأخير الى اقامة دولة فلسطينية.

وقال مسؤول بارز في إدارة بوش، طلب عدم ذكر اسمه: «ننوي الإلحاح على الدول العربية، وجعلهم يعتادون على حقيقة أننا سنأتي إليهم بشكل دوري، وسنسلط الضوء عليهم بالمال والتصريحات المعلنة وبالأفعال، عندما يقوم الفلسطينيون بأشياء لا تعجبنا، مثل العمليات الانتحارية. لقد ولّت الأيام التي كانت فيها الولايات المتحدة الوسيط الوحيد بين الإسرائيليين

والفلسطينيين».

أما الخطوة الثانية في الخطة الأميركية، فتتمثل في مبادرة الشراكة الشرق أوسطية، التي وضعت من أجل بناء «مجتمع مدني» في المنطقة. وحسب مصادر وزارة الخارجية فإن الولايات المتحدة ستنفق هذا العام ٢٠٠ مليون دولار لتعزيز حقوق المرأة، وتنشيط الدور السياسي للطلبة، والمنظمات غير الحكومية، وإصلاح التعليم، وللمشروعات التجارية الصغيرة، ويتوقع أن يتضاعف المبلغ ليصل الى ٤٠٠ مليون دولار، العام المقبل.

الخطوة الثالثة: تتمثل في الدفع بالاصلاحات الاقتصادية استناداً الى نموذج شرق آسيا الى حدّ ما، يليه رخاء اقتصادي تتبعه إجراءات حكومية متعلقة بالانفتاح السياسي. وقد اعتاد مسؤولو الولايات المتحدة على

ذكر ماليزيا، الدولة الإسلامية الكبرى الواقعة جنوب شرق آسيا، نموذجاً. وتأمل الإدارة الأميركية في تفعيل نمو اقتصادي من خلال تشجيع العلاقات التجارية، مبتدئة باتفاقيات استثمار ثنائية، تعقبها اتفاقات إطار عمل تجاري واستثماري ثم اتفاقيات تجارة حرة. ووفقاً لمسؤولين أميركيين فإنه من المرجح أن تبدأ الولايات المتحدة بالتفاوض مع المغرب ومصر هذا العام بخصوص اتفاقيات تجارة حرة. وتذكر إدارة بوش أنه من الصعوبة بمكان في الوقت الحاضر مواصلة هذه المسألة. وحتى الآن، تعد الأردن الدولة العربية الوحيدة التي يربطها اتفاق تجارة حرة مع الولايات المتحدة.

أما الخطوة الرابعة: فتتمثل في تعزيز قوانين حظر إنتاج أسلحة الدمار الشامل. وتفكر إدارة بوش في جعل هذه المسألة جهداً دولياً،

يستهدف على وجه الخصوص دفع الاتحاد الأوروبي وروسيا للمساهمة في تشديد القيود وعمليات التفتيش، حسبما قال مسؤولون أميركيون. ويتوقع أن تكون إيران هي الهدف الأول بهذا الخصوص. وقال مسؤول بارز في وزارة الخارجية الأميركية: «ننوي تبني موقف أكثر صرامة، ونحتاج الى مزيد من الالتزام الجاد بالإرشادات المتوفرة وتعزيز آليات الوكالة الدولية للطاقة الذرية». وتأمل إدارة بوش أن تؤدي الخطوات الأربع المتداخلة الى تعزيز بعضها البعض.



□ العراق

فطط لتغيير

مناهج التعليم في العراق

كشف مسؤولون في مجلس العلاقات الإسلامية الأميركية

(كير) عن مخطط أميركي لتغيير المناهج التعليمية العراقية، رصدت له الحكومة الأميركية ٦٥ مليون دولار؛ لتنفيذه بمعاونة عدد من العراقيين المغتربين.

وأشار بيان (كير) الى أن جريدة «واشنطن بوست» الأميركية نشرت تقريراً في السادس من ابريل الحالي، يتحدث عن سعي الحكومة الأميركية بالتعاون مع بعض العراقيين المغتربين الى تغيير المناهج التعليمية في العراق، على غرار ما قامت به الحكومة الأميركية في أفغانستان، وذكر التقرير أن وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية رصدت ٦٥ مليون دولار أميركي؛ لتقدمها عقوداً للمؤسسات التي سوف تعمل لتغيير هذه المناهج، ومن بينها منظمات أميركية أشرفت على صياغة مناهج تعليمية جديدة للمدارس في أفغانستان.

وذكر التقرير أن الإدارة الأميركية تأمل أن تجري هذه التعديلات في الشهور الخمسة القادمة، قبل أن يعود الطلاب العراقيون الى مدارسهم في بداية العام الجديد.



معلومات عن ١٥٠ مقبرة جماعية

كبرى لضحايا نظام الطاغية صدام

ذكرت مصادر للمعارضة الإسلامية العراقية، أنها تمتلك لوائح تضم معلومات عن ١٥٠ مقبرة جماعية، لم تكشف حتى الآن في عدد من المدن العراقية.

وقد قررت هذه المصادر تأجيل الاعلان عن هذه المقابر لحين قيام حكومة عراقية مستقلة، وتوفير الأجواء المناسبة للاستعانة بالمنظمات الدولية، والاستفادة من خبراتها التقنية في الكشف والتعرف على جثث الضحايا، وذلك لضمان التعرف

على هوية الضحايا، وحمايتهم من البحث العشوائي للأهالي المنكوبين بجرائم نظام الطاغية صدام، والحرص على تأمين إقامة المراسم والطقوس الدينية احتراماً وإكراماً للشهداء.

ودعت مصادر المعارضة العراقية الى محاكمة المسؤولين عن هذه المقابر أمام محكمة وطنية، مؤكدة في الوقت نفسه ضرورة محاكمة الذين اكتسبت جرائمهم طابع المساس بالاتفاقيات الدولية، وشكّلت انتهاكاً صارخاً لحقوق الإنسان والمواثيق الإنسانية أمام محاكم دولية، وأكدت أيضاً ضرورة العمل لضمان حقوق أسرى الضحايا وردّ الاعتبار لها مادياً وإنسانياً ووطنياً.



□ الكيان الصهيوني الغاصب

فتوى مافامات الصهاينة بان

العراق جزء من إسرائيل الكبرى

كشفت المنظمات الصهيونية أحد الأسباب الرئيسية للحرب العدوانية التي تشنها الولايات المتحدة، وكذلك الحملة الإعلامية التي يشنها الكيان الصهيوني ضد العراق، من خلال فتوى أصدرها عدد من الحاخامات اليهود، يزعمون فيها أن العراق جزء من أرض (إسرائيل الكبرى).

وطلبت هذه الفتوى من الجنود الصهاينة في القوات الأميركية والبريطانية التي تقاتل ضد العراق، أن يؤديوا صلاة خاصة عندما يقيموا كل خيمة أو بناء في أرض العراق غرب نهر الفرات.

وقال الحاخام «نحميا ههوري» أحد الذين أصدروا هذه الفتوى: «إن على الجنود اليهود في القوات الأميركية والبريطانية في العراق، تلاوة هذه الصلاة

عندما يقيموا أي خيمة أو بناء عسكري آخر على شواطئ نهر الفرات الغربية؛ لأنه حسب مزاعمه «كل قطعة أرض غرب نهر الفرات هي جزء من أرض إسرائيل الكبرى، ولذا يجب تلاوة هذه الصلاة التي تبين تخليص هذه الأرض وتحريرها».

كما أفتى عدد من الحاخامات «على كل من يشاهد بابل أن يتلو صلاة تقول: مبارك أنت ربنا ملك العالم؛ لأنك دمرت بابل المجرمة».



□ كندا

إسماء رسمي يكشف أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في كندا
كشفت نتائج الإحصاء السكاني الكندي لعام ٢٠٠١ م، عن تزايد أعداد المسلمين في كندا بشكل ملحوظ خلال العقد الأخير من القرن العشرين. وزادت أعداد مسلمي كندا

بنسبة ٩، ١٢٨٪ خلال العقد الأخير من القرن العشرين، لتصل إلى ٥٧٩ ألف نسمة، مما يجعل الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في كندا، كما أصبح المسلمون يشكّلون ٢٪ من مجموع السكان الكنديين.

وقالت صحيفة (تورنتو غلوب أند ميل): إن زيادة أعداد المسلمين الكنديين مقارنة باليهود الكنديين، قد يؤدي إلى زيادة رغبة الحكومة الكندية، في اتخاذ موقف أكثر حياداً تجاه قضية الشرق الأوسط، في الوقت الذي يضغط فيه اليهود الكنديون على الحكومة لاتخاذ موقف أكثر انحيازاً ودعماً لإسرائيل.

كما ذكرت الصحيفة أن تزايد أعداد المسلمين الكنديين، هو عامل هام ومؤثر على مستقبلهم السياسي، ولكنهم ما زالوا يفتقدون التنظيم والتركيز السياسي الذي يتمتع به اليهود الكنديون.

□ أمريكا والصهيونية العالمية

من مفططات العولمة

الاستكبارية تفرد

المقدسات في الهوية الإسلامية

يعقد اللوبي الصهيوني في أمريكا تحالفاً مع التيار المسيحي الصهيوني منذ فترة طويلة بسبب تقاربات أيديولوجية ونفعية بينهما، ويشكل الفضاء السياسي الحالي في ظل الإدارة الأمريكية القائمة مناخاً ملائماً لتنفيذ الكثير من مفردات أجندتهما استثماراً لتداعيات ١١ سبتمبر، وبخاصة في المنطقة الإسلامية التي تحتل المركز الأول في قائمة الأعداء لكليهما.

ومحاربة الإرهاب حلم صهيوني قبل أن يكون برنامج عمل أمريكياً، وقد أفصح عن ذلك بعد أحداث سبتمبر نائب رئيس الأركان الصهيوني موشيه يعلون؛ إذ أشار إلى أنه كان قد عرض خطة خاصة لمحاربة الإرهاب، وحاول إقناع الإدارة

الأمريكية بها قبيل أحداث ١١ سبتمبر، وربما تكون هذه الإشارة تعصيلاً لمثيلاتها الداعمة للتحليلات التي ترى أن أحداث سبتمبر في أمريكا تقف خلفها قوى خفية من اللوبي الصهيوني، والنخب السياسية الأمريكية خاصة المنخرطين في لوبي السلاح والنفط، لما لهم من مصالح متصلة بإفرازات ما بعد سبتمبر.

التقديرات الاستراتيجية الأمريكية ترى أن الكتلة الإسلامية الممتدة فيما يسمونه «هلال الأزمات» من طنجة حتى جاكرتا تشكل عائقاً أساسياً في وجه العولمة الأمريكية، وهذا العائق برغم محدودية قدرته الاقتصادية - وهي المعيار الجديد لتحديد المكانة على السلم الدولي؛ إذ تذكر بعض التقديرات أن العالم الإسلامي الذي يشكل ديمغرافياً ما بين ٢٠ - ٢٥٪ من العالم لا ينتج سوى ٤٪ من الناتج العالمي - إلا

أن مكونات هويته الحضارية، وما تكتنزه من دين حيوي تعدّ الأقوى والأقدر على مواجهة اجتياح العولمة، أو على أقلّ المقدرة على رفضه، بل إنّ بعض التقديرات يؤكد أن العولمة تسعى لكي تستفزّ «الأصولية الإسلامية» أكثر وأكثر لمقاومة الاندماج في الفضاء الغربي، وللحفاظ على الهوية الإسلامية، ومن ثم يقود ذلك الى مواجهة هذه الكتلة لتفتيت هويتها، والتركيز في حملة المواجهة على النواة الصلبة التي يشكّلها الدين، وما الحملة الحالية المسمّاة محاربة الإرهاب إلّا الوجه الحقيقي لهذه الحالة الموصوفة آنفاً، وبرغم أن المستوى الرسمي الأمريكي يحرص على امتداح الإسلام، واصفاً إياه بالدين العظيم، إلّا أن بوح الفلتات من قبل بعض الساسة الأمريكيان، رسميين وغير رسميين، وهي كثيرة في الآونة الأخيرة، ينقض مصداقية

الموقف الرسمي. أما الإعلام بأجندته الصهيونية، فقد أسفر عن الوجه الحقيقي للحملة التي يختزلها توماس فريدمان الكاتب الصحفي اليهودي صاحب الصلة الوثيقة مع اليمين الأمريكي قائلاً: «علينا ألا نكافح لاستئصال الإرهاب... الإرهاب فقط أداة... نحن نحارب لهزيمة الأيديولوجيا: التدين الديكتاتوري... فهي معركة ضد الحزب الديني المتطرف، الذي يفرض على العالم سلطة إيمانية تنفي الآخرين... فحكم الحزب الديني لا يمكن أن يُقاتل بالجيوش وحدها، بل يجب أن يُقاتل في المدارس والمساجد...»، ولم تقف الحملة عند حدود الانتقاص من طبيعة الفهم والاجتهاد للنص الديني، بل تعدته لمهاجمة النص الديني المقدّس ذاته، وفي هذا السياق يقول الحاخام اليهودي الأمريكي مارفين هير في إحدى القنوات

الفضائية الأمريكية وبشكل
سافر: «لو سألتني بشكل مباشر
هل هناك آراء متطرفة في القرآن؟
سوف أقول نعم».

ومفردات الحملة وميادينها،
تؤكد طبيعة هدفها برغم كثافة
وغزارة النفي؛ فقد شملت
المدارس الدينية، وفي هذا الإطار،
قدّمت أمريكا ١٠٠ مليون دولار
لباكستان، لتمويل محاربة
المدارس الدينية «تعديل
مناهجها»، وبموازاة ذلك، تقديم
هبات مالية سخية لبعض الدول
العربية، لإدراج مواد متعلّقة
بالتعربية والتثقيف الجنسي؛
واستجابة لذلك قام وزير عربي
معني بمحاولة إلغاء مادة التربية
الإسلامية وإحلال مادة أخرى
بدلاً منها تحت مسمى «القيم
والأخلاق» وصرّح ذلك الوزير
لصحيفة لوموند الفرنسية، بأن
هذه المادة تستهدف إنتاج جيل لا
يفرق بين دين ودين، لكن
البرلمان عرقل هذه المحاولة

ففشلت. وكذلك شملت الحملة
الجمعيات الخيرية «ملاجئ
الأيتام وأعمال الإغاثة» وعمل
كتّابها على تشويه الجهاد
والمقاومة ووصفها بالإرهاب
بالإضافة الى الانتقاص من
شعيرة الزكاة وتصويرها على
أنها موارد ومنايع مالية لرفد
الإرهاب الدولي.

تغريب الإسلام والحادثة

تذكر الباحثة البريطانية
فرنسيس سوندرز في كتابها
«الحرب الباردة الثقافية» بمادته
المستقاة والمعتمدة على ملفّات
المخابرات البريطانية
والأمريكية، أن الحادثة إنتاج
ثقافي غربي، يستهدف تغريب
عقل العالم والقضاء على
الخصوصيات والهويات الثقافية
لشعوب العالم لصالح الهيمنة
الغربية، وتؤكد أن أجهزة
الاستخبارات الأمريكية
والبريطانية تمول الأنشطة

الثقافية الحداثية بتنوعاتها
كالمؤتمرات والكتب والأبحاث
والمجلات.

وفي نظر الكتاب
الاستراتيجيين الأمريكيين
المرتبطين بشكل أو بآخر بأجهزة
الاستخبارات، تبقى الهوية
الإسلامية العقبة المانعة للولوج
في مسار الحداثة تمهيداً
للانصهار في بوتقة العولمة
الغربية، وفي هذا السياق يقول
فرانسيس فوكوياما صاحب
نظرية «نهاية التاريخ» في مقاله:
المسلمون فاشيو العالم: «إن
الإسلام هو الحضارة الرئيسية
الوحيدة في العالم التي يمكن
الجدال بأن لديها بعض المشاكل
الأساسية مع الحداثة...»،
وبإشارة غير مباشرة وأحياناً
بصورة مباشرة يومئ إلى أن
العقدة في ذلك تعود إلى أن الدين
-وهنا الدين الإسلامي- لا يقبل
الفصل بين الدين والدولة، ومن
هنا برأيه فإنه إذا كانت السياسة

ترتكز على الدين؛ فلن يتوفر سلم
اجتماعي... بل إن السياسات
الدينية تقود إلى صراعات لا بين
المسلمين مع غيرهم فقط، ولكن
بين المسلمين أنفسهم، على ذلك
فالحل في نظره التماهي في
استخدام شوكة القوة وبقسوة
تجاه «الفاشية الإسلامية»، وإلا
فإنها ستكتسب مزيداً من التأييد.
يؤيد فوكوياما في أطروحته
الكتاب الأمريكي صاحب نظرية
«صراع الحضارات»؛ إذ يشير في
مقالة له بعنوان «عصر حروب
المسلمين» إلى أن تاريخ
المسلمين المعاصرين عبارة عن
سجل من الصراعات والحروب
مع الآخر وحتى مع أنفسهم...
ويهدف من خلال طرحه في
مقالته الآنف الذكر، أن يوصل
القارئ إلى قناعة مفادها: أن البنية
العقلية الإسلامية ذات مكوّنات
إرهابية... ويستتبع ذلك تلقائياً،
بأن العلاج في مواجهتها ينبغي أن
يستند إلى القوة... لكن «ستيف

نيفا»، الأستاذ الزائر في قسم الحكومة والعلاقات الدولية بجامعة كلارك يفصح سرائر أمريكا في مجلة «ميريب» فيقول: «إنّ الهدف من سيناريو - التهديد الإسلامي - يتمثل في إعادة إنتاج نموذج الحرب الباردة بشأن العداء بين الأيديولوجيات والكتل الذي يعطي للولايات المتحدة وحليفاتها الغربيات المبرر للتدخل في شؤون العالم الثالث...».

وفي إطار الموضوعية ذاتها، تبرز في الفضاء السياسي الأمريكي اجتهادات أخرى لمواجهة الكتلة الإسلامية، وعلى وجه الخصوص التيار الإسلامي، ولعل من ضمنها أفكار مارتن إنديك التي طرحها كنموذج لاحتواء الإسلاميين؛ وذلك في مجلة فورن أفيرز بمقالة له تحت عنوان: «العولمة للبازار»، وفيها يقترح على بلاده أن تتبع استراتيجية المساومة، وتتمثل

بالضغط على الدولة العربية لزيادة جرعة المدمقرطة لاحتواء الإسلاميين مقابل أن تنخرط أمريكا بشكل فاعل في معالجة عملية السلام بغية الوصول لحلم إغلاق الملف الفلسطيني الذي يشكل العنصر المتفجر بالمنطقة. وأخيراً على صعيد التفكير السياسي الاستراتيجي الأمريكي، يمكن تلمّس الرغبة في تحقيق مبدأ إزاحة المقدّس من مكونات الهوية الإسلامية، وبشكل ميداني نزعه من مكونات الصراع العربي الصهيوني، وفي هذا الخصوص تبرز نظرية ريتشارد هاس التي طرحت في الحوار الرئاسي للإرادة الحالية، ومالت إليها الآراء، ومفادها: أن أزمة فلسطين غير قابلة للنضوج، ولا تحتمل الحل الوسط؛ لأنه يركز في بنيتها المكوّن الديني - المقدّس - ووفق هاس، فإنّ مثل هذه الأزمات لا ينفع معها إلّا الخطوات التالية:

- عزل الأزمة عن محيطها الإقليمي لضمان عدم انتقال العدوى.

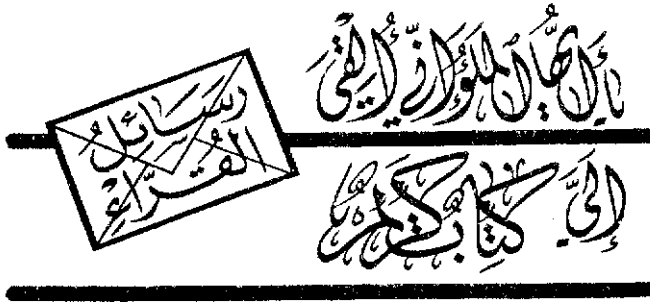
- ترك الأزمة للزمن كي تستهلك نفسها لتتآكل ويطوئها الزمن.

والإجراء العملي لتحقيق ذلك - بحسب رأي هاس، نائب وزير الدفاع الأمريكي اليهودي الأصل - التغاضي عن فكرة الحل النهائي للقضية، والنزوع لمنطقة التجزئة والحلول المرحلية.

ولكن برغم الدهاء الغربي، وتآكل الموقف الإقليمي العربي والإسلامي، وما يستتبعه من هيمنة غربية طاغية، إلا أن النتيجة النهائية للصراع ليست في صالح الغرب على المدى البعيد.. وهذا استخلاص غير مؤسس على بلاغة لغوية، إنما يدعمه الكثير من الحقائق الدينية والكونية،

وهي قناعة ليست منتجة فقط من قبل العقل الإسلامي، إنما يشترك في حملها أبناء البيت الأمريكي ذاته؛ وفي هذا الأطار تساق مقولة باتريك بوكونان مرشح الرئاسة الأمريكية الأسبق الذي يقول: «إنّ الإسلام غير قابل للتحطيم»، وهو يؤكد حتمية الانتصار في إطار الصراع العقدي لصالح الإسلام.. وبكلمات تعتبر شهادة من فم أحد الخصوم، يضيف بوكونان: لا تستهينوا بالإسلام، إنّه الديانة الأسرع انتشاراً في أوروبا.. وبينما تقترب المسيحية من نهايتها في الغرب، وحيث الكنائس فارغة، تتوسع وتمتلئ المساجد، ولكي تهزم عقيدة، فإنّك تحتاج الى عقيدة.. ماهي عقيدتنا نحن؟.. النزعة الفردية؟!





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أود أن أنال

شرف صداقتكم النبيلة



بسم الله الرحمن الرحيم،
الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على أشرف الأنبياء
 والمرسلين محمد وآله الطيبين
 الطاهرين. بعد التحية والسلام
ومزيد من الاحترام.

القلم يعجز عن كتابة ما أنا فيه
من شعور. تغمرني الفرحة
والأمل والفرحة بأن الأرض لم
ولن تخلوا من أيادي بناءة تسعى
لرفع ونشر دين محمد وآله عليه
وعليهم السلام، أيادي تعمل
لنشر مذهب أهل البيت (عليهم السلام)
في العالم.

باحثي جامعتنا بحاجة الى مجلة

رسالة الثقيلين

السيد الأستاذ رئيس تحرير
مجلة الثقيلين.

السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

تزمع مكتبة جامعة أم درمان
الإسلامية إقامة معرض
للدراسات التي تُنشر في البلاد
العربية الشقيقة ولا سيّما
الدوريات التي تصدرها
الجامعات والمؤسسات التربوية
والثقافية والوزارات؛ وذلك حتى
يقف أعضاء هيئة التدريس
وطلاب الدراسات العليا
والبكالوريوس وغيرهم من
الباحثين على الموضوعات
والدراسات العلمية التي ترد بهذه
الدورات وللتعرف على هذه
الدوريات لاقتنائها.

وعليه نرجو من سيادتكم

الأمل يتوقد بانكم ستلبون
طلّابي البسيط. الذي ليس
بمقدوري نسيانه الى الأبد.

فأنا أود أن أنال شرف
صداقتكم النبيلة لأنال من نورها
ما يضيئي لي دربي في ظلمة
العمى الذي أعيشه.

أنا شاب أسكن في دزفول عراقي
مهاجر الى إيران الإسلام، افتقر كل
الافتقار الى المعارف الإسلامية.

وقتي أقضيه بالفراغ، طلب
العلم صعب عليّ. لديّ اندفاع كثير
نحوه، لكن الظروف قاسية. أرجو
أن تلبّوا طلّبي وتبعثوا اليّ ما ينير
دربي المظلم بظلمة الجهل عبر
ارسال كتبكم ومنشوراتكم
ومطبوعاتكم. ولكم من الله الأجر
والثواب عنه وهو الرؤوف
الرحيم. والسلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

ياسر عبدالأمير العبادي
الجمهورية الإسلامية في إيران

التكرّم بموافاتنا بأعداد الدوريات
التي تُصدرها مؤسستكم العامرة
على سبيل الإهداء وخاصة
الأعداد الحديثة، أو أي أعداد
متوفرة لديكم؛ حتى نتمكن من
عرضها ضمن مجموعة
الدوريات التي سيتم عرضها
في المعرض بمكتبة جامعة
أم درمان الإسلامية. ولكم
جزيل الشكر

جامعة أم درمان
الخرطوم - السودان



رسالة الثقلين

تضم مباني الإسلام الأصيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة
والسلام على أشرف الأنبياء
 والمرسلين وعلى آله الطيبين
 الطاهرين عليهم السلام. وبعد:

المشرفون على المجمع

العالمي لأهل البيت السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته هذه أول
رسالة أبعثها إليكم وذلك بعد أن
قرأت أعداد مجلتكم الغالية
«رسالة الثقلين» بشوق وحب؛
فوجدتها تضم الكثير من مباني
الإسلام الأصيلة والمواضيع
الهادفة وذات الفائدة الكبيرة، وقد
وجدت فيها معلومات وحقائق
نادرة، فقررت في نفسي أن أرسل
إليكم لتبعثوا لي من منشوراتكم
ومطبوعاتكم وكتبكم القيمة
ومن المجلات التي تصدرونها
وخاصة رسالة الثقلين لما لها من
أهمية ومواضيع حرّة ومثيرة في
الأحداث التاريخية التي جرت على
النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الهداة عليهم السلام،
وقضايا معاصرة وذكرى
مؤلمة وتضحيات علوية وأعمال
إسلامية تهّمنا جميعاً خصوصاً
في هذا الزمان؛ حيث يهدد الأعداء
الطامعون المسلمين بغزو ثقافي

عبر جميع الوسائل الإعلامية
للتخلص من المسلمين عامة
وشيعة أهل البيت خاصة.

محمد أحمد درهم العزي

صعدة - اليمن



مجلة الثقلين

مليئة بالعبر والأفكار النيرة

الى حضرة معالي السيد أمين
التحرير... السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته. وبعد:

فقبل أن نبدأ حديثنا يسرّنا
كثيراً أن نقدم الى حضراتكم
اعتزازنا وفخرنا بكم على ما
تقدمون من مجهودات جبارة
لتوعية وتنقيف إخوانكم وطلبة
المسلمين بتتقيفهم إسلامياً في
كل أنحاء الأرض.

والجدير بالذكر أن أحيطكم
علماً بأن المدرسة المذكورة
أعلاه قد صادفت أن قرأت مجلتكم
وهي مليئة بالعبر والأفكار النيرة

التي لا تعد ولا تحصى؛ لذا نتوجه
الى سماحتكم أن تزودونا ببعض
أعداد هذه المجلة بصورة
مستمرة سواء كان في شهر أو
اسبوع، عسى الله أن ينفعنا بها،
ويوفق رئيس تحريرها والعاملين
بها لتوعية الشباب وطلبة
المسلمين في أنحاء العالم.

ثبّت الله خطاكم ووفقكم للعمل
بها على إفادة المسلمين وأدام الله
حفظ هذه المجلة لتكون فخراً
 واعتزازاً للمسلمين. هذا والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد أحمد إبراهيم

المدرسة العبادية للتربية والتعليم
أكرا - غانا



وجدت في

مجلة رسالة الثقلين ضالتي

أكتب إليكم رسالتي هذه وأنا
مغتبط بالفرح لما شاهدته
ولاحظت من منّة الله عليكم، إذ

جعلكم من القائمين على خدمة
الإسلام والمسلمين في العالم.
فقد سعدني أيها الأخوة بأن
أرفع قلبي وأكتب إليكم هذه
الرسالة المتواضعة والتي من
خلها أبعث بتحياتي وسلامي
للعالمين في المجمع العالمي
لأهل البيت عليه السلام وإلى كافة
المسلمين في الجمهورية
الإسلامية في إيران.

وبعد:

أثناء مراجعتي لكتب
أهل البيت عليه السلام عثرت على نسخة
من مجلتكم الغراء (رسالة الثقلين)
بعدها الثلاثين؛ فقد وجدت فيها
ضالتي من الدروس النافعة
وفرحت بها أشد الفرح، ولكن
فرحتي كانت قصيرة؛ لأنني لا
أملك هذه المجلة القيمة وهذا ما
دعاني أن أناشدكم بأن تبعثوا لي
أعداد المجلة الماضية والآتية.
وأرجو منكم دوام المراسلة،
وأن لا تقطعوا عني خير هذه

المطبوعات التي بمثابة الماء
البارد في الصيف الحار.
في الختام: تقبلوا تحياتي
والتي ملؤها الإخلاص، وأشكركم
على الجهود الجبارة التي
تبذلونها من أجل تحقيق رغبات
الجميع. والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.

عُوتارا أمارا تراورى

مدرسة نهج الإسلام

سيكاسو - مالي

مجلة ورسالة الثقلين تمثل طفرة

ثقافية في المجلات الإسلامية

الأستاذ الشيخ كاظم فؤاد
المقدادي المحترم:
السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

ادعو الله سبحانه أن تكونوا
بأتم صحة وعافية أولاً.
ثانياً أحب أن أشكركم على
جهودكم الخيرة في دعمنا دائماً
بالجديد من إصداراتكم التي تصل
إلينا تباعاً.

شيخنا الجليل إطلعنا مؤخراً على إصداراتكم الأخيرة المتمثلة في كتاب «قضايا معاصرة» وأعداد من مجلة الثقلين الغراء فوجدنا أن كتابكم بحث في أمور مهمة تمس كيان الإسلام الثقافي السياسي والاجتماعي، وكذلك جهودكم في الرد على بعض الشبهات التي تثار ضد إسلامنا المحمدي الأصيل، جزاكم الله خير جزاء العاملين.

شيخنا الجليل أرجوا أن تزودونا بإصداراتكم الأخرى التي أطلعنا على عناوينها في آخر الكتاب، ولكم جزيل الشكر. أما بخصوص مجلة الثقلين فهي حقيقة تمثل طفرة ثقافية في مجال إصدار المجالات الإسلامية فهي تعتبر مدرسة في المضمون والإخراج وترتيب الأبواب فنبارك لكم ولإخوانكم الذين يساهمون في اخراجها بهذا الشكل.

المهندس رياض أبو نسرين
السليمانية / العراق

وفقكم الله للسير

قديماً لخدمة الإسلام والمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم
الأخوة الكرام العاملين في
المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام.
السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته.

أحييكم بتحية الإسلام وأرسل
إليكم رسالتي هذه وأسأله تعالى
أن يوفقكم للسير قديماً لخدمة
الإسلام والمسلمين. أنا شخص
دعنتني ظروف الحياة أن أترك
بلدي العراق وأجأ إلى دول
الغرب، وقد فوجئنا بكثرة
التيارات من أمثال حركة «شهود
يهوه» التي تطرق أبوابنا كل يوم،
ولذلك أطلب منكم بعض الكتب
لسد الحاجة عندنا، والرد على
الذين يلقون الشبهات ضد مذهب
أهل البيت عليه السلام، وأطلب منكم مدد
العون إذا وجدت أشرطة فيديو،
كما وأرجوا أن لا تهملوا رسالتي

وعلى الأقل تردون عليها، وأطلب
منكم المصادر الإسلامية:
كتفسير القرآن الكريم والكتب
الأخلاقية والتاريخية وما يوجد
في حوزتكم.

وأخيراً اختتم كلامي بالسلام
عليكم وأقول لكم: ﴿قُلْ اَعْمَلُوا
فَسِيرِىَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. وآخر دعوانا أن
الحمد لله رب العالمين. والسلام

أمد العلي

النرويج



دعائي لمجلتكم «رسالة الثقلين»

بمزيد التقدم

حضرة الأستاذ الشيخ كاظم
فؤاد المقدادي رئيس تحرير مجلة
«رسالة الثقلين» الغراء..

السلام عليكم

قبل أيام ليستب بالقليلة تلقيت
عدداً من مجلتكم الغراء «رسالة

الثقلين» وهو العدد الثالث الذي
يصلني على العنوان. ولا يسعني
قبال هذا الفضل إلا أن أتقدم
بالشكر الجزيل والعرفان، سائلاً
العلي القدير لكم الصحة
والموفقية، ولمجلتكم «رسالة
الثقلين» التقدم والمزيد.

والحق، لعلي أقف هذا قبال هذا
الفضل مكتوف الأيدي في أن أرد
جزء من فضلكم وتقديركم هذا،
فليس لدي ما أقدمه سوى هذا
البحث «ظاهرتي السيطرة...»
والذي كنت قد كتبتة مع مجموعة
بحوث أخر لكلية الدراسات
الإنسانية التي أوصل الدرس
فيها، والبحوث هذه بلاشك
تخضع للنمط العلمي الذي يدور
فيه فلك الكلية هذه والمنهج الذي
تقنتيه، آملاً أن يتناسب مع
أولويات مجلتكم حال ما ترون
فيه استيفاءً لشروط النشر،
وحينها أكون ممتناً لهذا الفضل،
فإن رأيتم فيه العكس أمل حينها

أن يكون عربوناً للوفاء أكون فيه
قد مددت جسراً للتواصل..

وختاماً لا يسعني سوى الدعاء
لكم بالموفقية والمضي قدماً
تحقيقاً لهدفنا السامي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عبدالعظيم كريم الصيمري
أراك، الجمهورية الإسلامية في إيران



اعجبت بمجلتكم

لما حوته من علوم ودروس

بسم الله الرحمن الرحيم،
الحمد لله وبه نستعين والصلاة
والسلام على خير الورى محمد
وآله وصحبه وسلم.

السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته، الى حضرة السيد رئيس
تحرير مجلة الثقلين القيّمة
المحترم. تحية طيبة وبعد:

يطيب لي أن أبعث إليكم هذه

الرسالة بعد ما أنهيت قراءة العدد
الثالث والأربعين من رسالة
الثقلين. ولقد أعجبت بها جداً لما
حوته من علوم ودروس، ولذلك
أجد نفسي دوماً في حاجة ماسة
إليها، وسأكون شاكرة لكم
ولمجلتكم جزيل الشكر
وسيتيبكم الله على ذلك لأنكم
ستساعدون شخصاً طالباً
للمعرفة.

أرجوا منكم يا سيدي أن
ترسلوا لي المجلة في أقرب وقت.
وأنا أطمع في نبل أخلاقكم في
تحقيق رجائي. والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته.

Sidibe Lacinan

تونس



فهرست مواد السنة الثانية عشرة لمجلة رسالة الثقلين للأعداد ٤٥-٤٨

محرم الحرام - ذو الحجة ١٤٢٣ هـ - نيسان ٢٠٠٣ - نيسان ٢٠٠٤ م

كلمة التحرير بقلم رئيس التحرير

العدد	الصفحة	الموضوع
٤٥	٤	التجربة التاريخية الإسلامية ومنطق القوة «عهد ما بعد النبي ﷺ»
٤٦	٤	فلسطين وقصدنا الشريف بين التهويد الصهيوني والوعد الإلهي بالتحرير
٤٧	٤	العولمة الاستكبارية وسايكولوجية القسر والقهر
٤٨	٤	نحو تجديد منهجي لخطاب ثقافة الانتظار

من آفاق القيادة الإسلامية لولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله)

العدد	الصفحة	الموضوع
٤٥	١٩	معالم الحكومة الإسلامية العلوية والديمقراطية الغربية «فروق جذرية وجوهرية»
٤٦	٢٠	الفهم الصحيح لانتظار الفرج دافع نحو التغيير
٤٧	١٤	أميركا ونهجها العدائي تجاه المسلمين في العالم
٤٨	١٦	الاحتلال الأميركي للعراق ومآسي الشعب العراقي

دراسات

العدد	الصفحة	الكاتب	الموضوع
٤٥	٤٢	الشيخ محمد مهدي الآصفی	تأملات في الخطاب الحسيني
٤٥	٧٦	الشيخ علي الرباني	الأدلة العقلية على إثبات وجود الإمام المهدي ﷺ
٤٦	٥٠	الشيخ محمد علي التسخيري	أهم القضايا العالقة بين الإسلام والغرب
٤٧	٤٦	الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي	منطق فهم القرآن الكريم

٦٦	٤٧	الشيخ محمد علي التسخيري	التفاعل بين الأدبين العربي والفارسي «أدب سعدي نموذجاً»
٤٠	٤٨	الشيخ محمد علي رضائي الاصفهاني	المنهج الروائي في تفسير القرآن الكريم / «١»
٦٠	٤٨	ناصر التجفي	تعلّم وتعليم اللغة العربية في إيران ومشكلة التنائية اللغوية فيها

من فقه مدرسة أهل البيت عليه السلام

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
ولاية الفقيه المطلقة والحكومة المطلقة	الشيخ مهدي هادي الطهراني	٤٥	٩٠

سؤال و جواب

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
حول الإسلام والديمقراطية وولاية الفقيه	الشيخ محمد تقى مصباح اليزدي	٤٥	١٠٧
حول نقد الولي الفقيه ودور مجلس خبراء القيادة	الشيخ محمد تقى مصباح اليزدي	٤٦	٩٨

شبهة ورد

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
التعددية الدينية	السيد هاشم الهاشمي	٤٦	٧٣
أدلة التعددية الدينية (عرض ورد)	السيد هاشم الهاشمي	٤٧	٨٢

حوار

الموضوع	الكاتب	العدد	الصفحة
حوار في المحاور التالية: ● العوامل الثقافية لتوحيد الأمة ● الفكر الإسلامي التطبيقي والتعامل مع عالم القرن الحادي والعشرين ● المرأة والثقافة والفن في الجمهورية الإسلامية في إيران			

١٣٣	٤٥	الشيخ محمد علي التسخيري	<ul style="list-style-type: none"> ● الصحوة الإسلامية والاعلام ● أهمية منظمة المؤتمر الإسلامي في ظل الوضع السياسي الراهن
-----	----	-------------------------	--

من أعلام مدرسة أهل البيت

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١١٦	٤٧	حسين الشاكري	الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني
١٢٦	٤٨	اعداد: المعاونة الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت	رئيس المبلغين آية الله السيد سعيد أختار الرضوي

رأي

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٢٢	٤٦	عفاف الحكيم (لبنان)	المرأة في حزب الله لبنان
٩٣	٤٨	صبيح إلياس	الكوفة بين الولاء والابتلاء «حقائق مغيبية»

أهل البيت في روايات الصحابة

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٩٥	٤٥	إعداد: جهاد المفتي	روايات عمر بن الخطاب
٢٠٢	٤٦	إعداد: جهاد المفتي	روايات أبي رافع
١٨٢	٤٧	إعداد: جهاد المفتي	روايات البراء بن عازب الأنصاري الخزرجي
١٩٥	٤٨	إعداد: جهاد المفتي	روايات عبد الله بن مسعود

أدب في رحاب الثقيلين

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٩٩	٤٥	حسين نجم (قطر)	قصيدة: كربلاء... من جديد
٢٠٣	٤٥	عبدالرزاق عبدالواحد (العراق)	قصيدة: كأنك أبقت جرح العراق
٢٠٦	٤٦	م. كوثر شاهين (سوريا)	قصيدة: الصبح يطلع بعد حندس ليله
٢٠٨	٤٦	السيد محمد جمال الهاشمي	قصيدة: مولد الزهراء

١٨٥	٤٧	السيد الحميري	قصيدة: إلى من الغاية والمقزع
١٩١	٤٧	مجموعة من الشعراء	مختارات من قصائد المهدي (عج) والثار الحسيني
١٩٩	٤٨	الناثئي الصغير	قصيدة: آل محمد ﷺ
٢٠٦	٤٨	الكميت بن زيد الأسدي	قصيدة: بنو هاشم رهط النبي ﷺ
٢١١	٤٨	السيد محمد جمال الهاشمي	قصيدة: يوم الغدير

تقرير

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٣٠	٤٦	إعداد: أحمد الغزعلي (المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق)	حول دور نظام صدام في تخريب التراث الإسلامي الشيعي في العراق «الكتاب الإسلامي الشيعي والمراكز التعليمية نموذجاً»
١٥٠	٤٦	إعداد: ممثلة الجمهورية الإسلامية في مجمع الفقه الإسلامي	حول مشاركة وفد الجمهورية الإسلامية الإيرانية في اجتماع مجمع الفقه الإسلامي في جدة
١٤٤	٤٨	إعداد: الشيخ محمد علي التسخيري الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية	تقرير حول المؤتمر السادس عشر للوحدة الإسلامية تحت عنوان: «العالمية الإسلامية والعولمة»
١٥٤	٤٨	إعداد: هيئة التحرير	تقرير حول مؤتمر النساء العربيات التابعات لأهل البيت ﷺ

قراءة في كتاب

الصفحة	العدد	الكاتب	الموضوع
١٦٢	٤٥	إعداد: علي إلياس	شبهات وردود حول إمامة أهل البيت ﷺ ووجود الإمام المهدي ﷺ
١٧٥	٤٦	إعداد: علي إلياس	قضايا معاصرة على ضوء مدرسة أهل البيت ﷺ
١٣٦	٤٧	جعفر عبدالرزاق / جامعة ليدن (هولندا)	ناصر الدين على القوم الكافرين «إرهاصات إسلامية لاكتشاف الغرب» / «١»
١٥٧	٤٨	جعفر عبدالرزاق / جامعة ليدن (هولندا)	ناصر الدين على القوم الكافرين / «٢» «مشاهدات الحجر في أوروبا القرن السابع عشر»

مختارات من مواقع الانترنت

العدد	الصفحة	الموضوع	الكاتب
٤٥	٢٠٦	جذور الفكر العنصري في أوروبا	خالد الاصور (مصر)
٤٦	٢١٠	من وثائق الكونجرس الأميركي: خطة احتلال منابع النفط	زكريا حسين (مصر)
٤٧	١٩٧	الأقليات المسلمة في العالم	محمد عبدالعاطي (مصر)
٤٧	٢٢٣	وهم الإزدهار الإقتصادي خدع العرب	عبدالحافظ الصاوي (مصر)
٤٨	٢١٥	التأله الأميركي في العالم «كيف نفهم المرحلة الاستعمارية الثالثة؟»	محمد الخطابي (المغرب)
٤٨	٢٣٠	العولمة الاستكبارية في الاعلام «المجموعات الإعلامية الدولية الكبرى»	الدكتور مالك الأحمد (مصر)

من أبناء القري

مجموعة تقارير و أخبار عن أحوال المسلمين

وأتباع أهل البيت (ع) في أنحاء العالم / إعداد: قسم الأرشيف

العدد	الصفحة	الموضوع
٤٥	٢١٤	<p>أبناء وتقارير: * الجمهورية الإسلامية في إيران: (أمن الخليج الفارسي مرهون بالدور الفاعل للجمهورية الإسلامية في إيران) * فلسطين: (المجتمع الصهيوني مجتمع حرب) * العراق: (الحرب الأميركية وإعادة تشكيل السايكلوجية الإسلامية) * البلقان: (جرائم الاغتصاب في البوسنة والهرسك تنتظر القصص) * فرنسا: (الفرانكفونية مشروع استعماري جديد * الولايات المتحدة الأميركية: (الوثنية اليهودية المسيحية الجديدة).</p> <p>أبناء وتقارير: * الجمهورية الإسلامية في إيران: (كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة نهج القيادة الإسلامية في مواجهة الاستكبار الجديد) * فلسطين: (شعبٌ ينزف ومعتقلات رهينة تحت حراب الاحتلال الصهيوني) * العراق: (عراق ما بعد صدام بين الفوضى السياسية والمشروع الأميركي) * الشيشان: (الشعب الشيشاني: قرون من التهجير والإبادة) * الجزائر: (التحالف الأمازيغي - الفرانكفوني في الجزائر) * اليابان: (المسلمون في اليابان).</p>
٤٦	٢٢٠	

٢٢٩	٤٧	<p>أبناء وتقارير: * الجمهورية الإسلامية في إيران: (النهج المبدئي للقيادة الإسلامية تجاه شعب العراق الأبي) * فلسطين: (تداعيات حرب العراق ومصادقية «خارطة الطريق» * العراق: (الأصالة الإسلامية في العراق تقلب المعادلات الاستراتيجية في المنطقة)، («قصر النهاية» من السجون الرهيبة لنظام الطاغية صدام) * سلوفينيا: (زعيم الكنيسة في سلوفينيا يتجهّم على الإسلام) * إيطاليا: (زعيم إسلامي إيطالي يهاجم الكاثوليكية في عقر دارها).</p>
٢٣٦	٤٨	<p>أبناء وتقارير: * الشرق الأوسط: (محاوّر الاستراتيجية الأميركية للتغيير في الشرق الأوسط * العراق: (خطط لتغيير مناهج التعليم في العراق)، (معلومات عن ١٥٠ مقبرة جماعية كبرى لضحايا نظام الطاغية صدام * الكيان الصهيوني الغاصب: (فتوى حاخامات الصهاينة بأن العراق جزء من إسرائيل الكبرى) * كندا: (إحصاء رسمي يكشف أن الإسلام أسرع الأديان انتشاراً في كندا) * أمريكا: (أمريكا والصهيونية العالمية: من مخططات العولمة الاستكبارية تخريب المقدسات في الهوية الإسلامية).</p>

رسائل وتقويمات

أعداد قسم العلاقات

الصفحة	العدد	الموضوع
		<p>مع قراء الثقلين: * رسالة الثقلين قلّ نظيرها - حسين عباس علي السدسي / اليمن - صنعاء * تسأل الله أن يكون النجاح حليفكم لإعلاء راية الاسلام - عصام جمعة / ويندزور - كندا * مجلتكم حبيبة الى قلبي وقلوب المخلصين - أبو أمين الأسدي / الجمهورية الإسلامية في إيران - كرمشاه * مجلتكم بحتابة الأستاذ والمعلم الملازم لطلبتة - عبدالمعطي محمد لاج / المؤسسة العالية لأهل البيت (عليه السلام) - أديس أبابا - أثيوبيا * مجلة رسالة الثقلين بزغ فجرها وأضاء نورها ظلامنا الدامس وجاءت بعد غياب طويل - السيد علي الموسوي / إنجلترا - لندن * عن طريق مجلة رسالة الثقلين عرفت أهل البيت (عليه السلام) وسيرتهم الشريفة - خالد يحيى القاضي / محافظة قنا - مصر * حاجتنا ملحّة الى الكتب الإسلامية - المدير العام لمركز الاجتهاد - للتعليم الإسلامي - الحاج قاسم أمير / غانا * رسالة الثقلين مشعل من مشاعل الهداية إلى الطريق الحق - أبو علي الشريفي / الجمهورية الإسلامية في إيران - أراك * أدهشتنا موضوعات «رسالة الثقلين» المفيدة - الهيئة المشرفة على مركز الحسين / نورشوبنغ - السويد * «رسالة الثقلين» مجلة الكلمة الهادفة والفكر الرسالي / SIDIBE LACINAN تونس * نحن بحاجة الى «رسالة</p>

٢٤٩	٤٥	<p>الثقلين» لبسنا فكسرنا الإسلامي الصحيح - عماد البسطحة الحكيمى / بيرث - استراليا» «رسالة الثقلين» مجلة الأبحاث الراقية - عاطف الجبالي رئيس مجلة إدارة مركز الفجر للدراسات والبحوث / مصر * في «رسالة الثقلين» ما يحتاجه المؤمن في دار الغربة - علي الحلو / لندن - انكلترا.</p> <p>مع قراء الثقلين: * نبارك لكم هذا السفر الجليل - الشيخ صادق الهندي إيمودن - هولندا * مجلتكم تتمتع بجاذبية خاصة وذوق سليم وإخراج ممتاز - عباس الربيعي / جمهورية إيران الإسلامية - دزفول مخيم أشرفي اصفهاني للمهاجرين العراقيين * لإصداركم مساهمة فاعلة في إثراء الثقافة الإسلامية - مركز الرسول الأكرم للترجمة والنشر - كردستان العراق - السليمانية * مجلتنا الحبيبة (رسالة الثقلين) جديرة بكل عناية ورعاية لما تتضمنه من دراسات قيّمة - إبراهيم محمد جواد / سوريا - دمشق * رسالة الثقلين مفيدة وممتعة لنا في غربتنا - محمد توفيق الأنصاري / نيوزلندا * رسالة الثقلين مجلة قيّمة وناجحة - عثمان شكوى عثمان / كينيا * رسالة الثقلين بيانها كالسحر، تضاعفت خطاها ولم يقصر أداؤها - أحمد حسين قاسم محمد عبدالرحمن الجمهورية اليمنية - صعدة</p> <p>مع قراء الثقلين: * نحن بأمس الحاجة لمطبوعاتكم القيّمة في هذا المنفى الربذي - محسن الخفاجي / هولندا * مجلاتكم القيّمة ترفدنا بطاقات جديدة - شيراز توفيق محمد امين عام المكتبة المركزية جامعة السليمانية / العراق * رسالة الثقلين تتميز بالمضمون الراقى والطرح الموضوعي / علوي السيد حسن أبو قوة / البحرين * رسالة الثقلين زاخرة بمواضيعها نافعة لقراءها أبو نقاء / خرونتكن - هولندا</p> <p>مع قراء الثقلين: * أود أن أنال شرف صداقتكم النبيلة - ياسر عبدالأمير العبادي / الجمهورية الإسلامية في إيران * باحثي جامعتنا بحاجة الى مجلة رسالة الثقلين - جامعة أم درمان / الخرطوم - السودان * «رسالة الثقلين» تضم مباني الإسلام الأصيلة - محمد أحمد درهم العزي / صعدة - اليمن * مجلة الثقلين مليئة بالعبير والأفكار النيرة - محمد أحمد إبراهيم - المدرسة العبادية للتربية والتعليم / أكرا - غانا * وجدت في مجلة رسالة الثقلين ضالتي - غورتارا أمارا تراوري - مدرسة نهج الإسلام / سيكاسو - مالي * مجلة ورسالة الثقلين تمثل طفرة ثقافية في المجالات الإسلامية - المهندس رياض أبونسرين / السليمانية - العراق * وفقكم الله للسير قدماً لخدمة الإسلام والمسلمين - أمجد العلي / النرويج * دعائي لمجلكم «رسالة الثقلين» بمزيد التقدم - عبدالعزيز كريم الصيمري / أراك - الجمهورية الإسلامية في إيران * أعجبت بمجلكم لما حوته من علوم ودروس - Sidibe Lacinan / تونس</p>
٢٥٦	٤٦	
٢٦٠	٤٧	
٢٤٨	٤٨	

رسالة الثقلين مجلة اسلامية جامعة

قسمة الاشتراك

الاسم :

العنوان :

.....

المدينة :

البلد :

المهنة :

مدة الاشتراك :

ابتداءً من :

.....

عدد النسخ :

الاشتراك

بلد

السنوي / لمدة ٦ أشهر

الارسل

☐ الجمهورية الاسلامية ٢٠٠٠ ١٠٠٠٠

في ايران (بالريال)

☐ باقي دول العالم بالدولار ٣٠ ١٥

(أو مايعادلها) الأمريكي

☐ يرافق اشتراكي ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حوالة بريدية
أرسل هذه القسيمة مع قبضة الاشتراك باسم «رسالة الثقلين» إلى العنوان التالي :
* الجمهورية الاسلامية في ايران . قم . ص . ب ٨٩٤ - ٣٧١٨٥

.....
الاشتراكات :

داخل الجمهورية الاسلامية في ايران تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٢٠٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بانك ملی / شعبه ولايت - خيابان فلسطين جنوبي - رقم الحساب الجاري: ٥٥٩١٦٠٠٦ (بالريال) - مجلة رسالة الثقلين .

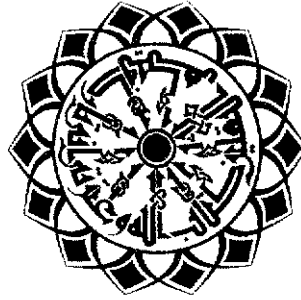
قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولار أميركي أو ما يعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي : (جميع فروع بانك ملی في خارج البلاد) .

Bank Melli, Iran : (55916006)

ثمن النسخة :

الجمهورية الاسلامية في ايران ٥٠٠٠ ريال .

وفي باقي دول العالم ٧ دولارات أميركية أو ما يعادلها .



The Ahl - ul Bayt (a)
World Assembly

RISALATUTH - THAQALAYN

A General Islamic Periodical

Vol . 12, No. 48, December - Feb. 2004